ديوان السيد حيدر الحلّي

حَقّقهَ

علي الخاقاني

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب ٧١٢٠

بسم اللّه الرّحمن الرحيم

هذا جملة ما نظمه وما نثره المرحوم المبرور السّيد حيدر أبو سليمان ابن سليمان بن داود بن سليمان بن حيدر بن أحمد بن محمود بن شهاب بن علي بن محمد بن أبي عبد اللّه بن أبي القاسم ابن أبي البركات ابن القاسم ابن علي بن أبي طالب ابن محمد بن أبي علي عمر الشريف ابن يحيى بن أبي عبد اللّه الحسين النّسابة ابن أحمد المحدّث ابن أبي علي عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدّمعة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم (أفضل التحية والسّلام عليهم) كما قال:

نسبٌ عقدن أصوله بذوآئب العليا فروعه

وكيفية ترتيب هذا الديوان: فالسيّد (تغمّده اللّه برحمته، وأسكنه فسيح جنّته) لما كان الغالب من شعره المدح والرثاء لأهل البيت (عليهم السّلام) صدّرنا غالب الفصول فيه بمدحهم ورثائهم (عليهم السّلام)، وكلّ حرفٍ من الحروف المذكورة مرتّب على فصول مدح ورثاء وعتاب.

وأمّا الشّعر: فقد رتّبناه على ثمانية وعشرون باباً:

الباب الأوّل: في الألف الممدودة

وهي على ثلاث فصول:

الفصل الأوّل: في المديح

قال (تغمدّه اللّه برحمته) يمدح النبي (صلّى اللّه عليه وآلهِ) في يوم مبعثه، ويمدح العسكريّين (عليهما السّلام)، ويهنئ به جناب فريد عَصره، وغرّة جبين دهره، العالم العامل، والمجتهد الفاضل، حجّة الإسلام، ومفزع الأنام، إنسان ناضرة الزّمن، السيّد ميرزا حسن الشّيرازي (أدام اللّه أيام إفادته بمحمدّ وآله، ومَنْ سلك من صحبه على منواله، إنّه على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير)، قال:

أيّ بشرى كست الدنيا بها اءا قم فهني الأرض فيها والسماءا

طبق الأرجاء منها أَرج عطرت نفحة ريّاه الفضاءا

صورة أوّل صفحة من الديوان الذي خطّه الشاعر المطبوع، والخطيب المصقع، الشيخ قاسم نجل الشاعر الشيخ محمد الملاّ الحلّي سنة ١٣٠٥ هـ، وقد قابلنا عليه هذا الديوان.

فذلك أليق وأحرى من جلب الوقيعة فيه وفيك؛ فلقد ثبت عندنا إنّ مَنْ بالغتما بتأييده، وشدّ أزرهِ وتشييده، هو العالم الربّاني، بل فرد الفضل الذي لولا مَنْ لا نصرّح به لحلفنا أنّه ليس له ثاني؛ إذ لو لم يكن عن سيدنا أخذ، وعلى قوله اعتمد، وإلى رأيه في جميع الأمور قد استند حتى صار من أهل الكشف والاستقامة، الذين تتنزّل عليهم الملائكة بالأسرار، لما نصّ عليه ربُّ الفضل بالإمامة.

فيا أيّها الرئيس الأجلّ: سبَقَ السيف العدل، ولبث قليلاً يلحق الهيجا حمر، فلقد أطلق غربه لساني، وحلف أن لا يكفكف من جري أمرهَم القلم بناني، حتى يأخذ غرار براعتي مأخذه، وحتى ينفذ غرب براعتي منفذه، والبادي أظلم، وسيعَلمُ أيّنا الذي يقرع السِنّ من النَدم:

ما المجدُ لا ما بناهُ لساني ... لا ما تزخرفهُ من البنيانِ

وعلى جيدِ الفضلِ نظمُ فرائدي ... لا ما تنظمُ من فريدِ جمانِ

يا فاخراً لا في ملابس مدحتي ... هذي ثيابُ الفخرِ لا ثوبانِ

ومتناولاً لا في صلاتِ قصائدي ... هنَّ المكارمُ هنَّ لا قعبانِ

ولقد صدقتُ فقلتُ أيّةُ حكمةٍ ... لما نطقتُ جرت بأيّ لسانِ

مَنْ لم تصدّقهُ الفعالُ ... ضربَ عن الخليطِ والهذيانِ

حرزه منشؤه الفقير إلى رحمة ربّه الغني

حيدر بن سليمان الحسيني الحلّي

صورة آخر صفحة من الديوان الذي خطّه السيّد حيدر الحلّي قابلنا عليه هذا المطبوع.

مقَدّمة

كلمة موجزة تفضّل بها الإمام المصلح الأكبر، حجّة الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عندما مثل بين يديه هذا الديوان، واطّلع على ما فيه من زيادات وتحقيق، وضبط وفنّ في الإخراج:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وله الحمد

من المعلوم أنّ دواوين الشعر كثيرة، ومتفاوتة في القوة والضعف، وكذلك تختلف في الحسن والإجادة، ولا شك أنّ أقواها وأحسنها ما وافق الواقع، وأصاب كبد الحقيقة، وكان من صميم الحقّ وقول الصدق، وإن صحَّ هذا في موضوع فأصحَّه ما قيل في مدائح أهل البيت (عليهم السّلام) ومراثيهم.

وهذا الديوان للشاعر الشهير السيّد حيدر (حشره اللّه مع أجداده الطاهرين)، قد حوى النفيس، بل الأنفس من المراثي والمدائح لأئمة الهدى، فشكر اللّه مساعي الأدباء الساعين لإعادة طبعه، واستقصاء الوسع في تصحيحه وجمعه، وحيّا اللّه كلَّ مَنْ سعى لإحياء مآثر أهل البيت وآثارهم، وتخليد مفاخرهم وأخبارهم، وخاصة الأديب المهذّب الأستاذ الشيخ علي الخاقاني، وفّق اللّه الجميع لمناصرة الحق والأخذ به بدعاء.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحماسة

قال (رحمه اللّه) متحمّساً:

وراءكِ اليـــوم عـــن لهـــوي وعـــن طـــرَبي ... فإنـــذ قلـــبيَ أمســـى كعبـــةَ النـــوبِ

لا تطمعـــــي في وصـــــالي إنَّ لي كبـــــدا ... تهـــوى وصـــال العُلـــى لا الخُـــرَّد العـــرُبِ

أبعـــدَ حفظـــي لأســـباب العُلـــى زمنـــا ... أضـــيعها لـــك بـــين اللهـــو واللعـــبِ

مـــا بـــتُّ مســـتمطرا مـــن مقلـــتي جزعـــا ... نـــوء المـــدامع بـــين النـــؤى والطنـــبِ

قـــدحُ الأســـى الـــبرق والرعـــد الحنـــين وأنـــ ... ـفاســـي الجنـــوبُ ودمعـــي ديمـــةُ الســـحبِ

ولا صـــــبا أبـــــداً قلـــــبي لغانيـــــةٍ ... إذ لـــــيس في حُســـــنها شـــــغلي ولا أربي

في السُـــمر لا السُـــمر[1] معقـــودٌ هـــوايَ وللـــ ... ـبـــيض الظُبـــا لـــيس للبـــيض الظِبـــا طـــربَي

ومـــا عشـــقتُ ســـوى بكـــر العُلـــى أبـــدا ... ولســـتُ أخطبهـــا إلاّ بـــذي شُـــطَب[2]

وطالمـــا صـــرفُ هـــذا الـــدهر قلَّبـــني ... فلـــم يكـــن لســـوى العليـــاء منقلـــبي

مـــا ضـــرَّني بـــين قـــومٍ خفـــضَ منـــزلتي ... ومنـــزلي فـــوق هـــام الســـبعة الشُـــهبِ

وحســـب نفســـي وإن أصـــبحت ذا عُـــدُمٍ ... مـــن ثـــروةٍ أنّـــني مُثـــرٍ مـــن الأدبِ

ولســـت آســـي[3] علـــى عُمـــرٍ أطايبـــه ... أنفقتهـــا في ابتغـــاء المجـــد في الكُـــرَب

يأســـى علـــى العمـــر مَـــنْ باتـــت تقلبّـــهُ ... في مطـــرح الـــذلِّ كـــفُّ الخـــوفِ والرهـــبِ

لم يســـرق الـــدهرُ لي فضـــلاً ولا شـــرفا ... ومـــا ادّعـــائي العُلـــى والمجـــد بالكـــذَبِ

وإنّهـــا لمســـاعٍ لا نظـــير لهـــا ورثتهـــا ... عـــن أبٍ مـــن هاشـــمٍ فـــأبِ

مِـــن معشـــرٍ عقـــدوا قِـــدما مـــآزرهم ... علـــى العفـــاف وكـــانوا أنجـــبَ العَـــربِ

والأرض لم تبـــقَ منهـــا بقعـــة أبـــدا ... إلاّ ســـقوها برقـــراق الـــدمِ الســـربِ

---

١ - السمر الأولى: الرماح. والثانية: الغيد الملاح.

٢ - الشطب: جمع شطبة، وهي الخطّ في متن السيف. يقول: لست أخطب بكر العُلى إلاّ بالسيف.

٣ - آسي: آسف.

ومنها:

حتـــفُ الحُمـــاةِ ومقـــدامُ الســـراة لـــه ... في الـــروعِ ســـطوةُ هجّـــامٍ علـــى النـــوَبِ
محـــضُ الضـــريبةِ مغـــوارُ الكتيبـــةِ محـــ ... ـــمودُ النقيبـــةِ يـــومَ الســـبقِ والغَلـــبِ
في كفّـــهِ مرهـــفٌ ماضـــي المضـــاربِ في ... يـــومِ القـــراعِ تـــراهُ ســـاطعُ اللهـــبِ
يمضـــــي ولم يعتلـــــق في شـــــفرتيهِ دمٌ ... مـــن ســـرعةِ القطـــعِ يـــومَ الـــروع والرهـــبِ
في موقـــفٍ بـــين أنيـــابِ الحِمـــام بـــه الآ ... ســـادُ لم تـــنجُ بالإقـــدام والهـــربِ
أعيـــا المنيّـــةَ حـــتى أنّهـــا ســـئمتْ ... قـــبضَ النفـــوسَ بـــهِ مـــن شـــدَّة التعـــبِ

وقال مستنهضاً الإمام الحجّة المنتظر (عليه السّلام)[1]:

يـــا غمـــرةٌ مَـــنْ لنـــا بمعَبرِهـــا ... مـــواردُ المـــوتِ دونَ مصـــدرِها
يطفـــحُ مـــوجُ الـــبلا الخطـــير بهـــا ... فيغـــرقُ العقـــلُ في تصـــوّرِها
وشـــدّةً عنـــدها انتهـــت عِظمَـــا ... شـــدائدُ الـــدهرِ مَـــعْ تكثرِهـــا
ضـــاقت ولم يأتهـــا مُفرِّجُهـــا ... فجاشـــتِ الـــنفسُ في تحيّرِهـــا
الآنَ رجـــسُ الضـــلالةِ اســـتغرقَ الـــ ... أرضَ فضـــجَّت إلى مطهّرِهـــا
وملّـــةُ اللّـــهِ غُـــيّرت فغـــدت ... تصـــرخُ للهِ مـــن مُغيِّرِهـــا
مَـــنْ مخـــبري والنفـــوسُ عاتبـــةٌ ... مـــاذا يـــؤدّي لســـانُ مخبرِهـــا؟
لِمْ صـــاحبُ الأمـــرِ عـــن رعيتـــه ... أغضـــى فغصَّـــت بجـــورِ أكفرِهـــا؟
مـــا عـــذرُهُ نصـــبَ عينـــه أُخِـــذتْ ... شـــيعتُهُ وهـــو بـــينَ أظهُرِهـــا
يـــا غـــيرةَ اللهِ لا قـــرارَ علـــى ... ركـــوبِ فحشـــائها ومنكرِهـــا
ســـيفُكَ والضـــرب إنّ شـــيعتكم ... قـــد بلـــغ الســـيفُ حـــزَّ منحرِهـــا
مـــاتَ الهـــدى ســـيّدي فقـــم وأمِـــت ... شمـــسَ ضُـــحاها بليـــلِ عثيرِهـــا

---

١ - نُظمت هذه القصيدة إثر عزم الوالي عمر باشا على تطبيق نظام التجنيد الإلزامي في العراق عام ١٢٧٤ هـ، وقد وقعت حوادث هامّة في الفرات وقابلها الوالي بالعنف. راجع كتاب (الشعر السياسي العراقي) ص ١٩٤ - ١٩٧ للوائلي.

واتـــــرك منايـــــا العـــــدى بأنفسِـــــهم تكثـــــرُ في الـــــروعِ مـــــن تعّثرِهـــــا
لم يُشـــفَ مـــن هـــذه الصـــدورِ ســـوى كســـرُكَ صـــدرَ القنـــا بمُوغرِهـــا
وهـــذه الصـــحفُ محـــو ســـيفك لـــلأ عمـــار مـــنهم أمحـــي لأســـطرِها
فـــالنطفُ اليـــوم تشـــتكي وهـــي في الـــ أرحـــامِ منهـــا إلى مصـــورِّها
فـــالله يـــا ابـــنَ النـــبيِّ في فئـــةٍ مـــا ذخـــرت غـــيركم لمحشـــرِها
مـــاذا لأعـــدائها تقـــول إذا لم تنجهـــا اليـــومَ مـــن مـــدمّرِها
أشُـــقةَ البعـــدِ دونـــكَ اعترضـــت أم حُجبـــت عنـــكَ عـــينُ مبصـــرِها؟
فهـــاكَ قلِّـــب قلوبنـــا ترَهـــا تفطَّـــرت فيـــكَ مـــن تنظّرِهـــا
كـــم ســـهرت أعـــينٌ ولـــيسَ ســـوى انتظارِهـــا غـــوثكم بمُســـهرِها
أيـــنَ الحفـــيظُ العلـــيمُ للفئـــة الـــ مضـــاعةِ الحـــقِّ عنـــد أفجرِهـــا
تغضـــي وأنـــتَ الأبُ الـــرحيمُ لهـــا مـــا هكـــذا الظـــنُّ يـــا ابـــن أطهرِهـــا
إن لم تغثهـــا لجُـــرمِ أكبرِهـــا فـــارحم لهـــا ضـــعفَ جـــرمِ أصـــغرِها
كيـــفَ رقـــابٌ مـــن الجحـــيم بكـــم حررَّهـــا اللهُ في تبصُّـــرِها
ترضـــى بـــأن تســـترقّها عُصـــبٌ لم تلـــهُ عـــن نايهـــا ومزمرِهـــا
إن تـــرضَ يـــا صـــاحبَ الزمـــانِ بهـــا ودامَ للقـــومِ فعـــلُ منكرِهـــا
ماتـــت شـــعارُ الإيمـــان وانـــدفنت مـــا بـــينَ خمـــرِ العـــدى وميســـرِها
أبعِـــدْ بهـــا خطـــةً تُـــرادُ بهـــا لا قـــرِّبَ اللهُ دارَ مؤثرِهـــا
المـــوتُ خـــيرٌ مـــن الحيـــاةِ بهـــا لـــو تملـــكُ الـــنفسُ مـــن تخيُّرِهـــا
مـــا غـــرَّ أعـــداءنا بـــربِّهم وهـــو ملـــيٌّ بقصـــمِ أظهرِهـــا
مهـــلاً فللّـــهِ في بريَّتـــه عوائـــدٌ جـــلَّ قـــدرُ أيســـرِها
فـــدعوةُ النـــاسِ إن تكـــن حُجبـــت لأنّهـــا ســـاءَ فعـــلُ أكثرِهـــا
فـــرُبَّ حـــرَّى حشـــىً لواحـــدها شـــكت إلى اللهِ في تضـــوّرِها
توشـــكُ أنفاسُـــها وقـــد صـــعدت أن تحـــرقَ القـــومَ في تســـعُّرِها

وقال متحمّساً:

سنامُ علائيَ لم يُقرَعِ ... وهضبةُ مجديَ لم تطلَعِ
فقلْ لرجالٍ سعت جُهدها ... لتدركَ فوقَ السهى موضعي[1]
ولو أنَّ للشمسِ أحسابها ... حياءً من الخزي لم تطلعِ
قفي حيثُ أوقفكِ العجزُ أو ... فطيري لأمّ السما أو قعي
فلستِ بحائزةٍ سعيَ مَنْ ... لهُ حوزةُ الشرفِ الأرفعِ
فنحنُ بنو هاشمٍ لا نزالُ ... لنا الصدرُ في الجمعِ والمجمعِ
ومن عزميَ البيضُ مطبوعةٌ ... ولولا مضائيَ لم تقطعِ

وقال أيضاً:

ألفتُ قراعَ الخطبِ مذ أنا يافعُ ... فكيفَ تروعُ اليومَ قلبي الروائعُ
لقد عركتْ منّي الليالي ابنَ حرَّةٍ ... على العركِ منهُ لا تلينُ الأخادعُ[2]
وسيانِ عندي سلمُ دهري وحربُه ... وما هو مُعطٍ لي وما هو مانعُ
لعمري ليصنع أيّما شاءَ إنّه ... حقيرٌ بعيني كلّ ما هو صانعُ
سأنشدُ لا عجزاً ولكن تحمّسا ... ليَ اللهُ أيَّ الحادثاتِ أصانعُ
وأيَّ الأعادي أتّقي وهمُ الحصى ... عديداً وكلٌّ مجهرٌ ومصانعُ
فحيثُ طرحتُ اللحظَ أبصرتُ منهمُ ... أخا حنقٍ شخصي لأحشاهُ صادعُ
إذا ما رآني أزوَرَ عنّيَ طرفهُ ... كأنّيَ رمحٌ بينَ جنبيهِ شارعُ
وإنّي ولا فخرٌ، كفاني تغرُّدي ... تحاشدهم أنَّ حوتنا المجامعُ
أُريهم بأنّي عن دُهاهم مغفلٌ ... وعندي لهم خبٌّ[3] من العزمِ رادعُ
كذئبِ الفضا تلقاهُ رخواً إذا مشى ... ويشتدُّ إن واثبتَهُ وهو قاطعُ

---

١ - وفي نسخة: مطلعي.

٢ - الأخادع: جمع أخدع، وهو عرق يتفرّع من الوريد.

٣ - الخب: الرجل الخدّاع.

(ينـــامُ بإحـــدى مقلتيـــه ويتّقـــي بـأخرى الأعـادي فهـو يقظـانُ هـاجعُ[1]

وقال متحمّساً:

اضـــرب بســـيفٍ أو لســـانِ واطعـــن بـــرمحٍ أو بنـــانِ
يُغـــني اللســـانُ عـــن المهنَّـــدِ والبنـــانُ عـــن السـنانِ
ورُمِ الفخـــار بهمّـــةٍ رجُحـــت علـــى الشُّـــمِّ الرعـــانِ
واســـبقْ لغايـــاتِ المعـــالي مالكـــاً قصـــبَ الرهـــانِ
مُـــت تحـــت ظـــلِّ المرهفـــاتِ فـــإنَّ هـــذا العمـــر فـــاني
أو عِـــش كريمـــاً في حياتـــك هـــاجراً دارَ الهـــوانِ
وإذا رأيـــتَ العـــزَّ أبعـــدَ والهـــوانَ إليـــكَ داني
فـــالحزمُ مـــوتٌ بـــاعتزازٍ لا حيـــاةَ في هـــوانِ
فـــالحرُّ إن ســـيمَ المذلّـــةَ صـــاحبَ العضـــب اليمـــاني
وإذا نبـــت فيـــه المعاهـــدُ حـــلَّ في كُـــورِ الهجـــانِ[2]

وقال متحمّساً:

لا تحـــنّي إذا أخـــو الشـــوقِ[3] حنّـــا أنـــا يـــا ورقُ للشـــجا منـــك أدنى
وعلـــى مـــائسِ الأراكِ تغـــنّي ودعـــي النـــوح للكئيـــبِ المعـــنّى
ليـــتَ عهـــدي بحـــيٍّ نعمـــان يغـــدو راجعـــاً والمحـــالُ مـــا أتمـــنّى
نزلـــوا بالغضـــا فأضـــحت عليـــه أضـــلعي مـــن تـــرادفِ الشـــوقِ تحـــنى
لفتـــاةٍ في ذلـــك الحـــيِّ تغـــدو وهـــي مـــن نشـــوة الصِـــبا تتثـــنّى

---

١ - البيت لحميد بن ثور الهلالي يصف به الذئب؛ لأنّ العرب تزعم أنّ الذئب ينام بعين واحدة ويفتح الأخرى للحراسة، ويروي بأخرى المنايا.

٢ - الكور: ما يوضع على البعير كالسرج على الفرس، والهجان: الإبل البيض.

٣ - وفي نسخة: الوجد.

عـــوَّذت خـــدرَها الفـــوارسُ بـــالبيض وسمـــــر الرمـــــاحِ ضـــــرباً وطعنـــــا
أيـــن منهـــا متـــيّمٌ كلّمـــا اشـــتاق إليهـــــا هفـــــا غرامـــــاً وأنّـــــا
طوحتـــــه يـــــدُ الليـــــالي بهيمـــــاءَ فأمســـى مســـتوحشَ الفكـــرِ مضـــنى
نازحـــــاً عـــــن ديـــــاره تترامـــــى فيـــهِ أيـــدي المطـــيِّ ســـهلاً وحَزنـــا
قـــد رثـــى لي الأنـــامَ إنـــسٌ وجـــنٌ مـــذ شـــجيت الأنـــامُ إنســـاً وجنّـــا
طـــرح الـــدهرُ كفّـــة الغـــدرِ يصـــطاد بهـــا الماجـــدين في كـــلّ مغـــنى
يبتغـــي ذلّهـــم ونقـــصَ عُلاهـــم ومحـــالٌ مـــا يبتغـــي الـــدهرُ منّـــا
نحـــنُ أبنـــاءُ هاشـــمٍ أربـــط العـــا لم جأشـــاً وأكثـــرُ النـــاسِ مَنّـــا
قـــد قفونـــا آباءَنـــا الغـــرَّ بالمـــا ل ســـخاءً وبالمكـــارم ضـــنّا

المدائح

قال يمدح الحاج صالح كبّه:

فيـــا نـــيَّر الـــدنيا الـــذي بضـــيائه ... جـــلا عـــن محيّاهـــا ظـــلامَ الغياهـــبِ

عجبـــتُ لمِـــنْ يبغـــي عُـــلاك بســـعيه ... ومـــا هـــو مـــن أبنـــاءِ هـــذي المطالـــبِ

ومـــا هـــو إلاّ كالمناســـم لـــو ســـعتْ ... مـــدى الـــدهرِ لا تســـمو سمـــوَّ الغـــواربِ[1]

وأعجـــبُ منـــه مَـــنْ يجاريـــك[2] في النـــدى ... وعنـــدك يُلغـــى باســـطاً كـــفَّ طالـــبِ

يهابـــك إذ تبـــدو ومِرجـــل ضِـــغنه ... مـــن الغـــيظِ يغلـــي[3] منـــه خلـــفَ الترائـــبِ

ويطـــرقُ إجـــلالا بحيـــث تظنّـــه ... قـــد انعقـــدت أهدابـــهُ بالحواجـــبِ

فحســـبك فخـــراً أنَّ فرعـــك ينتمـــي ... لعـــرقِ علـــيٍّ في طينـــةِ المجـــدِ[4] ضـــاربِ

ولـــو بنـــداك البحـــرُ يُقـــرنُ لم يكـــنْ ... بجنـــبِ نـــداك البحـــرُ نهلـــةَ شـــاربِ

وقال يمدح السيد سلمان النقيب[5]، وقد التمسه بعض الأشراف:

حـــدرتْ بـــأطرافِ البنـــانِ نقابَهـــا ... مرحـــاً فأخجـــلَ حســـنُها أترابَهـــا[6]

وجلـــت غـــداةَ تبسَّـــمت عـــن واضـــحٍ ... تســـتعذبُ العشّـــاقُ فيـــه عـــذابها

قتّالـــةَ اللحظـــات، فهـــي إذا رنـــت ... وجَـــد المشـــوقُ ســـهامها أهـــدابها

مـــن حـــورِ (عـــدنٍ) أقبلـــت لكنَّهـــا ... لم يحـــكِ مختـــومُ الرحيـــق رضـــابها

ســـارقتُها النظـــرَ المريـــبَ بمقلـــةٍ ... لم تقـــضِ مـــن لمحاتهـــا آرابهـــا

---

١ - المناسم: مفرده منسم، طرف خفّ الإبل. الغارب: السنام، أعلى كلّ شيء.

٢ - في الديوان المطبوع: يجاديك.

٣ - وفيه: يغلو.

٤ - وفي نسخة: العرب.

٥ - هو السيد سلمان ابن السيد علي ابن السيد سلمان النقيب الكيلاني الملقّب بالمحض، تلقّى النقابة بعد أبيه ببغداد، وكان له قدر كبير عند ملوك آل عثمان ورجالات العراق، وكان مهيباً ذكيّاً، استطاع أن يمدّ نفوذه إلى كثير من بلدان العراق، توفّي ببغداد عام ١٣١٥ هـ، وتأريخ وفاته:

وثقـــتُ بـــالفردِ وأرّختـــه ... مضـــى نقيـــبُ الملـــكِ ســـلمانُ

٦ - جمع ترب: المتساويات في السن.

فرأيـــتُ في تلـــك الغلائـــلِ[1] طفلـــةً ... لم تـــــدرِ إلاّ عطرهـــــا وخضـــــابَها

ولقـــد دعـــوتُ ومـــا دعـــوتُ مجيبـــةً ... ودعَـــتْ بقلـــبي للهـــدى فأجابهـــا

أعقيلـــةَ الحيَـــيّن شـــقتُ فنـــوِّلي ... كبـــداً هوتـــك فكابـــدتْ أوصـــابها[2]

مـــا دميـــةُ المحـــرابِ أنـــتِ بـــل الـــتي ... تُنســـين نُسّـــاكَ الـــورى محرابهـــا

وأســـرُّ مـــا ضـــمَّ الضـــجيعُ غريـــرةً ... لبســـت شـــبابكَ لا نزعـــتَ شـــبابها

يـــا هـــل ســـبتْكَ بلحنهـــا ابنـــةُ نشـــوةٍ ... إن تشـــدُ رقصَّـــت الكـــؤوسَ حبابهـــا

بعثـــتْ حـــديث عبيرهـــا لـــكَ في الصَـــبا ... فـــأرقَّ أنفـــاس الصَـــبا وأطابهـــا

طربـــتْ لوصـــلك فاصـــطفت لـــك دّلهـــا ... وأتتـــك تغـــربُ في الهـــوى إغرابهـــا

وحبتـــك مـــا خلـــفَ النقـــاب وإنّهـــا ... لمراشـــفٌ حـــدر[3] الهـــلالُ نقابهـــا

حدَرَتـــه عـــن قمـــرٍ يـــودُّ رقيبـــه ... لـــو أنّهـــا استغشـــت عليـــه ثيابهـــا

وانشـــق معطَّـــرة الثـــرى بمطـــارفٍ ... خطـــرتْ تجـــرُّ علـــى الثـــرى هُـــدَّابها

نضـــتْ الحجـــاب ولـــو عليهـــا أســـبلتْ ... تلـــك الفـــروعَ إذا أعـــدنَ حجابهـــا

هتكـــتْ أشـــعةُ نورهـــا ســـتر الـــدجى ... وجلـــونَ مـــن تلـــك الفجـــاج ضـــبابها

فكـــأنَّ ليلـــة وصـــلها زنجيـــةٌ ... حنقـــتْ عليـــكَ فمزّقـــت جلبابهـــا

وكـــأنَّ أنجمهـــا الثواقـــب في الـــدجى ... حـــدقٌ تراقـــبُ في الحجـــال كِعابهـــا

تحكـــي وقـــد قلقـــت أُميمـــةُ عنـــدما ... وصـــفتْ لعينـــكَ قرطهـــا وحقابهـــا

لا بـــل حكـــتْ قلقـــاً قلـــوبَ معاشـــرٍ ... ضـــمِنَ (النقيـــبُ) بعـــزّه إرهابهـــا

وأرى الســـهى خفيـــت خفـــاءَ عِداتـــه ... لحقـــارةٍ حـــتى علـــى مَـــن هابهـــا

خفَّـــت مراســـيلُ الثنـــاء بمُثقِـــلٍ ... في شـــكر أنعمـــهِ الثقـــال رقابهـــا

---

١ - الغلائل:الثياب الرقيقة.

٢ - جمع وصب: السقم.

٣ - في الديوان المطبوع: حسد.

لمقلّمٍ ظفرَ الخطوب بنجدةٍ ... قلقتْ لأفواه النوائبِ نابَها

ملكٍ إذا استنهضته نهضتْ به ... همٌ تدكُّ على السهولِ هضابها

وإذا الحميَّة ألبستهُ حفيظةً ... نزعتْ لخيفته الضراغمُ غلبها

فإذا المطالبُ دون قصدكَ أُرتجتْ ... فاقرعْ بهمّته، وحسبك بابها

رضع المكارمَ ناشئاً في حجرها ... وكفى العظائمَ واطئاً أعقابها

فوقاءُ طلعته الكريمة أوجهٌ ... جَعلت عن الوفد القطوب حجابها

وفداءُ أنملهِ النديَّة أنملٌ ... لم تندَ لو قرض القريض إهابها

ما زال يبتدئ المكارم غضَّةً ... حتى على الدنيا أعاد شبابها

أبنى الزمان وراءكم عن غايةٍ ... ما فيكم مَنْ يستطيعُ طلابها

كم تجذبون مطارفَ الفخر التي ... نسجتْ لسيد (هاشمٍ) فاجتابها

اللهُ جلببه الرياسة فيكمُ ... أفعنه ينزع غيرُه جلبابها؟

فدعوا له صدرَ الوسادة واقعدوا ... قاصين عنها، لستمُ أربابها

للفاطميّ (القادري) ومَنْ له ... حسبٌ من الأحساب كان لبابها

تنميه من علياء (هاشم) أُسرةٌ ... وصل الإله بعرشه أنسابها

أنتَ الذي ورث السيادة عن أبٍ ... ورث النبوةَ: وحيَها وكتابها

أقررتَ أعين (غالبٍ) تحت الثرى ... وسررت ثمّ (قصيّها) و(كلابها)

كانت مقلدَةً رقابَ مضاربٍ ... منها تعلّمت السيوفُ ضِرابها

واليوم لو شهدتْ لسانك لانتضتْ ... منه بكلّ وقيعةٍ قِرضابها

وأرى النقابة منكَ لابن سمائها ... ضرب الإلهُ على النجوم قبابها

وأحلَّك الدار التي لجلالها ... عنت الملوكُ وقبَّلت أعتابها

دارٌ تمنّى النيراتُ لو أنها ... لثمت بأجفانِ العيون ترابها

هي منتدى شرفٍ من الدار التي ... كانت ملائكةُ السما حجّابها

حزتم بني النبأ العظيم مآثراً ... حتى الملائك لا تطيق حسابها

فـــيمَنْ تفـــاخرُ والـــورى بـــأكفكم ... جعـــل الإلـــهُ ثوابهـــا وعقابَهـــا

كنـــتم علـــى أولى الزمـــان رؤوســـها ... شـــرقاً وكـــان ســـواكمُ أذنابهـــا

ولهاشـــمٍ في كـــلّ عصـــرٍ ســـيّدٌ ... يجدونـــهُ لصـــدوعهم رءابهـــا[1]

واليـــومَ أنـــت وحســـبهم بـــك ســـيّدا ... لهـــم تـــروض مـــن الأمـــورِ صـــعابها

فحـدتْ قـوافي الشـعرِ باسمـك مـذ لهـا ... راضـت خلائقـك الحسـان صـعابها[2]

ولقـــد رأيتـــك في المكـــارم مســـهبا ... فـــأطلنَ عنـــدك في الثنـــا إســـهابها

فطـــرحنَ في أفنـــاء مجـــدك ثقلهـــا ... ونضـــونَ عـــن أنضـــائهن حقابهـــا

وأطفـن منـك بجنـبِ أكـرم مـنْ رعـى[3] ... لبـــنى أرومـــة مجـــده أنســـابها

يطلـــبن منـــك عنايـــة نســـمو بهـــا ... حـــتى نطـــاول في العُلـــى أربابهـــا

فـــإذا بمـــنْ لـــكَ تصـــطفيه خلطتنـــا ... كنّـــا لـــدائرة العُلـــى أقطابهـــا

ونـــرى لـــكَ الـــدنيا بعـــزّك أعتبـــتْ ... مـــنِ بعـــدما كنّـــا نمـــلُّ عتابهـــا

يـا مـنْ لـه انتهـتِ العُلـى مـن (هاشـم) ... قـد سـدتَ هاشـم شـيبها وشـبابها

فاضـرب خيامـك في الـذرى مـن مجـدها ... واعقـــد بناصـــيةِ الســـهى أطنابهـــا

وقال يمدح بعض إخوانه:

هـل الحـبُّ إلاّ مـا أذاب حشـا الصـبِ ... فـإن لم تـذبْ فيـه فـلا خـيرَ في الحـبِّ

وخـيرُ خليليـكَ الصـفيين مَـنْ صـفا ... لـك الـودُّ منـه في بعـادك والقـربِ

علـى النـأي يُمسـي ذا جفـونٍ كأنّمـا ... تكلَّـف أن يُحصـى بهـا عـدد الشـهبِ

ولا خـير في ودِّ امـرئٍ تسـتديمه ... بعتـبٍ، وأوشـك أن يـزول مـع العتـبِ

ألم تـرني أصـفيتُ ودِّي لماجـدٍ ... كـأنَّ علـى مـا نـابني قلبُـه قلـبي

---

١ - الرءاب: الذي يصلح الصدع.

٢ - الصعب في البيت السابق: ضد السهل. وفي البيت الثاني: الجمل المتروك الذي لم يرض.

٣ - وفي نسخة: دعا.

وقال، وقد أرسلها في ضمن كتاب عن لسان الميرزا جعفر القزويني إلى السيد عبد الرحمن النقيب:

بنـــــورِكَ لا بـــــالنيّرات الثواقـــــبِ ... أضـاء حمـى (الـزوراء) مـن كـل جانـبِ

طلعـتَ طلـوع البـدر فيهـا فلـم تـدعْ[1] ... علـى الأرض فخـراً للسـما في الكواكـبِ

خلعـــت عليهـــا مـــن بهائـــكَ حُلـــةً ... بهـا اختالـت اليـوم اختيـال الكواعـبِ

وألبســتَها عِقـداً مـن الفخـر ناظمـا ... لهـا الـدرَّ فيـه وهـو درُّ المناقـبِ

فمـا أنـت إلاّ بحـرُ علـمٍ تتابعـتْ ... عجائبـه والبحـر جـمُّ العجائـبِ

ومـا أنـت إلاّ روضُ فضـل تحـدّثتْ ... بريّـاه أنفـاسُ الصِـبا والجنائـبِ

ومـا أنـت إلاّ ديمـةٌ مسـتهلةُ ... بعـرفٍ مـن اللطـف الإلهـيِّ سـاكبِ

أخـو همـمٍ لـو زاحـم الـدهرُ بعضـها ... ثنتـه بصـغراها حطـيمَ المناكـبِ

سمـا مفـرقَ الجـوزاء مجـدُك عاقـدا ... ذوائبـه منهـا عُلـىً في الـذوائبِ

وجـاراك[2] مـن قلنـا لـه: أيـن مَـنْ جـرى ... علـى الأرضِ مـن مجـرى النجـوم الثواقـبِ

أرِحْ غـاربَ الأمـالِ عنـك فلـم ينـلْ ... مكـانَ الـدراري فـوق هـذي الغـواربِ

وراءك أبـرادٌ لعليـاء[3] لم تكـنْ ... تمـدُّ الثريـا نحوهـا كـفَّ جـاذبِ

فيـابن المزايـا (القادريـة) أعجـزتْ ... مزايـاك في تعـدادها كـلَ حاسـبِ

غلبنـا بـك الصـيدَ الكـرام علـى العُلـى ... فحقُّـك أن تُـدعى بسـيّد غالـبِ

يروقـك مـا قـد طـرَّزتْ لـك وشـيَه ... صـناعُ القـوافي لا صـناعُ الكواعـبِ

فـدمتَ علـى هـام المجـرَّة سـاحبا ... مطـارف فخـرٍ طـاهرات المسـاحبِ

وقال يمدحه أيضاً[4]:

لقـد قلـتُ لـلأرضِ ادعـتْ بنجومهـا: ... عليـكِ السـما فخـراً فقالـت: أجيبُهـا

لـئن هـي بالإشـراق منهـا تزيَّنـتْ ... فمـا الفخـرُ إلاّ حيـث حـلَّ (نقيبهـا)

---

١ - في نسخة: يدع.

٢ - وفي نسخة: وأجراك.

٣ - في نسخة: وراءك عن أبراد علياء. وفي المطبوع: ودائك عن إيراد.

٤ - لم يثبت البيتان في الديوان المطبوع.

وقال يمدح بعضهم:

يـــا خـــير مَـــنْ صـــنع الجميـــلَ لربّـــــــــــــهِ متقرِّبـــــــــــــا
وحنـــــا علـــــى أبنـــــاءٍ فـــــا طمـــــةَ فكـــــان لهـــــم أبـــــا
ورعـــــى حقـــــوق المـــــؤمنينَ تؤفـــــــــــاً وتحـــــــــــدُّبا
قـــــد جئـــــتَ في زمـــــن القطيـــــ عـــــةِ واصـــــلاً مـــــن أتربـــــا
لحَـــــظ الإلـــــه بـــــك الكـــــرا مَ فكنـــــت مُـــــنهض مَـــــنْ كبـــــا
وحفظـــــتَ مـــــاء وجـــــوههم عـــــن أن يُـــــراق ويُســـــكبا

وقال يمدح السيد علي النقيب[1] ضمن رسالة بعث بها إليه عن لسان بعض سادة آل القزويني:

الفخـــرُ شـــاد بكـــم قبابَـــه والشـــعرُ زان بكـــم كعابـــه
والعلـــمُ في الـــدنيا بثـــا قـــب فكـــركم أذكـــى شـــهابه
لكـــم الكـــلامُ وأنـــتم أمـــراءُ معركـــةُ الخطابـــه
مَـــنْ ذا يـــراجح حلمكـــم؟ والحلـــمُ مـــا زلـــتم هضـــابه
أم مَـــنْ يطـــاولكم عُـــلاً ومـــن العُلـــى لكـــم الذؤابـــه
لكـــم النبـــوّةُ، والإمـــا مـــةُ، والســـيادةُ، والنقابـــه
مَـــنْ قـــال: لي فخـــرٌ كهـــ ذا فليعِـــدَّ لنـــا انتســـابه
هـــذي الرياســـة لا كمـــن كانـــت رياســـته ثيابـــه

---

١ - هو السيد علي ابن السيد سلمان بن مصطفى بن زين الدين الصغير ابن محمد درويش بن حسام الدين، من ذرية الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني، في طليعة الشخصيات العراقية في عصره، كان مهيباً عند سلاطين آل عثمان، ومحترماً عند ولاتهم الذين يفدون إلى بغداد، وكان نقيب أشراف بغداد خلفه في النقابة ولده السيد سلمان في ٢٨ ربيع الأوّل من عام ١٢٨٩ هـ، وقد توفّي هو في ٢٤ ربيع الأوّل يوم السبت من العام نفسه، وخلف من الأولاد خمسة وهم: سلمان، عبد الرحمن، زين الدين، عبد اللّه، أحمد.

هتـــــــف الرجـــــــاءُ فكنـــــــتمُ بالفضـــــــلِ أوّل مَـــــــنْ أجابَـــــــه
وحميـــــــتمُ ثغـــــــر العُلـــــــى وكـــــــذاك يحمـــــي الليـــــثُ غابـــــه
أنفـــــــتْ يـــــــداكم أن تســـــــا جـــــل بالنـــــدى حـــــتى الســـــحابه
وبجودهـــــــا حلفـــــــتْ بـــــــأن تـــــــدع الكـــــــرامَ ولا صُـــــــبابه[1]
يـــــــا ابـــــــن الـــــــذين رواقُ عـــــــزٍّ هـــــــمُ يحجّـــــــب بالمهابـــــــه
واللابســـــــــــين رداءَ فخـــــــــــ رهُـــــــم تطـــــــرزه النجابـــــــه
مـــــــاذا أقـــــــول ومـــــــدحكم شـــــــحنَ الإلـــــــهُ بـــــــه كتابـــــــه

وقال يمدح صبحي بك عن لسان العلاّمة السيد ميرزا جعفر القزويني:

لتلـــق[2] ملـــوكُ الأرضِ طوعـــاً يـــدَ الصـــلح حـــــذار حســـــامٍ صـــــاغه الله للفـــــتحِ
وأجـــرى فرنـــداً فيـــه مـــن جـــوهرِ العُلـــى غـــدا يخطـــفُ الأبصـــارَ بـــاللمعِ واللمـــحِ
فكـــم شـــقَّ فجـــراً مـــن دجـــى ليـــل حـــادثٍ وأضـــحك للأيـــام مـــن أوجـــهٍ طلـــحِ
لـــــو الدولـــــة الغـــــراءُ يومـــــاً تفـــــاخرتْ مع الشمس قالت أين صبحك من (صبحي)
فـــــتىً في صـــــريح المجـــــدِ يُنمـــــى لمعشـــــرٍ بيـــــوتهم في المجـــــدِ ســـــامية الصـــــرحِ
فـــــتٍ ولـــــدتْ منـــــه النجابـــــةُ حازمـــــاً بعيـــــدَ مجـــــالٍ يرفـــــدُ الملـــــكَ بالنصـــــحِ
أغـــــرُّ لســـــيماء العُلـــــى في جبينـــــه ســـــناً في حشـــــاً الحسّـــــادِ يـــــذكى جـــــوى الـــــبرحِ
لـــــه طلعـــــةٌ غـــــرّاء دائمـــــةُ الســـــنا هي الشمس لو تُمسي هي البدرُ لو يُضحي[3]
هـــو البحـــرُ، بـــل لا يشـــبه[4] البحـــرُ جـــودَه وهـــل يســـتوي العـــذبُ الفـــرات مـــع الملـــحِ

---

١ - الصبابة: آخر قطرات الماء في الإناء.

٢ - وفي مخطوطة الملاّ: لتلو.

٣ - في الديوان المطبوع: لو تضحي، كذا أثبت الأصل في النسخ الثلاث، وفي نسخة (هي البدر لو تمسي، هي الشمس لو تضحي).

٤ - في الديوان المطبوع: هي البحر، ولا بل: جاءت في المخطوطتين.

يـــــزوّجُ آمـــــالَ العفـــــاةِ بجـــــوده ... ويقرنـــــهُ في الحـــــالِ في مولـــــدِ الـــــنجحِ
ويبســـــط كفّـــــاً رطبـــــة مـــــن سماحـــــةٍ ... إذا قـــبضَ اليـــبسُ الأكـــفَّ مـــن الشـــحِ
أرى المـــدحَ في الأشـــرافِ أفضـــل زينـــةٍ ... ولكنّـــــه في فضـــــلهِ شـــــرف المـــــدحِ
هـــو الســـيفُ، بـــل لا[1] يفعـــلُ الســـيفُ فعلـــه ... بقـــومٍ علـــى الأضـــغانِ مطويّـــة الكشـــحِ
فقاتـــلُ أهـــلَ الضـــغنِ بـــالبطشِ لم يكـــن ... كقاتـــلِ أهـــلِ الضـــغنِ بـــالبطشِ والصـــفحِ
هـــو الـــرمحُ ســـلْ عنـــه فـــؤادَ حســـوده ... بمـــا بـــات يلقـــى مـــن شـــبا ذلـــك الـــرمحِ
تجـــدْه كليمـــاً وهـــو أعـــدل شـــاهدٍ ... فيـــا شـــاهداً أضـــحى يعـــدِّلُ بـــالجرح[2]
إليـــكَ ابـــن أمّ المجـــدِ[3] عـــذراء تجتلـــى ... كـــأنَّ محيّـــا وجههـــا فلـــقُ الصـــبحِ
بهـــا أرجٌ مـــن طيـــب ذكـــرك نشـــره ... يعطّـــر أنفـــاس الصـــبا لـــك بـــالنفحِ
تـــودُّ بنـــاتُ الـــنظم أنْ لـــو حكينَهـــا ... ويـــا بعـــدَ مـــا بـــين الملاحـــةِ والقـــبحِ
لقـــد فـــاز فيهـــا قـــدحُك اليـــوم مثلمـــا ... غـــدت وهـــي فيـــك اليـــوم فـــائزة القـــدحِ
فلـــيس لهـــا كـــفٌّ ســـواكَ ولم يكـــن ... يليـــقُ ســـواها فيـــك مـــن خـــرَّد المـــدحِ

وقال مادحاً الحاج محمد صالح كبّه:

لا زلـــت يـــا ربـــع الشـــبابِ حميـــدا ... بـــاقٍ وإن خلـــقَ الزمـــانُ جديـــدا
مـــا أنـــتَ للعشـــاق إلاّ جنَّـــةٌ ... صـــحبوا بهـــا العـــيشَ القـــديمَ رغيـــدا
أيـــام كـــان العـــيشُ غضـــاً ناعمـــا ... والـــدهرُ مقتبـــلَ الشـــبابِ وليـــدا
والـــدار طيّبـــة الثـــرى ممّـــا بهـــا ... يســـحبنَ ربّـــات الخـــدور بـــرودا
يســـتاف زائرُهـــا ثراهـــا عنـــبرا ... فيكـــذِّبَن طرفـــاً يـــراه صـــعيدا
يعطـــو إلى عـــذبات فـــرع أراكـــةٍ ... ظـــبيٌ تفيـــأَ ظلَّهـــا الممـــدودا
غـــنجٌ يســـلُّ مـــن اللـــواحظ مرهفـــا ... يغـــدو عليـــه قتيلـــه محســـودا

---

١ - في المخطوطتين: لا بل.

٢ - أجمل تورية جاء بها الشاعر في هذا البيت.

٣ - في الديوان المخطوط: ابن أمّ الموت.

هـــو مُنتضـــىً في الجفـــن إلاّ أنّـــه ... بـــين الجـــوانح يغتـــدي مغمـــودا

أضـــحت ضـــرائبه[1] القلـــوب تعـــدّ أد ... ماهـــا بـــه، وهـــو الشـــقيُّ، ســـعيدا

وشـــقيقُ خديـــه النقـــيُّ مـــن الحيـــا ... أضـــحى بعقـــربِ صـــدغهِ مرصـــودا

يُمســـي ســـليماً يشـــتفي بـــالريق مَـــنْ ... بـــاللثم بـــات بقطفـــه معمـــودا

كـــم بـــتُّ معتنقـــاً لـــهُ في ليلـــةٍ ... بـــات العفـــافُ بهـــا علـــيَّ شـــهيدا

وكأنّمـــا في الأفـــق هالـــةُ بـــدرها ... وبهـــا الكواكـــب قـــد طلعـــنَ ســـعودا

نـــادٍ (محمـــدُ) حـــلَّ فيـــه وولـــده ... بعـــلاه حفَّـــت ناشـــئاً ووليـــدا

هـــو دارةُ الشـــرف الـــتي قـــد مهّـــدت ... أبـــد[2] الزمـــان بعـــزِّهم تمهيـــدا

فرشـــوا بســـاحة أرضـــهِ القمـــرين واتّـــ ... كـــأوا علـــى زهـــر النجـــوم قعـــودا

متعاقـــدين علـــى المكـــارم أحـــرزوا ... شـــرفاً تماثـــل طارفـــاً وتليـــدا[3]

وعلـــيهمُ قطبـــاً فقطبـــاً دائـــرٌ ... فلـــكُ الفخـــار أبـــوَّة وجـــدودا

كـــانوا قـــديماً والعُلـــى صـــدفٌ لهـــم ... درّاً تناســـقُ في الفخـــار نضـــيدا

وأبـــوهم البحـــرُ المحـــيط وقـــد بـــدوا ... منـــه علـــى جيـــدِ الزمـــان عقـــودا

هـــو لجّـــةُ المعـــروف مـــا عرفـــت بنـــو الـــ ... دنيـــا ســـواه مـــنهلاً مـــوروداً

وبقيـــةُ الأمجـــاد لم يُـــرَ[4] غـــيره ... خلفـــاً لهـــم فـــوق الثـــرى موجـــودا

مســـتظهراً بعنايـــة مـــن ربِّـــه ... وقفـــتْ عليـــهِ العـــزَّ والتأييـــدا

مـــتمحضٌ للهِ في أفعالـــه ... بالغيـــب يخشـــى الخـــالق المعبـــودا

فكأنّمـــا الأعضـــاءُ منـــه أعـــينٌ ... تـــذكى[5] جهـــنَّمُ نصـــبهنَّ وقـــودا

---

١ - الضرائب: جمع ضريبة، المضرب المقتول.

٢ - في الديوان المطبوع: أيدي.

٣ - الطارف: الحديث، والتالد: القديم.

٤ - في الديوان المطبوع: لم يك.

٥ - في مخطوطة الملاّ: تذكو.

لم تجـــترحْ ذنبـــاً جـــوارحُ جســـمه ... بـل كـان عـن[1] خطـطِ الـذنوبِ بعيـدا

فـــتراه مرتعـــدَ الفـــرائص رهبـــةً ... لا باحتمـــال خطيئـــةٍ مجهـــودا

يمســـى بـــنفسٍ لا تميـــلُ مـــع الهـــوى ... للهِ يحـــي ليلـــهُ تهجيـــدا

وإذا تجلّـــى الليـــل أصـــبح[2] باســـطا ... للوفـــد كفّـــاً مـــا تغـــبُّ الجـــودا

نســـكٌ كمـــا شـــاء الإلـــهُ وأنعـــمٌ ... لم يحصـــها إلاّ الإلـــهُ عديـــدا

يـــا مـــن لـــو اقتســـم الأنـــامُ صـــلاحه ... مـــا ســـنَّ فـــيهم ذو الجـــلال حـــدودا

للّـــهِ منجبـــةٌ ولـــدتَ بحجرهـــا ... كـــان التُقـــى في حجرهـــا مولـــودا

لا تغتـــذي بغـــذا الجنـــين نزاهـــةً ... لكـــن غـــذيت الشـــكرَ والتحميـــدا

وبـــرزت والـــدنيا جميعـــاً مجهـــلٌ ... علمـــاً جـــلا منهـــا الغواشـــي الســـودا

وغـــدتْ وكانـــت عـــاقراً أمُّ النـــدى ... لمـــا تطرَّقهـــا نـــداك ولـــودا

تنميـــك مـــن ســـلف المعـــالي أســـرةٌ ... غلبـــوا علـــى الشـــرفِ الكـــرام الصـــيدا

مـــن كـــلّ معصـــومِ البصـــيرةِ لم يـــزل ... منـــهُ الـــرداءُ علـــى التُقـــى معقـــودا

لم يرتفـــع لـــك بيـــتُ مكرمـــةٍ لهـــم ... إلاّ وكـــان لـــه (أخـــوك)[3] عمـــودا

شـــهدتْ صـــفات (أبي الأمـــين) بأنّـــه ... فضُـــلَ البريّـــة ســـيّداً ومســـودا

وأحلّـــهُ حيـــثُ اســـتحقَّ مـــن العُلـــى ... حســـبٌ علـــى الأحســـابِ نـــال مزيـــدا

بـــذلَ الســـماحَ بـــذا[4] الزمـــان وإنّـــه ... لأعـــزُّ مـــن (بـــيضِ الأنـــوق) وجـــودا[5]

وعلـــى حيـــاض سماحـــهِ اختلـــف الـــورى ... شـــرقاً وغربـــاً مصـــدراً وورودا

يـــزداد منهـــلُ عرفـــه فيضـــاً إذا ... جفَّـــت ضـــروعُ الغاديـــات جمـــودا

مـــا إن غـــدا[6] في العـــرف مبـــدأ غايـــةٍ ... إلاّ لهـــا ابـــنُ أخيـــه كـــان معيـــدا

---

١ - في الديوان المطبوع: من.

٢ - والأنسب أن يقول: أمسى.

٣ - يقصد به أخاه عبد الكريم. لا تأتي الواو بعد إلاّ، والأنسب أن يُقال: إلاّ أقام له.

٤ - في مخطوطة الملاّ: من الزمان.

٥ - بيض الأنوق: مثل يضرب على شيء لا يمكن الحصول عليه.

٦ - في مخطوطة الملاّ: بدا.

لـــيس الحيـــا الـــوسميُّ مـــن جـــدوى محمـــ ... ـــدٍ الرضـــــا في المحـــــلِ أنضـــــر عـــــودا

قـــد جـــاوزتْ مغنـــاهُ دجلـــة فاغتـــدى ... بنـــــدي يديـــــه ماؤهـــــا ممـــــدودا

والبحـــر مـــن يُمســـي ويصـــبح جـــاره ... لا بـــــدّ أنْ يمتـــــاح منـــــه الجـــــودا

جـــذلان يشـــرق للســـماحة كلّمـــا ... دفـــع الظـــلامُ لـــه الركـــابَ وفـــودا

يسترشـــدون بنـــور أبلـــجَ إنْ خبـــا ... ضـــوءُ النجـــوم يـــزد ســـناه وقـــودا

بـــأغرَّ يغلـــب وجهـــه شمـــس الضـــحى ... بضـــيائه حـــتى تمـــوتَ خمـــودا

مـــا المجـــدُ منتحـــلٌ لديـــه وإنّمـــا ... ولدتـــــهُ أمُّ المكرمـــــاتِ مجيـــــدا

قـــد حلَّقـــتْ فيـــه لأرفـــع رتبـــةٍ ... همـــمٌ تناهـــتْ في العلـــوِّ صـــعودا

وحـــوتْ لـــه الـــنفسُ الكريمـــة ســـؤددا ... أمســـى بناصـــية السّـــهى معقـــودا

فـــإذا عقـــود المجـــد[1] فُصّـــل نظمُهـــا ... كانـــــت مناقبـــــه لهـــــنَّ فريـــــدا

هـــو شمـــس أفـــق المكرمـــاتِ وبـــدرها الـــ ... ـــهـــادي لمـــنْ أمســـى يجـــوب البيـــدا

ورث الســـماحة مـــن خضـــمٍّ سماحـــةٍ ... فغـــدا بمجمـــوع الفخـــار وحيـــدا

ذا الشـــبلُ مـــن ذاك الهزبـــر وإنّمـــا ... تلـــد الأســـودُ الضـــاريات أســـودا

يـــا مـــنْ تعـــذَّر أن يحـــيط بوصـــفهم ... نظـــمٌ ولـــو مـــلا الزمـــان قصـــيدا

والجـــامعين المكرمـــات بـــوفرهم ... مـــذ أكثـــروا في شملـــه التبديـــدا

ولهـــم بأنديـــة العـــلاء إذا بـــدوا ... تهـــوى الأعـــاظم ركعّـــاً وســـجودا

أهـــدتْ لجيـــد علاكـــم ابنـــةُ فكـــرتي ... درر الثنـــــاء قلائـــــداً وعقـــــودا

جُليـــتْ محاســـنها علـــيكم فـــاجتلوا ... منهـــــا لمجـــــدكم كعابـــــاً رودا

هـــي نثـــرةٌ تضـــفوا[2] علـــى أحســـابكم ... زُغـــفٌ خلفـــتُ بنســـجها داوودا

قـــد خلَّـــدت لكـــم الثنـــاء وســـؤلها ... إنَّ الثنـــاء لكـــم يـــدوم خلـــودا

فبقيـــتمُ في غبطـــةٍ مـــن ربّكـــم ... لكـــن بقـــاءً لم يكـــن محـــدودا

---

١ - في الديوان المطبوع: المدح، وهي الأنسب.

٢ - في الديوان المطبوع: تصفو.

وقال مادحاً العلاّمة الكبير السيد مهدي القزويني[1] وقد تلف بعضها في عهده:

لقد رحلتْ عن ودّنا فيه جفوةٌ ... وبعد الجفا فيه يُراجعُ بالودِ

فنحن على ما كان من عهد حبِّه ... أقمنا ولم نعزمْ رحيلاً عن العهدِ

وكم ليلةٍ لـيلاء فيه[2] سهرتها ... وقد ملَّ طرفُ النجم فيها من السهدِ

يبيتُ خلياً قلبهُ من صبابةٍ ... ولم يدرِ من برحِ الصبابة ما عندي

وكنّا إذا شطَّتْ بنا الدار أودنتْ ... صفيين لَم نكدرْ على القرب والبعدِ

وإنّي لتصبيني على النأي والجفا ... إليه سجايا منهُ أحلى من الشهدِ

خليليَّ عندي اليوم لو تعلمانهُ ... عجيبُ غرامٍ فاسمعا منهُ ما أبدي

ألم يزعموا أنّ القلوب لأهلها ... شواهدُ منهم بالقطيعة والوِدِ

فما بالُ قلبي محكماً عقدة الهوى ... لِمَنْ حلَّ من حبل الهوى محكم العقدِ؟

وهل أنا وحدي يا خليليَّ هكذا ... وجدتُ بهِ أم هكذا كلّ ذي وجدِ؟

وبالفرد من أعلام نجدٍ سقى الحيا ... عهودَ حمى ذيالك (العلم الفردِ)

منازلُ يستوقفنَ كلَّ أخي هوىً ... ويحبسنَ أيدي الواخدات عن الوخدِ

لنا طلعتْ في غربها الشمس آية ... فقلتَ لنا البشرى بها ظهر (المهدي)

أتى الخلفُ ابن المجتبى الحسن الذي ... غدا قائماً بالحقِّ يهدي إلى الرشدِ

إمامُ هدىً نورُ النبوّةِ زاهرٌ ... بطلعةِ بدرٍ وهي[3] كاملة السعدِ

ومن عطفه نشرُ الإمامة فائحٌ ... لهُ أرجٌ يغنيك عن أرج النَّدِّ

به حفظ الباري شريعةَ جدّه ... وشيّد من أركانِها كلِّ منهّدِ

فقام بمبيَّضٍ من الرشد هاديا ... إلى الحقِّ في داجٍ من الغيِّ مسودِ

---

١ - مرّت ترجمته في الجزء الأوّل من الديوان / ٢٣٦.

٢ - في مخطوطة الملاّ: فيها.

٣ - في الديوان المطبوع: منه.

بقيـــةُ أهـــل العلـــم والحلـــم والحجـــى وأهـــل التقـــى والـــبرِّ والنســـك والزهـــدِ
ولـــولا احترامـــي بـــاقر العلـــم قلـــتُ مـــا لـــه مـــن ذوي العلـــم الأفاضـــل مـــن نـــدِّ
فـــــتىً حببْتْـــــه في النفـــــوس شمائـــــلٌ شـــذاهنَّ أذكـــى مـــن شـــذ الشـــيح والرنـــدِ
وطبـــــعٌ كطبـــــع الـــــروض رقَّ هـــــواؤه بأســـــرار ريّـــــاه تـــــذيع صَـــــبا نجـــــدِ
وخلـــقٌ بـــه لـــو يمـــزج المـــاءَ شـــاربٌ لمـــا شـــكَ فيـــه أنّـــه الكـــوثر الخلـــدي
معيـــدٌ لمـــا أبـــداه في الجـــود لا كمـــن إذا جـــاء لا يغـــدو معيـــداً لمـــا يبـــدي

وقال يمدح السيد سلمان النقيب عن لسان بعض رؤساء الحلّة:

سبقتَ الورى مجداً يدوم بلا حدٍّ ... فكان بلا قبلٍ ويبقى بلا بعدِ
خلقتَ كما شاءتْ نقيبتك التي ... أتاها الندى كوني فكانت بلا ندٍّ
وجئتَ إلى الدنيا كما اشتهت العُلى ... تعيدُ من المعروف أضعاف ما تبدي
وتبسط أندي من أديم غمامة ... بناناً يعلمّن الحيا كيف يستجدي
وفي الناسِ مَنْ يغدو به مستميحهُ ... كمستقطرٍ ماءً من الحجر الصلدِ
فيا لابساً برد السيادة لا شذا ... من الفخر إلاّ وهو في ذلك البردِ
فبوركتَ من فردٍ حوى الدهر كلّه ... ببرد عُلاً منه طوى الناس في بردِ[1]
زعيم النهى ما عطرت جيبها[2] الصَبا ... بأطيب نشراً من عبيرك والندّ
يقولون في الدنيا بنتْ دارَك العُلى ... فقلتُ بل الدنيا بها بُنيت عندي[3]
كذبْنا فذا رضوانُ بشركَ مخبرٌ ... يحدّث عنها أنّها جنَّةُ الخلدِ
فمنكَ المزايا قد تقسَّمن فردَها ... وأعجبُ شيٍ قسمة (الجوهر الفردِ)
ألستَ من القوم الذين وليدهم ... يرشّح طفلاً للعُلى وهو في المهدِ
فما حضنوا إلاّ بحجر نقابةٍ ... ولا رضعوا يوماً سوى حلم الرشدِ
فيا قمم الأعداء للأرض طأطئي ... ويا عينهم عودي من الجفن في غمدِ

---

١ - وفي الديوان المطبوع: في فرد. وفيه: حوى الفخر.

٢ - في مخطوطة الملاّ: جيبه.

٣ - أخذه من قول أبي العيناء عندما خاطب المتوكّل العباسي بعد فراغه من بناء قصره المسمى بـ (الجعفري):

الناس يبنون دورهم في الدنيا ... وأنت بنيت الدنيا في دارك

نضـــا اللهُ في كـــفّ النقابـــة ســـيفها وقـال احـتكمْ مـا شـئت يـا فاصـل الحـدِّ
وهاتيـــكَ أبصـــارَ العـــدى وقلوبهـــا فـدونك مـا تختـارهُ مـن ذوي الحقـدِ
وممّـا يعـيرُ الأرض فخـراً علـى السـما ويبهـي الحصـا فيهـا علـى أنجـم السـعدِ
بيـــوتٌ بهـــا قـــد أودع اللهُ مـــنكم أطائـب مـا استصـفاهُ مـن عـترةِ المجـدِ
لكـــم أذنَ اللهُ العظـــيمُ برفعهـــا وأنـتم مصـابيحٌ بهـا النـاس تسـتهدي
لوجهـك قـد صـلّى بهـا المـدح والثنـا لأنّـك فيهـا قبلـةُ الشـكر والحمـدِ

وقال (رحمه اللّه)، وقد سأله العلاّمة السيد ميرزا جعفر القزويني ذلك:

نفســي بحبــلِ ولاءِ (أحمــد) أمســكتْ مــذ أحكمــتْ بنيــاطِ قلــبي عقــدَه
أنّي وفــرضُ مــودّتي هــي فــيهمُ أجــر الرســالةِ لســتُ أنســى عهــده
بــل لم تــزلْ كبــدي تــروّح وجــدَها بنســيم ذكــراه فتلقــى بــرده
مــاذا أقــول علــى البعــاد محــرّرا مــن نعــت شــوقٍ فيــه أشــكو بعــده
وجميــع أقلامــي يكــلُّ لســانها عــن أنْ يحــيط بوصــفهِ فيحــدَّه
لكــنْ إذا ســأل الحبيــب فــؤاده علــمَ الــذي عنــدي بمــا هــو عنــده
هــو ذاك غــرةُ جبهــة الحســب الــذي لفخــاره الســامي أعــدَّ معــدَّه
مــن طينــة الشــرف الــتي مــن محضــها بــاري الأنــام بــرى أبــاه وجــدَّه
مــن معــدن الكــرم الإلهــيّ الــذي لا خلــقَ إلاّ وهــو يشــكو رفــده
مــن بيــت مختلــف الملائكــة الــذي للحــق يهــدي مــن تطلَّــب رشــده
مــن منبــع الحكــم[1] الــذي يــرد النهــى منــهُ ويصــدرُ وهــو يحمــدُ ورده[2]
مــن عــترة الــوحي الــذين سمــا بهــم حســبٌ لــه التنزيــلُ يرفــع مجــده
ممّــن بعطــف علاهُــم متضــوّعٌ أرجُ الإمامــة مهــدياً لــك نــدَّه

---

١ - في الديوان المطبوع: الحلم.

٢ - وفيه أيضاً: برده.

ممّـــنْ علـــى أُولى الزمـــان نـــداهم غمـــروا بـــه حـــرَّ الزمـــان وعبـــده

في كـــلّ عصـــرٍ مـــنهم ابـــنُ نبـــوَّةٍ جمـــع الإلـــهُ بـــه المحاســـنَ وحـــده

فـــردٌ يســـدُّ مســـدَّ أربـــاب النهـــى وجميعهـــا ليســـتْ تســـدُّ مســـدَّه

واليـــوم هـــذا (أحمـــدٌ) في فضـــله فاضـــربْ بـــذهنك أيـــن تلقـــي نـــدَّه؟

جـــاءت رســـالته إليَّ فقلـــتُ، (مـــا كـــذب الفـــؤاد بمـــا رأى، لي ودَّه

ونظـــرتُ في (معـــراج) رحلتـــه الـــتي قـــد نـــال (بالإســـراء) فيهـــا قصـــده

إذ ســـار مقتعـــداً (بـــراق) عزيمـــة قـــد قرّبـــت مـــن كـــل أفـــقٍ بعـــده

وأرتْـــه مـــن آياتـــه مـــا لا يَـــرى ابـــ نُ مفـــازةٍ لـــو كـــان أعمـــلَ جهـــده[١]

فـــأتى يقـــصُّ محاســـنَ القصـــص الـــتي قـــد أبطلـــتْ هـــزل الكـــلام وجـــدَّه

أنبـــاءُ فضـــل هـــنَّ أوحـــى آيهـــا مـــن غيـــب[٢] أســـرار البلاغـــة عنـــده

أبغـــي الخطـــابَ لـــه بوصـــفٍ جـــامعٍ لهباتِـــه فيـــه أخاطـــب مجـــده

وأعـــود عمّـــا ابتغـــي متحـــيرا مـــاذا أقـــول: ولســـت أملـــك وجـــده[٣]

إذ عنـــدي (القـــاموس) بعـــض هباتـــه فمـــتى ســـوى القـــاموس يشـــملُ رفـــده[٤]

ولـــه لـــديَّ صـــنيعةٌ مـــن معـــدن الـــ جـــود الـــذي فـــرض المهـــيمنُ حمـــده

بيضـــاء صـــافية الحديـــدة قـــد حكـــتْ بصـــفاء جوهرهـــا لعيـــني ودَّه

وكـــأنَّ رونـــق ذلـــك الحســـب الـــذي ينهـــى إليـــه بهـــا[٥] أشـــاعَ فرنـــده

مشـــحوذةً كلســـانه فكأنّـــه فيهـــا مكـــان الحـــدِّ رُكّـــب حـــده

تـــروي حـــديث القطـــع عـــن ذي رونـــقٍ فيـــه النـــبيُّ أبـــوه أتحـــف جـــدَّه[٦]

---

١ - يصف بالأبيات الثلاثة (رحلة) أهداها إليه ممدوحه قام بها في مختلف البلدان.

٢ - في مخطوطة الملاّ: من عيب.

٣ - في الديوان المخطوط: حدّه. وفي المخطوطة: ممّا ابتغي.

٤ - وفيه: وفده.

٥ - وفي المخطوطة: بما.

٦ - في البيت تورية جميلة في كلمة القطع. وفيها يشير إلى السيف الذي عبّر عنه بذي =

مـــا قـــطَّ رأس يراعـــةٍ فيهـــا فـــتىً إلاّ تـــــذكَّر ذا الفقـــــار وقـــــدَّه[1]

وقال يمدح العلاّمة الشيخ محمد حسن آل يس الكاظمي[2]:

صـباحُ الهـدى مـن ضـوءِ وجهـكَ مسـفرُ ومـــن نـــورهِ ليـــلُ التهجـــدِ مقمـــرُ
خُلقـتَ كمـا شـاء التقـى غـير منطـوٍ علـــى ريبـــةٍ فيمـــا تســـرُّ وتجهـــرُ
لـــكَ انتهـــت اليـــوم الرياســـة للهـــدى وإنّـــك قبـــل اليـــوم فيهـــا لأجـــدرُ
ولم أدرِ حـــتى زارَ شخصـــك نـــاظري بـــأنّ التقـــى في الأرض شـــخصٌ مصـــوّرُ
وأعظـــم شـــيٍ أنّ كفَّـــك لم يقـــمْ بهـــا عـــرضُ الـــدنيا وكلمُـــكَ جـــوهرُ
يقـــرُّ بعـــين الـــدين أنّـــك نيِّـــرٌ بـــه حـــوزةُ الإســـلام تزهـــو وتزهـــرُ
وفـــرَّج صـــدري كـــون ناديـــك للتقـــى وأنّـــك للأحكـــام فيـــه المصـــدِّرُ
فخاصـــمتُ فيـــك البـــدر يشـــرق نـــوره وإنَّ عليـــه حجّـــتي منـــه أنـــورُ
فقـــال: كلانـــا زاهـــرٌ في سمائـــه فقلـــت: نعـــمْ لكـــنْ محيّـــاه أزهـــرُ
وقالـــت نجـــوم الأفـــق: إنّي كثـــيرةٌ فقلـــت: مزايـــا شـــيخنا منـــكِ أكثـــرُ
وقـــال النســـيم الغـــضُّ: إنّي لعـــاطرٌ فقلـــت: شـــذا أخلاقـــه منـــكَ أعطـــرُ
ودعْ راحتيـــه يـــا ســـحابُ فمنهمـــا يصـــوب النـــدى طبعـــاً وأنـــت مســـخّرُ
لقـــد نشـــأت مـــن رحمـــة الله فيهمـــا ســـحائبُ عشـــر بـــالعوارف تمطـــرُ
فيـــا علمـــاء الأرض شـــرقاً ومغربـــا كـــذا فلـــيكنْ مَـــنْ للهـــدى يتخيّـــرُ
ويـــا خـــير مَـــنْ يرتـــاده آمـــل الـــورى فمنظـــره في روضـــةٍ منـــه يحـــبرُ
إذا قيـــل فـــيمنْ روضـــة الفضـــل تزهـــر وأيُ بحـــارِ العلـــم أروى وأغـــزرُ؟
إليـــكَ غـــدت تـــومي الشـــريعة لا إلى ســـواك وأثنـــتْ وانثنـــت لـــك تشـــكرُ

= رونق، وهو الذي أهداه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) إلى ابن عمّه الإمام علي (عليه السّلام)، وهو المعروف بذي الفقار، وقد وصفه بالبيت الأخير مشيراً إلى الكلمة المأثورة: إن ضرب عرضاً قط، وإن ضرب طولاً قد.

١ - وفي المخطوطتين: وحده.

٢ - مرّت ترجمته في الجزء الأوّل / ١٨٥.

وإن قيـــل مَـــنْ للمشـــكلات يحلّهـــا ... ذُكـــرتَ ولم تُعقـــدْ[1] بغـــيرك خنصـــرُ

حليـف التقـى مـا سـار ذكـرٌ لـذي تقـىً ... بمنقبـــــــةٍ إلاّ وذكـــــــرك أســـــــيرُ

لقـد ضـمَّ منـك الـبردُ والـبرد طـاهرٌ ... فـتىً هـو مـن مـاءِ الغمامـةِ أطهـرُ

فـــتىً حببتْـــه في النفـــوس خلائـــقٌ ... يكـادُ بهـا مـن وجهـهِ البِشـرُ يقطـرُ

فلـو لم أبـتْ فيهـا مـن الهـمِّ صـاحيا ... لقلـتُ هـي الصـهباء مـن حيـث تسـكرُ

إليـكَ عروسـاً كنـتُ أسـلفت مهرهـا ... ولم تجـلَ لـولا أنّهـا لـك تُمهـرُ

شـكرتكَ مـا أسـديته مـن صـنيعةٍ ... تقـدِّمت فيهـا والصـنيعة تُشـكرُ

عطايـا أتـتْ منـك ابتـداءً حسـابُها ... إليَّ ومـا كانـت بـاليَ تخطـرُ

وغـير عجيـبٍ إن بـدا مـن محمـدٍ ... بمنزلـةٍ تشـجى الحواسـدَ حيـدرُ

فمـا عصـرُنا إلاّ القيامـة شـدّة ... ومـا فيـه إلاّ حـوض جـدواك كـوثرُ

رمـتْ عنـده الـدنيا كبـارَ همومهـا ... وهمتُـه العليـاء مـنهنَّ أكـبرُ

وطـاف رجاهـا في حمـاه محلّقـا ... عـن النـاس حيـث الكـلُّ مـنهم مقصِّـرُ

وقال يمدح الحاج محمد صالح كبّه:

بنـور وجهـكَ لا بالشـمس والقمـر ... أضـاءَ أفـقُ سمـاء المجـد والخطـرِ

وفي البريّـة مـن معروفـك انتشـرتْ ... روايـة الشـاهدين السـمع والبصـرِ

تحـدّثوا عنـكَ حـتى أنّ كـلّ فـمٍ ... بـه عبـيرُ شـذاً مـن نشـرك العطـرِ

فـذكرُك المسـك بـين النـاس يسـحق بـا ... للسـان والفـم لا بـالفهر والحجـرِ

وخلقُـك الروضـة الغنّـاء تـرهم[2] في ... نطـاف بشـرِك لا في ريّـق المطـرِ

وكفُّـك البحـر مـا غـاض الرجـاء بـه ... إلاّ وأبـرز منـه أنفـسَ الـدررِ

ودارُ عـزّك تغـدو الوفـد ناعمـةً ... فيهـا بأرغـد عـيشٍ نـاعمٍ نضـرِ

بهـا الضـيوفُ تحـي منـك أكـرم مَـنْ ... يعطـى الرغائـب مـن بـدوٍ ومـن حضـرِ

---

١ - في المخطوطة: يعقد.

٢ - الرهمة: المطر الخفيف الدائم.

حيثُ الجنان على بعدٍ تضيءُ بها ... للطارقينَ ضياءَ الأنجمِ الزهرِ
لقد غدا الأفقُ العلويُّ يحسدها ... على مواقدها في سالفِ العُصرِ
وودَّ لو أنّها كانت به بدلا ... من الكواكبِ حتى الشمسِ والقمرِ
فالشهبُ والبدرُ يطفي الصبحُ ضوءهُما ... والشمسُ في الليل لم تشرقْ ولم تنرِ
لكنَّ دارك لم تبرحْ مواقدُها ... مضيئةَ تصلُ الإصباحَ بالسحرِ
مازلتَ ترفعُ فيها للقِرى كرما ... ناراً شكا الأفقُ منها لافحَ الشررِ
يا مقرضَ الأرض في عصرٍ به وثقت ... بنو الزمان بكنزِ البيضِ والصفرِ
كأنّما اللهُ لم يندبْ سواكَ إلى ... قرضٍ يضاعفهُ في محكم السورِ
فلم تكنْ بشراً بل أنتَ روحُ ندىً ... للعالمين بدتْ في صورةِ البشرِ
يفدي يديكَ ابنُ حرصٍ لا حياء له ... يلقي العفاةَ بوجهٍ قُدَّ من حجرِ
جرى لعلياكَ من جهلٍ فقلتُ له: ... لقد جريتَ ولكنْ جرْى منحدرِ
سما بك الحظُ إلاّ عن علاء أبي الـ ... مهدي حطَّك ذلُ العجزِ والخورِ
أنتَ المعذّبُ بالأموالِ تجمعها ... خوفَ البغيضين من فقرٍ ومن عسرِ
وهو المفرِّقُ ما يحويه مدّخرا ... كنزَ الخطيرين من حمدٍ ومن شكرِ
ما ديمةُ القطرِ من صغرى أناملهِ ... للمحل أقتلُ في أعوامهِ الغُبرِ
يا ناظراً سيرَ الأمجاد دونك خذْ ... منه العيانَ ودع ما جاء في السيَرِ
تجدْ به من أبيهِ كلَّ مأثرةٍ ... ما للحيا مثلها في الجودِ من أثرِ
يريكها هو أو (عبدُ الكريم) بلا ... شكٍ وأيُّهما إنْ شئتَ فاختبرِ
لا تطلبنَّ بها من ثالثٍ لهما ... هل ثالثٌ شاركَ العينين بالنظرِ
تفرَّعا للعُلى من دوحةٍ سُقيتْ ... ماءَ التقى فزكتْ في أوّل العصرِ
وقد سما فرعها الأعلى فأثمرَ ما ... بين النجومِ بمثل الأنجمِ الزهرِ
بكلّ صافي المحيّا بشرُه كرمٌ ... وكلُ أخلاقه صفوٌ بلا كدرِ
ما أحدقوا بالرضا إلاّ وخلتهمُ ... كواكباً تستمدُ النورَ من قمرِ

مهـــــذّبٌ يُتبـــــعُ النعمـــــى بثانيـــــةٍ دأبـــاً وجـــودُ ســـواه بيضـــةُ العقـــرِ
لـــــهُ مناقـــــبُ مجـــــدٍ كلّهـــــا غـــــررٌ في جبهـــةِ الـــدهرِ بـــل أبهـــى مـــن الغـــررِ
زواهـــــرٌ في سمـــــاءِ الفضـــــلِ دائـــــرةٌ بمثلهـــــا فلـــــكُ الخضـــــراءِ لم يـــــدرِ
رأى الثنـــــاءَ لبـــــاسَ الفخـــــرِ تنســـــجُه يـــدُ النـــدى لـــذوي العليـــاء والخطـــرِ
فجـــاد حـــتى دعـــاه البحـــرُ حســـبك مـــا أبقـــى سماحُـــك لي فضـــلاً علـــى البشـــرِ
وكـــلَّ عنـــهُ لســـانُ الـــبرقِ ثمّ دعـــا بالرعـــدِ أكرمـــتَ إنّي عنـــك ذو قصـــرِ
يُنمـــي إلى طيّـــبي الأعـــراقِ مَـــنْ عقـــدوا علـــى العفـــافِ قـــديماً طـــاهرَ الأزرِ
أعـــزَّةٌ نـــورُهم هـــادٍ ووجـــهُ مســـا عـــيهم حســـينٌ بليـــلِ الحـــادثِ النكـــرِ
الوارثـــانِ مـــن المهـــديِّ كـــلَّ عُـــلاً لافقهـــا طـــاهرُ الأوهـــام لم يطـــرِ
والباســـطانِ لـــدى الجـــدوى أكفَّهمـــا ســـحائباً تمطـــرُ العـــافينَ بالبـــدرِ
والغالبـــانِ علـــى الفخـــرِ الكـــرامِ معـــا بحيـــثُ لم يـــدعا فخـــراً لمفتخـــرِ
يـــا طيـــبَ فـــرعِ سمـــاحٍ مثمـــرٍ بهمـــا مـــا كـــلُّ فـــرعِ سمـــاحٍ طيّـــبُ الثمـــرِ
لم يطلعـــا غايـــةً للفخـــرِ لـــيس تـــرى شـــأواً بهـــا لمجيـــدٍ غـــير منحســـرِ
إلاّ وللمصـــــطفى أبصـــــرتَ مالهمـــــا يـــوم الرهـــانِ مـــن الإيـــرادِ والصـــدرِ
أغـــرُّ مـــا زهـــرت للشـــهبِ طلعتـــه إلاّ وغضـــتْ حيـــاءً وجـــهُ منســـترِ
خـــذوا بـــني الشـــرفِ الوضّـــاحِ كاعبـــةً مولـــودةَ الحســـنِ بـــين البـــدو والحضـــرِ
لم تجـــل في مجلـــسٍ إلاّ بوصـــفكم تبسّـــمتْ كابتســـامِ الـــروضِ بـــالزهرِ
إن يُصـــدِ نقـــصُ أنـــاسٍ فكـــرَ مـــادحهم ففضـــلكم صـــيقلُ الألبـــابِ والفكـــرِ
لا زال بيـــتُ علاكـــم للـــورى حرمـــا يحجّـــه الوفـــدُ مأمونـــاً مـــن الغـــيرِ

وقال يمدح السيد عبد الرحمن النقيب في ضمن كتاب عن لسان بعض الأشراف:

يـــــا همامـــــاً لفضـــــله يشـــــهدُ الســـــمعُ والبصـــــر
كـــــلُّ معـــــنىً مهـــــذّبٌ مـــــن معانيـــــكَ مبتكـــــر

أنـــــــتَ للفضـــــــلِ روحُـــــــه وجميـــــــعُ الـــــــورى صـــــــور
وكـــــــذا أنـــــــتَ للزمـــــــا نِ مقيـــــــلٌ إذا عثـــــــر
فـــــاقبلنْ عـــــذرَ مَـــــنْ أســـــا مـــــا مســـــيٌ مَـــــنْ اعتـــــذر

وقال يمدح الصدر الأعظم[1] عن لسان العلاّمة السيد ميرزا جعفر القزويني:

أحـــقُّ بـــالعزّ مَـــنْ لا يرهـــبُ الخطـــرا ولا يعاقـــدُ إلاّ البـــيضَ والســـمرا
والســـيفُ أجـــدرُ أن يســـتلَّه لـــوغىً مَـــنْ لـــيسَ يغمـــدُه أو يـــدركُ الظفـــرا
وأبـــيضُ العـــرض مَـــنْ في كفّـــهِ صـــدرتْ بـــيضُ القواضـــب مـــن وردِ الـــدما حمـــرا
لم تقـــضِ مـــن وصـــلهِ بكـــرُ العُلـــى وطـــرا حـــتى مـــن الهـــامِ يقضـــي ســـيفُه وطـــرا
وحـــــوزةُ الملـــــكِ أولى في حياطتهـــــا مَـــنْ بـــات في حفظهـــا يســـتعذُب الســـهرا
وذي الرعيَّـــــة أحـــــرى في سياســـــتها مَـــنْ بالتجـــاربِ غـــورَ الـــدهرِ قـــد ســـبرا
ولـــــيسَ يملـــــكُ يومـــــاً رقَّ مملكـــــةٍ مَـــنْ لـــيس يمـــلأ منهـــا الســـمعَ والبصـــرا
ولا تُـــــراضُ أقـــــاليمُ الـــــبلادِ بمَـــــنْ لم تســـقِ مـــن خُلقَيـــه الصـــفو والكـــدرا
والحـــــلُ والعقـــــدُ لم يـــــورد صـــــوابهما إلاّ الـــــذي ثقـــــة عـــــن رأيـــــهِ صـــــدرا
ولا تنـــــاطُ أمـــــورُ الملـــــكِ أجمعهـــــا إلا بمَـــــنْ قـــــارعَ الأيـــــامَ مقتـــــدرا
أمـــــا نظـــــرتَ لســـــلطانِ البريـــــةِ مـــــن عـــــلا الرعيـــــةَ ظـــــلَّ العـــــدلِ قـــــد نشـــــرا
مَـــنْ ودّت الشـــهبُ لـــو في ربعـــهِ هبطـــتْ فقبّلتـــــــه وشمّـــــــت تربَـــــــةُ العطـــــــرا
كيـــف اغتـــدي مودّعـــاً أســـرارَ حضـــرته صـــدراً أحـــاط بأســـرارِ النهـــى خـــبرا
وكيـــــف أنزلـــــهُ منـــــهُ بمنزلـــــةٍ لـــــو ينـــــزلُ البـــــدرُ فيهـــــا تـــــاه وافتخـــــرا
لم يبـــــلِ أخبـــــارَهُ إلاّ رأى ثقـــــةً للملـــــكِ صـــــدَّق منـــــهُ المخـــــبرَ الخـــــبرا
فقـــال خـــذْ منصـــباً أمُّ العُلـــى نصـــبتْ أســـرةً لـــكَ فيـــهِ الأنجـــمَ الزهـــرا
هـــذي الـــوزارةُ فاحلـــلْ في ذوائبهـــا فـــالحزم للشـــمسِ أن تســـتوزرَ القمـــرا

---

١ - يرى الأستاذ إبراهيم الوائلي في كتابه (الشعر السياسي العراقي) إنّها قد تكون قيلت في مدحت باشا راجع / ٢٢٠ ح ٤٨.

فقـــال في رأيـــهِ والســـيف يُجمـــعُ مـــن ... أطـــرافِ مملكـــةِ الإســـلام مـــا انتشـــرا

مؤيّـــــداً بجنـــــودٍ مـــــن مهابتـــــه ... قـــــد انتضـــــى معـــــهُ آراءه زبـــــرا

وبـــــات والدولـــــة الغـــــراء يكلؤهـــــا ... بعـــين مســـتيقظٍ لا يركـــبُ الغـــررا

إن يجـــرِ في حلبـــات الـــرأي مبتـــدرا ... خلَّـــت لـــه الـــوزراءُ الـــوردَ والصـــدرا

رأتـــــه أوســـــعها صـــــدراً وأجمعهـــــا ... فكـــراً وأصـــدقها إن شـــؤورت نظـــرا

فســـلَّمتْ لعـــلاه الأمـــرَ مذعنـــةً ... لمـــا يقـــولُ نهـــى إن شـــاء أو أمـــرا

فهـــل تضـــيقُ بخطـــبٍ جـــاء مـــن بشـــرٍ ... ذرعـــاً وإن جـــلَّ ذاك الخطـــب أو كـــبرا

وصـــدرُها الأعظـــمُ الســـامي الـــذي تســـعُ ... الـــدنيا بهمتـــه أعظـــمْ بـــه بشـــرا

ذو عزمـــةٍ مثـــلَ صـــدر الســـيفِ بـــاترةٍ ... لـــو لاقـــت الـــدهرَ قرنـــاً عمـــرُه انبـــترا

رعـــى المحبّـــين فيهـــا البـــدوَ والحضـــرا ... ورَوَّع المبغضـــــينَ الـــــرومَ والخـــــزرا

قـــد قلَّـــد الملـــكَ منـــهُ ســـيفُ ملحمـــةٍ ... لـــو يقـــرعُ الصـــخرَ يومـــاً بالـــدم انفجـــرا

إذا الجبـــاهُ بـــذلِّ العجـــزِ قـــد وُسمـــتْ ... في جبهـــةِ المـــوتِ أبقـــى حـــدَّه أثـــرا

يستصـــغرُ الحـــربَ حـــتى مـــا يباشـــرها ... بنفســـــه ولهـــــا إن باشـــــرَ الســـــفرا

لجـــاءَ والهمّـــة العليـــاءُ فيـــه أتـــتْ ... كالسـيلِ مـن قللِ الأجبـال منحـدرا

في جحفـــل إن ســـرى ضـــاقت بأوّلـــه ... الـــدنيا وآخـــره لم يـــدرِ أيـــن ســـرى

وخـــاض بحـــرَ الـــوغى بـــالحزم محتزمـــا ... بـــــالنقع ملتثمـــــاً بالصـــــبر متـــــزرا

حـــتى تضـــج ملـــوكُ الأرض قائلـــةً ... كـــذا بـــني الملـــك فلينصـــره مَـــنْ نصـــرا

هيهـــات هـــذي فعـــالٌ لا يقـــوم لهـــا ... مَـــنْ قـــد قضـــى مـــنهمُ قـــدماً ومَـــنْ غـــبرا

لـــو مـــدَّ قيصـــرُ باعـــاً نحوهـــا قصـــرا ... أورامهـــا قبـــلُ كســـرى الفـــرس لانكســـرا

فعـــــالُ منتصـــــرٍ لله قـــــام بهـــــا ... في الله منتهيـــــــــاً لله مـــــــــؤتمرا

إنْ ينـــتقمْ فحقـــوق الله يأخـــذها ... ولـــيس يلغـــى حقـــوقَ الله إنْ غفـــرا

حلـــوُ الســـجايا رقيـــقٌ طبعـــهُ عـــذبٌ ... لـــهُ خلائـــقُ ينفـــى صـــفوها الكـــدرا

خلائـــقٌ كالحميّـــا لـــو ترشِّـــفها ... مَـــنْ كـــان يبغضـــهُ في حبّـــه ســـكرا

آنســـتِ يـــا وحشـــة الـــدنيا بـــذي كـــرم ... أحيـــا بجـــدواه ميـــتَ الجـــودِ فانتشـــرا

لـــيسَ الســـحائبُ تحكيـــهِ وقـــد علمـــتْ مـــن كفّـــهِ ماؤهـــا قـــد كـــانَ معتصـــرا
ولا البحـــارُ تضـــاهيهِ وقـــد طمحـــتْ أمواجهـــا فهـــي بخـــلاً تحـــرز الـــدررا
لم يجـــرِ حـــاتمُ طـــيٍّ أو أبـــو دلـــفٍ[1] إلاّ وعـــن شـــأوهِ بـــالجودِ قـــد حســـرا
وإنَ (معنـــاً)[2] علـــى مـــا فيـــهِ مـــن كـــرمٍ لـــو كـــان عاصـــرهُ في الجـــودِ مـــا ذكـــرا
يـــا مَـــنْ تـــرى النـــاسَ أنّ غـــابَ غائبـــةً جميعهـــا وحضـــوراً أيّنمـــا حضـــرا
أمجلســـاً لـــك هـــدى الأرض قـــد جُمعـــتْ أم أنـــتَ قـــد ضـــمنتْ أبـــرادُك البشـــرا
إنّ الصـــدارة لم يصـــلحْ ســـواك لهـــا كأنّهـــا أبـــداً عـــينٌ وأنـــتَ كـــرى
لا زالَ ســـعدُك بالإقبـــال مقترنـــا يســـتخدم المبهجـــين النصـــرَ والظفـــرا

وقال مادحاً مدحت باشا[3] بالتماس من الحاج مصطفى كبّه:

رواقـــك ذا لا بـــل وليجـــةُ خـــادرٍ بـــل الليـــثُ يخطـــو دونـــهُ خطـــوَ قاصـــرِ

---

١ - هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم، أمير الكرخ، وسيّد قومه. قلّده الرشيد أعمال (الجبل) ثمّ صار أحد قادة جيش المأمون. توفّي ببغداد عام ٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م.

له كتب منها: «سياسة الملوك»، و«البزاة والصيد»، وقد قال الشعر ولحّنه. ترجمت له في كتابي «شعراء بغداد» ج ٩.

٢ - هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد اللّه بن مطر الشيباني، من مشاهير أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي، ولاّه المنصور على اليمن، ثمّ ولاه سجستان، قُتل غيلة عام ١٥١ هـ - ٧٦٨ م، ورثاه شعراء عصره بأخلد الشعر.

٣ - مدحت باشا، أشهر والي جاء بغداد، وعُرف بإصلاحاته وتفكيره واتصاله بمختلف أعلام العراق وأدبائه. ولد في اسطنبول ١٢٣٨ هـ، وتغلّب في عدّة مناصب فكان قبل مجيئه والياً على الدانوب، ثمّ رئيساً لمجلس شورى الدولة، ثمّ جاء بغداد فأصلح كثيراً من الأمور، ووسّع الإدارة، وأحسن التصرّف في تعديل الطرق والمواصلات، وقام بفتح بلاد نجد وإخماد فتنة عبد الكريم الجربا، وعودة عشيرة شمر إلى الاستقرار، ثمّ عيّن صدراً أعظم، وأخيراً نقم عليه السلطان عبد الحميد فسجنه مدّة واتّهمه باتّهامات كان يبغي من ورائها القضاء عليه، فكان ما أراد في عام ١٣٠١ هـ. كتب عنه كتاباً خاصاً الأستاذ صديق الدملوجي.

ولقد تحدّث الدكتور يوسف عزّ الدين في كتابه «الشعر العراقي» خصائصه وأهدافه، =

لـــكَ العســـكرُ الجـــرّار والهيبـــة الـــتي ... مخافتُهـــا تكفيـــك جـــرَّ العســـاكرِ
خطبـتَ الـوغى بـالرمح والسـيف شـاغلا ... لســـانيهما بـــين الكلـــى والمغـــافرِ
فســـيفُكَ فيهـــا نـــاثرٌ غـــير نـــاظمٍ ... ورمحُـــك فيهـــا نـــاظمٌ غـــير نـــاثرِ
وكـــم مـــن عـــدوّ قـــد خلقـــتَ لقلبـــه ... جنـــاحين مـــن ذعـــرٍ ورعـــبٍ مخـــامرِ
فهابـــكَ حـــتى ســـاعةَ الســـلم لم يكـــن ... ليلقـــاك إلاّ في حشـــا منـــكَ طـــائرِ
وخافـــكَ حـــتى لـــيس يخلـــو بســـرِّه ... كـــأنَّ رقيبـــاً منـــك خلـــف الســـرائرِ
طلعـــتَ ثنيـــات التجـــارب كلّهـــا ... فصـــرتَ تـــرى في الـــورد مـــا في المصـــادرِ
رويـــدَ الأعـــادي إنّ حزمـــك عـــودُه ... علـــى الغمـــز يومـــاً لا يلـــينُ لهاصـــرِ
وإنْ جهلـــتْ يومـــاً حســـامكَ فلتســـلْ ... بهـــا هامَهـــا عـــن عهـــدها بالمغـــافرِ
لـــك القلـــمُ النقّـــاث في عقـــد النهـــى ... بـــديعُ بيـــانٍ مـــن معـــانٍ ســـواحرِ
فـــوالله مـــا أدري أهـــلْ نثـــرُ ســـاحر ... علـى الطـرس يبـدو منـه أو سـحر نـاثرٍ؟
وفكـــرُكَ يـــوحي أيَّ نظـــمٍ وإنّهـــا ... لقـــولُ كـــريم جـــلَّ لا قـــولُ شـــاعرِ

وقال يمدح نسب الحاج محمّد حسن كبّه:

نســـبٌ أنـــاف علـــى الأنـــامِ بـــه ... شـــرفاً فطـــالَ بـــه علـــى قِصـــره
هـــو عقـــدُ فضـــلٍ لم يـــزل أبـــدا ... تتـــــــــزّين العليـــــــــاءُ في دُرره

وقال مراسلاً بعض إخوانه:

إلى مَـــــنْ مناقبـــــهُ الزاهـــــراتُ ... بـــدتْ أنجمـــاً في سمـــا الفضـــل زُهـــرا
فـــتىً ورث المجـــدَ مـــن هاشـــمٍ ... فكـــان بـــه أرفـــعُ النـــاسِ قـــدرا
فأخلاقـــهُ (عـــينُ مـــاءِ الحيـــاة) ... بهـــا صـــرتُ والحمـــدُ لله (خضـــرا)
جـــرى قلـــمُ الحـــبِّ في مهجـــتي ... فأثبـــتَ فيهـــا لـــهُ الـــودَّ ســـطرا

= في القرن التاسع عشر عن مناسبة نظم الشاعر لهذه القصيدة في ص ٦١ - ٦٢، كما تحدّث في مواضع أخرى من الكتاب عن خواطر الشاعر وميزاته.

يمثلّـــــهُ الشـــــوقُ في نـــــاظري فـــــأنظرُ منـــــه المحيّـــــا الأغـــــرّا
أراه قريبـــــاً بعـــــين الهـــــوى علـــــى بُعـــــده فأحيِّيـــــه بـــــدرا
همـــــامٌ تضـــــوَّع مـــــن عِطفـــــه عبـــــيرُ نهـــــىً طبَّـــــق الكـــــون عطـــــرا
لـــــذكركَ فرَّغـــــتُ شـــــطرَ الفـــــؤاد ومنـــــه الشـــــواغل يمـــــلانَ شـــــطرا

وقال يمدح النقيب حين سار إلى الحج بالتماس بعض الأكابر:

يـــــا مليكـــــاً بـــــه الملـــــوك أطـــــافوا بُـــــتْ معافـــــاً تحفَّـــــك الألطـــــافُ
للمـــــنى أيـــــن مـــــا أقمـــــتَ مقـــــامٌ ولـــــه أيـــــن مـــــا انصـــــرفتَ انصـــــرافُ
غـــــير بـــــدعٍ بـــــأن تُخـــــافَ وتُرجـــــى ســـــيدُ القـــــوم يُرتجـــــى ويُخـــــافُ
أيُّ أرضٍ حللتهـــــــا فهـــــــي روضٌ لأنُـــــوفِ الملـــــوكِ فيـــــه اســـــتيافُ
يـــــا نقيـــــب الأشـــــراف وهـــــو نـــــداءٌ لـــــك تعلـــــو بـــــذكره الأشـــــرافُ
نفحـــــتْ مـــــنهم بنشـــــرٍ ولكـــــن مـــــن غـــــوالي فخـــــاركَ الأعطـــــافُ
بـــــك طـــــابوا ويكســـــب المـــــاءُ طيبـــــا حـــــين يغـــــدو للـــــورد وهـــــو مضـــــافُ
أفـــــرشَ اللهُ أخمصـــــيكَ خـــــدودا مَـــــنْ عـــــدا عنـــــك قـــــد زواهـــــا انحـــــرافُ[1]
ضـــــلَّ مَـــــنْ فيـــــك قاســـــها حيـــــث منهـــــا لم تنـــــلْ كعـــــب رجلـــــكَ الأكتـــــافُ
فطـــــأ اليـــــوم أيّنمـــــا شـــــئتَ فخـــــرا رغمـــــتْ تحـــــت نعلـــــكَ الآنـــــافُ
لـــــك وجـــــهٌ لـــــو باهـــــلَ الشـــــمس يومـــــا لعـــــرا وجههـــــا المنـــــيرَ انكســـــافُ
شـــــفَّ توديعـــــك الـــــورى حـــــين قـــــالوا: مزمـــــعٌ جـــــوهر العُلـــــى الشـــــفافُ
ودَّعـــــتْ منـــــك منصـــــفاً فهـــــي تـــــدعو ســـــرْ علـــــى الـــــيمُن أنـــــت والإنصـــــافُ
لا تســـــلْ عـــــن قلوبنـــــا فلعمـــــري كلُّهـــــا في غـــــدٍ إليـــــك لهـــــافُ
كلّمـــــا جـــــدَّ في ركابـــــك ســـــيرٌ جـــــدَّ للاشـــــتياق فيهـــــا اعتســـــافُ
بوركـــــتْ نيّـــــةٌ دعتـــــكَ لبيـــــتٍ لعـــــلاه آبـــــاك قـــــدماً أنـــــافوا[2]

---

١ - كذا جاء في المخطوطة. وفي المطبوع: قد رواها.

٢ - في المطبوع: بعلاه.

ســـتؤدي فـــرضَ الطـــواف وتـــأتي لحمـــىً فيـــه للســـرور مطـــافُ
ثمّ أهـــدى إليـــكَ تحفـــةَ بشـــرٍ مـــا حـــوتْ مثـــلَ درِّهـــا الأصـــدافُ
في تهـــانٍ لهـــا إليـــك اختـــلافٌ وســـعودٍ لهـــا عليـــكَ ائـــتلافُ
كريـــاضِ الربيـــع تونـــق زهـــرا راقَ للنـــاظرين منهـــا اقتطـــافُ

وقال مادحاً بعضهم:

أهـــدي إليـــكَ أخـــا الفخـــار تحيـــةً رقَّـــت كرقـــة طبعـــكَ الشـــفافِ
وافتـــكَ تحســـب أنّهـــا داريَّـــةٌ حملـــتْ شـــذاك لأنفـــك المســـتافِ
وفـــد الســـرورُ بهـــا لتهنئـــة العُلـــى فيمـــا حبيـــتَ بـــه مـــن الألطـــافِ
أنـــت الـــذي عكـــفَ الثنـــاءُ بربعـــه وأطـــاف فيـــه الحمـــدُ أيَّ مطـــافِ
شـــهدتْ لـــك (الفيحـــاء) أنّـــك زدتهـــا شـــرفاً لأنّـــك صـــفوةُ الأشـــرافِ
وبهـــا لـــك انتهـــت الرياســـة كلُّهـــا فرفلـــتَ في حبراتهـــا الأفـــوافِ
وبهـــا قـــدمتَ فكـــان أيمـــنُ مقـــدمٍ طـــرقَ العـــداة بمـــرغم الآنـــافِ
كانـــت أمـــاني أنفـــسٍ مكذوبـــةٍ دعـــت الحســـود لقلّـــة الإنصـــافِ

وقال يمدح السيد سلمان النقيب، وقد التمسه الحاج مصطفى كبّه، وذلك ببغداد سنة ١٢٩٥ هـ:

بـــنى العشـــقُ مـــا أحلـــى إليّ كـــلّ عاشـــقٍ طِـــلاً لمشـــوقٍ زفّهـــا كـــفُّ شـــائقِ
ولم أرَ في الأحشـــاء ألطـــفَ موقعـــا وأرشـــقَ مـــن نبـــلِ العيـــون الرواشـــقِ
وأغـــرق أهـــلُ الحـــبّ في الحـــبّ مهجـــةً بكـــلّ غريـــرٍ في المحاســـن فـــائقِ
أظـــنُّهم حـــتى علـــى لحـــظ عينـــه بمـــا احمـــرَّ مـــن وردٍ بخديـــه رائـــقِ
ومـــا العمـــرُ عنـــدي كلمُّـــه غـــير ليلـــةٍ يبيـــتُ رهيـــفُ الخصـــر فيهـــا معـــانقي
تـــرفُّ علـــى صـــدري خوافـــقُ فرعـــه رفيـــفَ حشـــاً مـــنّي علـــى الشـــوق خـــافقِ

كـــأنَّ الثريّـــا طوقتـــه هلالهـــا ... ومـــن حســـدٍ مـــدّتْ لـــه كـــفَّ ســـارقِ
مـــن الـــريم لم يـــألفْ ســـوى الرمـــل ملعبـــا ... ولم يرتبـــعْ إلاّ بأحنـــاء بـــارقِ
ونشـــوانَ مـــن مشـــمولة الـــدلِّ قـــدُّه ... أرقُّ مـــن الغصـــن انعطافـــاً لوامـــقِ
مـــورّدُ مـــا بـــين العـــذارين زاربي ... فنـــزَّه أحـــداقي بلـــون الحـــدائقِ
وقلـــتُ وقـــد أرخـــى علـــى الخـــدّ صـــدغه ... لقـــد سلســـلَ الريحـــان فـــوقَ الشـــقائقِ
أقبـــلُ طـــوراً وردَ خديـــه ناشـــقا ... عبـــيرَ شـــذىً مـــا شـــقَ عـــرنين ناشـــقِ
وألـــثمُ طـــوراً ثغـــره العـــذبَ راشـــفا ... ســـلافة خمـــرٍ لم تـــدنّسْ بـــذائقِ
خلـــوتُ ومـــا بي ريبـــةٌ غـــير نظـــرةٍ ... تزوَّدتهـــا منـــهُ بعيـــني مُســـارقِ
وراودتـــه لكـــنْ مـــن الثغـــر قبلـــةً ... ألـــذَّ وأشـــهى مـــن غبـــوقٍ لغـــابقِ
وأعرضـــتُ عمّـــا دون عقـــد أزاره ... عفافـــاً وقـــد زالـــتْ جميـــع العوائـــقِ
وحســـبُكَ مـــنّي شـــيمةً قـــد ورثتُهـــا ... مـــن الغـــالبين الكـــرام المعـــارقِ
خليلـــيّ مـــا للكـــأس كفّـــي ولا فمـــي ... ولا كبـــدي للناهـــدات العوانـــقِ
نســـيتُ ومـــا بي يعلـــمُ الله صـــبوةٌ ... ولا اجتـــذبتْ أحشـــاي بعـــض العلائـــقِ
عشـــقتُ ولكـــن غـــيرَ جاريـــة المهـــا ... ومـــا العـــيشُ إلاّ للمعـــالي بلائـــقِ
خـــذا مـــن لســـاني مـــا يـــروقُ ذوي النهـــى ... ويـــترك أهـــلَ الـــنظم خـــرسَ الشقاشـــقِ
مـــديحاً لـــه تجلـــو مفارقُهـــا العُلـــى ... وســـلمانُ منهـــا غـــرةٌ في المفـــارقِ
وقـــورٌ علـــى الأحـــداث لا تســـتخفه ... إذا طرقـــتْ في الـــدهر إحـــدى الســـوابقِ
ومَـــنْ كعلـــيٍّ القـــدر كـــان أبـــاً لـــه ... يـــزنُ بحجـــاهُ راســـيات الشـــواهقِ
نقيـــبُ بـــني الأشـــراف أعلـــى كـــرامهم ... عمـــاداً وأســـناهم فنـــاءً لطـــارقِ
فمـــا قلبـــتْ أمُّ النقابـــة قبلـــه ... ولا بعـــده في مثلـــهِ طـــرفَ رامـــقِ
فـــتىً إن ســـرى يومـــاً لإحـــراز مفخـــرٍ ... فلـــيس لـــه غـــيرُ العُلـــى مـــن مرافـــقِ
لقـــد غـــدت الـــدنيا عليـــه جميعُهـــا ... مغاربهـــا تُثـــنى ثنـــاءَ المشـــارقِ
تطـــرَّق أمَّ المجـــد في بيـــت ســـؤددٍ ... يظلّـــلُ عـــزّاً بـــالبنود الخوافـــقِ

فأنجبَ من سلمان وهو ذكا العُلى ... ببدرِ نهىً يجلو ظلام الغواسقِ
همامٌ نمتهُ دوحةٌ نبوية ... إلى مثمرٍ في المجدِ منها ووارقِ
لهُ النسبُ الوضّاحُ في جبهة العُلى ... مع الحسبِ السامي جميع الخلائقِ
يعدُّ رسول الله فخراً لمجده ... وحسبك مجداً في الذرى والشواهقِ
تضوعُ بعطفيه السيادة مثلما ... تضوَّع عرف المسكِ طيباً لناشقِ
به اقتدحتْ زند النجابة هاشمٌ ... ففي وجهه من نورها لمعُ بارقِ
سما في المعالي طالباً قدرَ نفسه ... إلى شرفٍ فوق الكواكب باسقِ
وفاتَ جميعَ السابقين إلى العُلى ... فقصّر عن إدراكه كلُّ سابقِ
وقالوا: رويداً حكَّ عاتقكَ السهى ... فقال: وما قدرُ السهى حكُّ عاتقي
تمنطق طفلاً بالرياسة واحتذى ... بأخمصها تيجانَ أهل المناطقِ
إليكم ملوكَ الأرضِ عن ذي سرادقٍ ... تجمعت الدنيا به في السرادقِ
تقبِّل أهلُ الفخر أعتابَ داره ... فيأرج منها طيبُها في المفارقِ
فداء مفاتيح الندى من بنانه ... أكفُّ على أموالها كالمغالقِ
تعلّ راجيها إذا أسودَّ ليله ... بكاذب وعدٍ فجرُه غير صادقِ
ندىً بنان الكفِّ في كلّ شتوةٍ ... يجفُّ بها ضرعُ الغيوم الدوافقِ
فحين تشيمُ المجدبون بوارقا ... تمنَّوا نداه غيث تلك البوارقِ
وضيءُ المجالي والمعالي كليهما ... وعذبُ السجايا والندى والخلائقِ
أخفُّ على الأرواح طبعاً من الهوى ... ولكنَّه في الحلم هضبة شاهقِ
فما طلعةُ البدر المنير مضيئة ... كطلعته الغراء في كلّ غاسقِ
مهيبٌ فلولا ما به من تكرُّمٍ ... لما لمحته هيبةً عينُ رامقِ
فما هيبةُ الضرغام دون عرينه ... كهيبته القعساء دون السرادقِ
لقد كتب اللهُ الفخارَ له على ... لواء عُلىً في الغرب والشرق خافقِ
تضايقت الدنيا ببعض فخاره ... على أنّه فرّاجُ كلّ المضايقِ

يضـــيع فضـــاءُ الأرض في رحـــب صـــدره ... إذا هـــي غصـــتْ في الخطـــوبِ الطـــوارقِ
مـــــن الفـــــاطميين الـــــذين تراضـــــعتْ ... قنـــاهم طلـــى الأعـــداء في كـــلّ مـــازقِ
هـــمُ توّجـــوا هـــامَ الملـــوك ببيضـــهم ... وداســـوا علـــى أنمـــاطهم بالســـوابقِ
إذا نزلـــوا كـــانوا ربيـــعَ بـــني المـــنى ... وإن ركبـــوا كـــانوا حمـــاةَ الحقـــائقِ
تعـــانق فـــوق الخيـــل عاليـــةُ القنـــا ... عنـــاقَ ســـواها الغيـــد فـــوق النمـــارقِ
هـــم القـــومُ مـــا للشـــيخ مـــنهم لكهلهـــم ... ومـــا مـــنهم في كهلهـــم للمراهـــقِ
وهـــذا ابـــنهم ســـلمانُ والفـــرع طيبـــه ... يجـــيءُ علـــى مقـــدار طيـــب المعـــارقِ
إذا مســـحتْ منـــه العُلـــى وجـــهَ ســـابق ... جلـــتْ مـــن أبي محمـــود غـــرّة لاحـــقِ
فـــتىً علمـــه يحكـــي غـــزارةَ جـــوده ... ومـــا علـــمُ قـــومٍ غـــير محـــض التشـــادقِ
وقـــد قوّمـــت منـــه الإصـــابة رأيـــه ... فكـــان لفتـــق الـــدهر أحـــزم راتـــقِ
ومنطيـــقُ فصـــلٍ لـــو يشـــاء لســـانه ... لفـــلَّ حـــدودَ الفاصـــلات البـــوارقِ
يحـــاكي بقطـــع الخصـــم أســـياف قومـــه ... فيمضـــى مضـــاها في الطلـــى والمرافـــقِ
ويطعنـــــــه في قلبـــــــه بنوافـــــــذٍ ... نفـــوذَ قنـــاهم في قلـــوب الفيـــالقِ
أبـــا المصـــطفى أرغمـــت أنـــتَ وذو النهـــى ... شـــقيقك في العليـــاء شـــمَّ المناشـــقِ
لقـــد زنتمـــا جيـــد العُلـــى مـــن بنيكمـــا ... بســـمطي فريـــدٍ في العُلـــى متناســـقِ
فيـــا قمـــراً ســـارت بـــذكر علائـــه ... نجـــومُ القـــوافي في ســـماء المهـــارقِ
إليـــكَ تعـــدتْ فكـــرتي كـــلَّ فكـــرةٍ ... لمـــا لم يكـــنْ فيـــه مجـــالُ محـــاذقِ
فجـــاءتْ مـــن القـــول الـــذي انفـــردتْ بـــه ... بآيـــات نظـــمٍ أفحمـــتْ كـــلّ نـــاطقِ
ســـلمتَ علـــى الـــدنيا وفخـــرُك مشـــرقٌ ... يضـــيُ ضـــياءَ الشـــمس في كـــلّ شـــارقِ
لـــك الـــدهر عبـــدٌ لا يـــرى المجـــدُ عتقـــه ... ولا هـــو يلـــوي عـــنكمُ جيـــدَ آبـــقِ

وقال في مدح بعض الأشراف:

بقّيـــتي هـــي بـــين الشـــوق والأرقِ ... حشـــاً تـــذوب وجفـــنٌ غـــير منطبـــقِ
قـــد لـــوَّن الـــدهرُ دمعـــي في تلونـــه ... فانهـــلَّ مـــن أحمـــر قـــانٍ ومـــن يقـــقِ

وقيـــــدتني عـــــن شـــــأوٍ حوادثـــــه وقلـــــنَ دونـــــك والغايـــــات فاســـــتبقِ
فكيـــف يســـبقُ مَـــنْ كـــانَ الزمـــانُ لـــه قيـــداً يجاذبـــهُ عـــن رســـنهِ الغلـــقِ
وهـــل يـــؤدّي لخـــلٍّ حـــقَ خلَّتـــه .....[1]
يـــا مَـــنْ تعـــوِّذُه في كـــلّ شـــارقةٍ أمُّ الســـماح بـــربِّ النـــاسِ والفلـــقِ
عـــذراً فـــداؤك في طـــرق النـــدى فئـــةٌ أرى المكـــارمَ فـــيهم وحشـــة الطـــرقِ
مـــا أبطـــأتْ عنـــك لا صـــدّاً ولا ملـــلا آيـــاتُ شـــوقٍ ولا الإعـــراضُ مـــن خلقـــي
وكيـــف أغفـــلُ حقـــاً أنـــت صـــاحبه وكـــان ذلـــك فرضـــاً لازمـــاً عنقـــي

وقال يمدح بيت الحاج محمد صالح كبّه:

بيـــتُ مجـــدٍ إن حـــوى شـــكرَ الـــورى فعلـــى معروفـــهِ كـــانوا عيـــالا
لم يكـــــنْ للجـــــودِ إلاّ مطلعـــــا يمـــــلأ العـــــينَ هـــــلالاً فهـــــلالا

وقال يمدح مدحت باشا وقد سأله ذلك الحاج مصطفى كبّه:

أثنـــتْ عليـــك بأســـرها الـــدولُ وتشـــــوقتكَ الأعصـــــرُ الأولُ
وأعـــــدتَ للأيـــــامِ جـــــدَّتها فـــــاليوم عمـــــرُ الـــــدهرِ مقتبـــــلُ
وأرى الممالـــك يـــا ابـــن بجـــدتها لـــكَ شـــكرُها كنـــداك متصـــلُ
أوســـعتها وفضـــلتها كرمـــا عنـــهُ يضـــيقُ الســـهلُ والجبـــلُ
وســـبرتَ غـــور زمانهـــا فغـــدا لا جـــرحَ إلاّ وهـــو منـــدملُ
مـــا في الحيـــاة لخـــالعٍ أمـــلٌ أنـــتَ الحمـــامُ وســـيفك الأجـــل
مَـــن ذا يـــردُّ لعزمتيـــكَ شـــبا وشـــباكَ يقطـــع قبـــلَ مـــا يصـــلُ
إن تنتعـــلْ قمـــمَ الملـــوك فقـــد تـــوّجتهم بـــالفخر لـــو عقلـــوا
وطـــأتْ لـــك الـــدنيا بأخمصـــها همـــمٌ بســـاطُ نعالهـــا القلـــلُ
ولـــئن أقمـــتَ بحيـــث أنـــت وقـــد أمنـــت بـــك الأقطـــارُ والســـبلُ

---

١ - بياض: في المخطوطتين والمطبوعتين.

فالأرض حيث تجوسها بلدٌ ... والناسُ حيث تسوسها رجلُ
وإذا الصواهل أرعدتْ وعلى ... برق الصوارم أمطر الأسلُ
وعلتْ رياح الموت خافقةً ... بأجش قسطله لها زجلُ
خضتَ السيوفَ وكلُها لججٌ ... تحت الرماح وكلُها ظللُ
وجنيتَ عزَّ الملك محتكما ... من حيث تنبت في الكلى الذُبلُ
ولديكَ آراءٌ مثقفةٌ ... ما مسها كمثقفٍ خطلُ
فإذا طعنتَ بها العدى وصلتْ ... منهم لحيث السمرُ لا تصلُ
وعزائمٌ كالشهب ثاقبةٌ ... في كلّ ناحيةٍ لها شعلُ
قلْ للقبائل لا نعدُّكم ... جمعَ القبائل كلّها رجلُ
أسدٌ قلوبُ عداه من فرقٍ ... ذهلٌ ونابلُ فكره ثعلُ
فاطرحْ أحاديثَ الكرام له ... فيه لكلٍّ منهم مثلُ
واتركْ تفاصيلَ الملوك فقد ... أغنتكَ عنها هذه الجملُ
يا ابن الوزارة أنت أوحدُها ... لا راعها بفراقك الثكلُ
ومَن ادّعى للعين ليس سوى ... إنسانها ابنٌ تشهدُ المقلُ
فأقم وبدرُك كاملٌ أبدا ... والبدرُ منتقصٌ ومكتملُ
في دولةٍ صلحتْ وزارتها ... لكَ فهي تحسدُها بك الدولُ

وقال يمدح الحاج محمد رضا كبّه في ضمن عتاب:

يا أمجد الناسِ فرعا ... يُنمي لأمجد أصلِ
وقاتلَ المحل جودا ... في كلّ أزمة محلِ
وابن القِرى ولعمري ... أبوك زادُ المقلِّ
لا يستشارُ سواه ... في كلّ عقدٍ وحلِّ
والموقدُ النارَ ليلا ... للطارقِ المستدلِّ

مرفوعـــــــــــةً وعليهـــــــــــا مراجـــــــلُ[1] الـــــــزاد تغلـــــــي
يمتـــــــــدُّ منهـــــــــا لســـــــانٌ إلى الســـــــــما متجلـــــــــي
حـــــــتى يضـــــــيءَ ســـــــناه في كـــــــلّ حَـــــــزنٍ وســـــــهلِ
يـــــــدعو الضـــــــيوف هلمُّـــــــوا إلى القِـــــــرى، لمحلّـــــــي
فيهتـــــــــــدي بســـــــــناه إليـــــــــه كـــــــلُّ مضـــــــلّ
أكـــــــرم بـــــــه مـــــــن كـــــــريمٍ لـــــــه انتهـــــــى كـــــــلُّ فضـــــــلِ
والخلـــــــــقُ منـــــــك ومنـــــــه مـــــــثلان في غـــــــير مثـــــــلِ
هـــــــذا مجاجـــــــةُ[2] مســـــــكٍ وذاك شـــــــــهدةُ نحـــــــــلِ
يفـــــدي عُـــــلاك ابـــــنُ خفـــــضٍ ســـــــارٍ برجـــــــل ابـــــــن ذلِّ
يبغـــــي العُلـــــى وهـــــو شـــــيخٌ هـــــــمُّ بهمـــــــة طفـــــــلِ
وهـــــــل تنـــــــال الثريّـــــــا عفـــــــواً ببـــــــاع أشـــــــلِّ
ومـــــا لـــــه في طريـــــق الـــــ عليـــــاء مـــــوطئُ رجـــــلِ
ولا لـــــه حـــــوضُ جـــــودٍ يرجـــــى لعـــــلٍ ونهـــــلِ
إلاّ حقيقـــــــــةُ بخـــــــــلٍ تبـــــــدو بصـــــــورة بـــــــذلِ

وقال يمدح العلاّمة الشيخ محمد حسن الكاظمي:

قـــــدَّمتك العُلـــــى وكنـــــتَ زعيمـــــا وقصـــــارى رجائهـــــا أن يـــــدوما
واســـــتنابتك عـــــن أكـــــارمَ تقفـــــو هـــــديَهم والكـــــريمُ يقفـــــو الكريمـــــا
لم يـــــزدكَ التعظـــــيمُ منّـــــا جـــــلالا إذ لـــــدى ذي الجـــــلالَ كنـــــت عظيمـــــا
لـــــك فـــــوق الأنـــــام طـــــودُ جـــــلالٍ طـــــائرُ الـــــوهم حولـــــه لـــــنْ يحومـــــا
مـــــا تجلـــــى بـــــه لـــــك الحـــــقُّ إلاّ وغـــــدا يصـــــفقُ الحســـــودَ وجومـــــا
فالعجيـــــب العجـــــاب أنّـــــك موســـــى ونـــــرى مَـــــنْ ســـــواك كـــــان الكليمـــــا

---

١ - المراجل: القدور.

٢ - المجاجة: العصارة.

باسطاً بالندى بنانَ يدٍ بيضا ... لم يغدُ طرفة مضموما

هي شكلٌ للجودِ ينتجُ دأبا ... وسواها قد جاء شكلاً عقيما

أيّها المستقمُ الحواسدَ غيظا ... بالنُهى كم شفيتَ فكراً سقيما

أنت لطفٌ لكنْ تجسمت شخصا ... فغدا منُّك الجسيم جسيما

كم لعامٍ مسحتَ وجهاً بأندي ... من وجوه الغرّ الغوادي أديما

تلكَ راحٌ كم روحتّنا وكفٌ ... كم بها اللهُ كفَّ عنّا الهموما

علمتْنا هي الثنا فانتقينا ... من مزايا علاكَ درّاً يتيما

فلك الفضلُ إنْ نظمنا لأنا ... منك نهدي إليك عقداً نظيما

عصم اللهُ دينه بك يا مَنْ ... كان من كلّ مأثم معصوما

لا أرى يملك الحسودُ سوى ما ... إنْ عددناه كان فيه ذميما

بصراً خاسئاً وكفّاً أشلا ... وحشاً ذاعراً وأنفاً رغيما

قد تقلدتها إمامةَ عصرٍ ... سدتَ فيها الإمامَ والمأموما

قدمتْ منك واحدَ العصر يا مَن ... عاد نهجُ الرشاد فيه قويما

قدّمتْ فيكَ ثاني الغيثِ كفّا ... ثالثَ النيّرين وجهاً وسيما

قدّمت منك يا أدلّ على الله ... عليماً ناهيك فيه عليما

قدّمتْ يا أجسُّ للحكم نبضا ... منك طبّاً بالمعضلات حكيما

قد نظرنا بك الأئمة حلما ... وحجّى راسخاً وفضلاً عميما

وروينا فيالدين عنك حديثا ... ما روينا في الدين عنك قديما

بكَ منهم بدت مناقب غرّ ... في سماء الهدى طلعنَ نجوما

هي طورا تكونُ رشداً لقومٍ ... ولقومٍ تكون طوراً رجوما

فأقمْ في عُلىً ترى كلَ آنٍ ... مقعداً للعدوّ منها مقيما

لم يكنْ ودُّنا مقالاً علكناهُ ... كما يعلك الجوادُ الشكيما

بل وجدناكَ حجة الله فينا ... فنهجْنا صراطكَ المستقيما

ولنـــا اليـــوم أنـــتَ في الأرضِ ظـــلٌ وغـــداً نســـتظلُ فيـــك النعيمـــا

وقال يمدحه أيضاً ويعزّيه بوفاة ولديه الشيخ علي والشيخ باقر:

إليـــكَ وقـــد كلَّـــتْ علينـــا العـــزائمُ سـرتْ بتحيـــات المشـــوقِ النســـائمُ
تحـــاكمنَ في دعـــوى التفـــوُّق بالشـــذا إليـــك وكـــلٌ طيبـــاتٌ نـــواعمُ
ولا مـــدّعٍ عـــنّي ســـوى خـــالص الهـــوى ولا شـــاهدٌ إلاّ العُلـــى والمكـــارمُ
وأغلـــبُ ظنّـــي أن خلقـــكَ للـــتي حكـــتْ طيبـــه وهـــي التحيـــات حـــاكمُ
أمـــا وأيـــادٍ أوجـــب المجـــدُ شـــكرَها بهـــا لم تنـــبْ عـــن راحتيـــكَ الغمـــائمُ
لأنـــتَ الـــذي منـــه تـــردُّ أمورنـــا إلى عـــالمٍ مـــا فوقـــه اليـــوم عـــالمُ
إلى قـــائمٍ بـــالحقّ داعٍ إلى الهـــدى لـــه اللهُ عمّـــا يكـــره الله عاصـــمُ
إلى خـــير أهـــل الأرض بِـــرّاً ونـــائلا وأكـــرم مَـــن تثـــنى عليـــه الأكـــارمُ
منـــارُ هـــدىً لـــولاه لاغتـــدت الـــورى بمجهـــل غـــيٍّ ضـــمّها وهـــو قـــاتمُ
وســـيف هـــدىً يمحـــو الضـــلالة حـــدُّه ويثبـــت منـــه في يـــد الـــدين قـــائمُ
وعـــار مـــن الآثـــام عـــفَّ ضـــميره وكـــأسٌ مـــن التقـــوى مـــن الـــذكر طـــاعمُ
وجـــدناه مـــا يـــأتي الزمـــان بمثلـــه وهـــل تلـــد الأيـــامُ وهـــي عقـــائمُ
فـــتىً أظهـــر اللهُ العظـــيم جلالـــه ولـــيس لمـــا قـــد أظهـــر اللهُ كـــاتمُ
وشـــادَ بـــرغم الحاســـدين عـــلاءه ولـــيس لمـــا قـــد شـــاده اللهُ هـــادمُ
وذو هيبـــةٍ لـــو أُشـــعِر الليـــثُ خوفهـــا لمـــا ثبتـــتْ في الأرض منـــه القـــوائمُ
وأردفهـــا أخـــرى فكانـــت عظيمـــةً تهـــون لـــديها في الزمـــان العظـــائمُ
فصـــابرتها في الله وهـــي عظيمـــةٌ أُقيمـــت لهـــا فـــوق الســـماء المـــآتمُ
وحـــزتَ ثوابـــاً لـــو يقسَّـــم في الـــورى لحطـــتْ بـــه في الحشـــر منهـــا الجـــرائمُ
فأنـــت لعمـــري أصـــلبُ النـــاس كلّهـــا قنـــاةَ عُـــلاً لم تســـتلنها العـــواجمُ
وأوســـع أهـــل الأرض حلمـــاً مـــتى تضـــقْ لـــدى الخطـــب مـــن أهـــل الحلـــوم الحيـــازمُ

عنت لك أهلُ الكبرياء وقبّلتْ ... ثرى نعلك الحساد والأنف راغمُ

نرى علماء الدين حتفاً تتابعوا ... وحسب الهدى عنهم بأنّك سالمُ

فأنت بهذا العصر للخير فاتحٌ ... وأنت به للعلم والحلم خاتمُ

وأنت لعمري البحرُ جوداً ونائلا ... وأنملك العشرُ الغيوث السواجمُ

فيا منفقاً بالصالحات زمانه ... فداً لك مَنْ تفنى سنيه المآثمُ

بقيتَ بقاءً لا يحدُّ بغايةٍ ... وأنت على حفظ الشريعة قائمُ

ولو قلتُ عمر الدهر عمَّرتَ خلتَني ... أسأتُ مقالي ذلك الدهر خادمُ

تنبّهَ لي طرفُ التفاتك ناظرا ... إليَّ وطرف الدهر عنّي نائمُ

فأدعو لنفسي إن أقل دمٌ لأنّني ... تدوم لي النعما بأنّك دائمُ

فما أنا لولا روض خلقِك رائدٌ ... ولا أنا لولا برقُ بشرِك شائمُ

ودونكها غراء تبسم لؤلؤا ... من القول لم يلفظه بالفكر ناظمُ

فرائدُ من لفظٍ عجبتُ بأنّني ... أبا عذرها أُدعى وهن يتائمُ

ومدره قولٍ يغتدي ولسانه ... لوجه الخصوم اللد بالخزي واسمُ

ينال بأطراف اليراع بنانه ... من الخصم ما ليست تنال اللهاذمُ

فأقلامه حقّاً قنا الخط لا القنا ... وآراؤه لا المرهفات الصوارمُ

حمى الله فيه حوزة الدين واغتدت ... تصانُ لأهل الحق فيه المحارمُ

فيا منسياً بالجود معناً وحاتما ... ألاّ إنّ معنىً من معانيك حاتمُ

محيّاكَ صاحٍ يمطر البشرَ دائما ... وكفُّك بالجدوى لراجيك غائمُ

وتخفض جنحاً قد سما بك فارتقى ... إلى حيث لا بالنسر تسمو القوادمُ

تدارك فيه اللهُ أحكامَ ملّةٍ ... قد اندرستْ لولاكَ منها المعالمُ

ألا إنّ عينَ الدين أنت ضياؤها ... وأنت لها من عائر الشرك عاصمُ

شهدتُ لأهل الفضل أنّك خيرُهم ... شهادةَ مَنْ لم تتبعه اللوائمُ

وإنّك ظلُ الله والحجة التي ... تدين لها أعرابها والأعاجمُ

وعنـــدك جـــودٌ يشـــهد الغيـــثُ أنّـــه هـــو الغيـــث لا مـــا جـــدنَ فيـــه الغمـــائمُ
يطـــبُّ بـــه الأعـــداء والـــداء معضـــلٌ وترقـــى بـــه الأيـــام وهـــي أراقـــمُ
ســـبقتَ لتفـــريج العظـــائم في الـــورى فخـــرتَ ثناهـــا واقتفتـــك الأعـــاظمُ
وصـــادمت الجُلـــى حشـــاك فلـــم يكـــن ليأخـــذَ منهـــا خطبُهـــا المتفـــاقمُ
فلـــو لم يكـــن مـــن رقّـــةٍ قلـــتُ مقســـما لقـــد قـــرع الصـــلدَ الملُّـــم المصـــادمُ
وبـــالأمس لمـــا أحـــدث الـــدهرُ نكبـــةً إلى الآن منهـــا مـــدمعُ الفضـــل ســـاجمُ
تلقيتَهـــا بـــالحلم لا الصـــدرُ ضـــائقٌ وإن كـــبرتْ فيـــه ولا القلـــب واجـــمُ

وقال يمدح السيد عبد الرحمن النقيب[1] ضمن كتاب:

لي العـــذرُ كـــلَّ لســـانُ القلـــمْ وجـــفَّ بمـــا فـــوق طرســـي رُســـمْ
وعنـــدي ولا عـــربيٌّ ســـواه لســـانٌ بهـــذا المقـــام العجـــم
أكلفُـــه نعـــتَ ســـعد الســـعود ومَـــن للثريّـــا بـــه وهـــو فـــم
وغايـــة وصـــفي لـــه أن أقـــول: يـــا علمـــاً ويقـــلُّ العلـــم
تركـــتُ لناديـــه عـــدَّ البقـــاع وعـــديتُ عـــن قـــول هـــذا الحـــرم
كتركـــي لـــه عـــدَّ أفرادهـــا وكيـــف بتعـــداد خـــير النســـم
وقلـــتُ أرى الأرض في مجلـــسٍ لمـــن تحـــت طـــيٍ رداه الأمـــم
هـــو البـــدر لكنّـــه للكمـــال وبـــدرُ الســـما بـــين نقـــصٍ وتم
مِـــن المـــاثلين بصـــدر النـــديّ رزان الحلـــوم رزان القمـــم
فيـــا مـــنْ إذا غـــاب قـــال الحضـــور: وإن حضـــر القـــولُ كـــلُّ أرم
منيـــتَ ابتـــداءً بـــدرّ المقـــال ويـــا بحـــرُ بـــالطبع منـــك الكـــرم

---

١ - السيد عبد الرحمن ابن السيد علي ابن السيد سلمان النقيب الكيلاني، تقلّد النقابة بعد أخيه عام ١٩١٥، وكان من سراة القوم ومشاهيرهم، له إحاطة بكثير من العلوم والفنون، وكانت لديه مكتبة واسعة ضمّت النوادر من الكتب، وقد ألّف أوّل وزارة عراقية. توفّي عام ١٩٤٥ هـ، وخلف أولاداً.

نعم حقَّ لي فيك شكرُ الزمان فحسنُ اعتنائك أعلى النعم
ولكن عجزت فمالي يدٌ بما يستقلُّ بهدى الحكم

وقال يمدح بعض الأجلاّء:

قد أصبح الدهرُ يجلو منظراً حسنا من ليلةٍ طوقّتْ جيدَ العُلى مننا
إلى كريمكَ قد زفّتْ كريمتُه فزفّت الدهرَ والإقبالَ واليمنا
لقد غدتْ بهم (الزوراء) لابسةً ثوباً من الزهو فيه فاخرتْ (عدنا)
يا بن الذين يبارون الصَبا كرما والروضَ خلقاً وأطراف القنا لسنا

وقال يمدح العلاّمة الكبير السيد مهدي القزويني وأنجاله:

حيثْكَ بكرُ النظم غدوه تجلو الثنا شغفاً وصبوه
بنواصع من لفظها مثل الشموس بزغنَ ضحوه
طربتْ لمدحكَ هيفُها فثنتْ معاطفَ ذات نشوه
جاءتكَ تشكرُ أنعما سبقتْ إليها منك حلوه
أوقرتها منناً أتتْ منك ابتداءً لا بدعوه
عن حملها ضعفت وفي ها أُعطيتْ للسعي قوَّه
فأتتْ تقاصرُ عن خُطاها خطوةً ثقلتْ فخطوه
ودعتْك يا مَنْ ليس يحنو والدٌ أبداً حنّوه
ماذا أقولُ بمدح مَنْ فيه كتابُ الله نوّه
علمُ الهدى السامي الذي لا تلحق العلماءُ شأوه
ورثَ الأئمة كلّما قد ورثوا من غير صفوه
فحوى جميعَ خصالهم إلاّ الإمامة والنبوّه
أمنازعيه رياسةً كلٌ بها يبغي علوَّه
مِن أين أنتم إنّما إرثُ الأبوة للبنوّه

بـــــل مـــــا لكـــــم في الاشـــــتراكِ مـــــع ابـــــن وحـــــيِ الله حظـــــوه
حيـــــث الإمـــــامُ بكـــــلّ عصـــــرٍ واحـــــدٌ هـــــو فيـــــه قـــــدوه
وإمامُنـــــا مهـــــديُّ هـــــذا الـــــ عصـــــرِ نلجـــــأ فيـــــه نحـــــوه
هـــــذا بقيَّـــــةُ جـــــدّهِ هـــــل فـــــيكمُ تجـــــدون كفـــــوه
ورعٌ جميـــــــعُ فعالـــــــه للهِ لا لهـــــــوىً وشـــــــهوه
لا مضـــــمراً غشّـــــاً عليـــــه بزبـــــرج التقـــــوى ممـــــوّه
لكـــــن تمحَّـــــض للإلـــــهِ تقـــــيً بكـــــلّ مـــــلاً وخلـــــوه
جـــــارٍ علـــــى حـــــالٍ بهـــــا أضـــــحى لأهـــــل الـــــدين أســـــوه
فاشـــــددْ يـــــدك بـــــه فمـــــا للـــــدين أوثـــــق منـــــه عـــــروه
كـــــم فـــــكَّ مـــــن عـــــانٍ وكـــــم قـــــد راشَ محصوصـــــاً بثـــــروه
وصـــــعابِ أمـــــرٍ أسلســـــتْ مـــــذ راضَـــــها مـــــن بعـــــد نخـــــوه
فهـــــو ابـــــنُ قـــــومٍ لا تحـــــلُّ لهـــــم يـــــدُ الـــــلاواء حبـــــوه
وأبـــــو أطايـــــبَ لم تقـــــمْ عـــــن مـــــثلهم في الـــــدهر نســـــوه
قمـــــرُ الســـــماء أبـــــوهُم شـــــرفا وهـــــم والشـــــهبُ أخـــــوه
ولِـــــدوا ببيـــــتٍ مـــــن بيـــــو ت الـــــوحي أعلاهـــــنَّ ذروه
وتراضـــــعوا لـــــبنَ الإمـــــا مـــــة فيـــــه مـــــن ثـــــديِ النبـــــوّة
بيـــــتٌ لأبكـــــار المكـــــا رم كـــــل يـــــوم فيـــــه جلـــــوه
هـــــو كعبـــــةٌ والجـــــودُ مشـــــ عـــــرةُ ومروتـــــه المـــــروّه
نعْـــــمَ المنـــــاخُ بيـــــوم ضيـــــ قـــــةِ فاقـــــةٍ وبليـــــل شـــــتوه
فـــــازرعْ رجـــــاكَ بـــــه تجـــــدْ ه كحبَّـــــةِ نبتـــــتْ بربـــــوه
للجـــــود فيـــــه جعفـــــرٌ كرمـــــاً يعـــــدُ البحـــــرَ حســـــوه
ويريـــــكَ لـــــينُ يديـــــه رقـــــ ـــــة غاديـــــات الســـــحب قســـــوه
في كـــــلّ يـــــومٍ في حمـــــاه لغـــــارة الآمـــــال غـــــزوه

تُسـبي مواهبُـه بهـا ... ويُسـرُّ إذ يؤخـذْنَ عنـوه
كـم فـاحَ مـن أعطافـه ... أرجُ الفخـار بـدار نـدوه
ولكـمْ إلى شـرفٍ جـرى ... وجـرتْ بنـو العليـاء تلـوه
فهـووَا وحلَّـقَ يركـبُ الـ ... ـشـعرى العبـورَ إليـه صـهوه
بشـراكِ سـائمة الرجـاءِ ... فلـم تـرىْ مـا عشـتِ جفـوه
قـد جـاء أكـرمُ مَـن بـه ... أمـلُ العفـاة أنـاخَ نضـوه
لقيـتْ أخاهـا المكرمـاتُ ... فلـم تخـفْ للبخـل سـطوه
هـو ذاك نعْـمَ فـتى السـما ... حـةِ والسـجاحة والفتّـوه
مـاءُ الحيـاة لـذي الهـوى ... ولقلـبِ ذي الشـحناء جـذوه
مـا إن سمـا لعُلـىً تـودُّ ... النـيّراتُ بهـا علـوّه
إلاّ التقـى معـه أخـوه ... (صـاحٌ) منهـا بـذروه
هـذا المنـوّهُ في المعـالي ... باسمـه هـذا المنـوّه
غـيظُ الحسـود إذا بـدا ... شـرقُ الخصـيم إذا تفـوّه
فيـه سمـاتُ الفضـل تشـهدُ ... أنّـه في الفضـل قـدوه
تحكـى شمائلـه شمـا ... ئـلَ مَـنْ غـدا في المجـد صـنوه
روحُ الكمـال (محمـدٌ) ... أكـرمْ بـه للمجـد صـفوه
هـو و(الحسـين) مـن العُـلا ... كلاهمـا عنـقٌ وصـهوه
ريحانتـا شـرفٍ تضـوّ ... عَ منهمـا أرجُ النبـوّه
يـا أخـوةَ الشـرف الرفيـع ... وبوركـتّ تلـك الأخـوّه
حيـتكُمُ بدويَّـةٌ ... هـي عـن سـواكمْ ذاتُ نبـوه
مخضـتْ ثميلتهـا لكـم ... حلـبَ الثنـاء صـريحَ رغـوه
وسـقتكمُ منهـا مكـا ... فئـةَ علـى الإحسـان صـفوه
وإذا اكتسـتْ حلـلُ القبـو ... ل فحـقَ أنْ تختـالَ زهـوه

المراثي

قال (رحمه اللّه) يرثي الحاج مهدي كبّه[١]، ويعزّي أباه الحاج محمد صالح:

غمضـــــت بغتـــــةً جفـــــونُ الفنـــــاءِ ... فـــــوق إنســـــانِ مقلـــــة العليـــــاءِ
ولـــــه نقبّـــــت بغاشـــــية الحـــــزن ... محيّـــــا الـــــدنيا يـــــدُ النكبـــــاءِ[٢]
حمّلـــت وقـــر عبئهـــا كاهـــلَ الدهـــ ... ـرِ فأمســـى يرغـــو[٣] مـــن الإعيـــاءِ
نكبـــةٌ لم تـــدعْ جليـــداً علـــى الوجـــ ... ـدَ[٤] ولا صـــابراً علـــى الـــلأواءِ
ليـــت أمّ الخطـــوب تعقـــمُ مـــاذا ... أنتجـــت بغتـــة مـــن الأرزاءِ؟!
ولـــدت حـــين عنّســـت[٥] هرمـــاً مـــا ... لم تلـــدْ مثلـــه بوقـــت الصـــباءِ
فأصـــابت يـــداه في حـــرم المجـــدِ ... فـــؤادَ العليـــا[٦] بســـهم القضـــاءِ
فقضـــت نحبهـــا، وغـــيرُ عجيـــبٍ ... قـــد أُصـــيبت بـــأرأس الأعضـــاءِ
يـــا صـــريعَ الحمـــام صـــلّى عليـــك ... اللّهُ مـــن نـــازلٍ بربـــع الفنـــاءِ
وســـقى منـــه تربـــةً ضـــمنت جسمَـــ ... ـك غيـــث الغفـــران والنعمـــاءِ
فحقـــيرٌ نـــؤُ الجفـــون ومـــا قـــ ... ـرُ جفـــون الســـحاب والأنـــواءِ
أيـــن عـــيس المنـــون فيـــك[٧] اســـتقلت ... بالحصـــيف المضـــقّر[٨] الآراءِ
ذهبـــت في معـــرس الســـفر جـــودا ... وروى حـــوَّم الأمـــاني الظمـــاءِ
نعـــم ربُّ النـــديّ حلمـــاً إذا النكـــ ... ـباءُ طـــارت بحوبـــة الحلمـــاءِ
نعـــم ربُّ الحجـــى إذا أكـــل الطيـــ ... ـشُ حجـــى الحـــازمين في الـــلأواءِ

---

١ - أكبر أولاد أبيه، وممّن ذكره الشاعر في العقد المفصل فقال: كان مذ ترعرع فريد زمانه في كرمه وإحسانه، وواحد عصره في شرف نفسه وفخره، قد برع في البلاغة والفصاحة، واشتهر من كرم أخلاقه بالسجاحة والسماحة، جامعاً بين نباهة الفكر وجلالة القدر، ولد عام ١٢١٩ هـ. وتوفّي في إيران عام ١٢٧١ هـ، وحُمل جثمانه إلى النجف، وقد أثبتنا تأريخ وفاته في باب التاريخيات.

٢ - في الديوان المطبوع: الغماء.

٣ - وفيه: يزغو.

٤ - وفي العقد المفصل: على الخطب.

٥ - وفي المطبوع: غلت.

٦ - وفي نسخة: العُلى.

٧ - وفي نسخة: منك.

٨ - كذا في الأصل، ولعلّه يريد المحكم الرأي من ضفر بمعنى شدّ وأحكم.

نعـــم ربُّ النـــدى إذا كســـع[١] الشـــولُ ... بأغبارهـــــا عيـــــالَ الشـــــتاءِ

نعـــم ربُّ القِـــرى إذا هبَّـــت الريـــ ... ـحُ شمـــــالاً في الشـــــتوةِ الغـــبراءِ

نعـــم ربُّ الجفـــان ليلـــةَ يُمســـى ... بضـــــياهنَّ مقمـــــرُ الظلمـــــاءِ

يـــا عفـــاء الأنـــامِ شـــرقاً وغربـــا ... دونكـــم فـــاحتبوا بثـــوبِ العفـــاءِ

واقصـــروا أعـــينَ الرجـــاء قنوطـــا ... مَـــنْ إليـــهِ تمتـــدُّ في البأســـاءِ؟

وانحبـــوا عـــن حريـــقِ وجـــدٍ لمـــنْ كـــا ... ن علـــيكم أحـــنى مـــن الآبـــاءِ

(يســـتقلُ الحبـــا لكـــم إن وفـــدتم ... ولـــو المشـــرقان بعـــضُ الحبـــاءِ)[٢]

لـــو بكتـــهُ عيـــونكم وأفضـــن الأ ... بحـــرُ الســـبع والحيـــا في البكـــاءِ

لم تفـــوّه معشـــارَ مـــا قـــد أفاضـــت ... لكـــــم راحُ كفّـــــهِ البيضـــــاءِ

رحّلـــوا العـــيس قاصـــدين ضـــريحا ... فيـــه مـــا فيـــهِ مـــن عُـــلاً وســـخاءِ

واعقِـــروا عنـــدهُ وجـــلَّ عـــن العقـــر ... قلوبـــــاً مطلولـــــة الســـــوداءِ

جـــدثٌ مـــاءُ عيشـــكم غـــاض فيـــه ... فانضـــــحوا فوقـــــهُ دمَ الأحشـــــاءِ

حـــلَّ فيـــه مـــنْ قـــد كفـــى (آدمـــاً) في ... غيـــث جـــدواهُ عيلـــة الأبنـــاءِ

(ليـــتَ شـــعري أنّى دنـــا المـــوتُ منـــه ... وهـــو في ربـــع عـــزّةٍ قعســـاءِ)[٣]

(هـــل أتـــاهُ مســـترفداً حـــين أعطـــى ... مـــا حوتـــه يـــداهُ للفقـــراءِ)[٤]

ودَّت المكرمـــــاتُ أن تفتديـــــه ... ببنيهـــــا الأماجـــــدَ الكرمـــــاءِ

هـــم مكـــانُ الجفـــون منهـــا ولكـــن ... هـــو في[٥] عينهـــا مكـــانُ الضـــياءِ

وهـــم في الحيـــاة مـــوتى ولكـــن ... هـــو ميـــتٌ يعـــدُّ في الأحيـــاءِ

فحبـــا نفسَـــهُ الـــردى إذ[٦] أتـــاه ... مســـتميحاً يمشـــي علـــى اســـتحياءِ

بعـــد مـــا عاشـــت العفـــاةُ زمانـــا ... مـــن نـــداهُ في أســـبغِ النعمـــاءِ

---

١ - كسع الناقة بنيرها، ترك في ضرعها بقية من اللبن، والشول: جمع شائلة، وهي من الإبل التي خفّ لبنها بعد مرور مدّة على حملها ووضعها.

٢ - هذه الأبيات من زيادات العقد المفصل.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - وفي نسخة: من.

٦ - وفي نسخة: مذ.

علمـــــــت فقرَهـــــا ولم تعلـــــم ... إليـــــه الـــــردى مـــــن الفقـــــراءِ

يـــا عقيـــدي علـــى الجـــوى كـــبر[1] الخـــط ... بُ فـــــأهون بالدمعـــــةِ البيضـــــاءِ

أجـــرِ مـــن ذوب قلبـــكَ الدمعـــةِ الحمـــ ... راء حزنـــــاً في الوجنـــــةِ الصـــــفراءِ

عـــودُ صـــبري مـــن اللحـــا قـــد تعـــرّى ... فانبـــذ الصـــبرَ لوعـــةً في العـــراءِ[2]

إن تســـلني عـــن ظلمـــة الكـــون لمـــا ... حُلـــن أنـــوارَ أرضـــه والســـماءِ

فهـــو أثـــوابُ ليـــلِ حـــزن دجـــاه ... طبّـــق الخـــافقين بالظلمـــاءِ

قـــد خفقـــن النجـــوم منـــهُ بجـــنحٍ ... ســـامَ أنـــوارَهن بالإطفـــاءِ

ولبـــدر الغـــبراءِ حـــال أخـــوه ... بـــدرُ أهـــل الغـــبراءِ والخضـــراءِ

وإلى الشـــمسِ قـــد نعـــوه فماتـــت ... جزعـــاً مـــن سمـــاع صـــوتِ النعـــاءِ

ولـــهُ غـــصَّ بالمصـــاب ولمـــا ... يتـــنفّس حـــتى قضـــى ابـــن ذُكـــاءِ

وقـــف المجـــدُ ناشـــداً يـــومَ أودي ... شـــاحبَ الوجـــه كاســـفَ الأضـــواءِ

هـــل تـــرى (صـــالحاً) علـــى الأرضِ لمـــا ... غـــاب فيهـــا (المهـــديُّ) بـــدرُ العـــلاءِ

قلـــت خفّـــض عليـــك مـــن عظـــم الأمـــ ... ر ونهنـــه مـــن لوعـــةِ البرحـــاءِ

لـــيس إلاّ (محمـــدٌ صـــالحٌ) يوجـــد ... في الأرضِ مـــن بـــني حـــواءِ

في التقـــى[3] والصـــلاح والزهـــد والخشـــية ... والنســـكِ بـــل وحســـنِ الرجـــاءِ

هـــي في العـــالمين أجـــزاء لكـــن ... هـــو كـــلٌّ لهـــذه الأجـــزاءِ

وبيـــوم المعـــادِ لـــو لقَـــى الخلـــ ... قَ بأعمالـــهِ إلـــهُ الســـماءِ

كـــان حقّـــاً أن يعـــدم النـــارَ إذ لـــيس ... نصـــيبٌ للنـــارِ في الأتقيـــاءِ

لـــيس ينفـــكّ للجميـــلِ قريبـــا ... وبعيـــداً عـــن خطّـــةِ الفحشـــاءِ

ومهابـــاً لـــه علـــى أعـــين الـــدهرِ ... قضـــى الكبريـــاءَ بالإغضـــاءِ

وبليغـــاً قـــد انـــتظمن معانيـــ ... ه[4] بســـلكِ الإعجـــاز للبلغـــاءِ

---

١ - وفي نسخة: عظم الخطب.

٢ - وفي نسخة: بالعراء.

٣ - وفي نسخة: فالتقى.

٤ - وفي نسخة: معاليه.

وفصـــيحاً بنطقـــه يخـــرس[١] الدهـــ ... رَ فمـــا قـــدرُ ســـائر الفصـــحاءِ

فـــارسُ المشـــكلات إن نـــدبوه ... لبيـــان المقالـــة العوصـــاءِ

فهـــو مـــن غـــرِ[٢] لفظـــهِ يطعـــن الثغـــ ... رةَ منـــه بالحجّـــةِ البيضـــاءِ

واحـــدُ الفضـــلِ مـــا لـــه فيـــه ثـــانٍ ... غـــير (عبـــد الكـــريم) غيـــثُ العطـــاءِ

بعقـــودِ الثنـــاءِ فخـــراً تحلّـــى ... وتحلّـــت بـــه عقـــودُ الثنـــاءِ

الـــذكيُّ الـــذي إذا قســـتَ أهـــلَ الـــ ... فضـــل[٣] فيـــه كـــانوا مـــن الأغنيـــاءِ

والمصـــلّي للمجـــد خلـــف[٤] أخيـــه ... في ســـباقِ الأشـــباه والنظـــراءِ

ضـــربا في العُلـــى بعـــرقٍ كـــريمٍ ... واحـــدٍ دون ســـائر الأكفـــاءِ

ينتمـــي كـــلُّ واحـــدٍ منهمـــا عنـــ ... د انتســـاب الأبنـــاء للآبـــاءِ

للكـــرام الأكـــفِّ تحســـب فـــيهنَّ ... يـــذوب الغمـــامُ يـــوم الســـخاءِ[٥]

معشـــرُ المجـــدِ، شـــيعةُ الشـــرفِ البـــا ... ذخ، بـــيضُ الوجـــوهِ خضـــرُ الفِنـــاءِ

قـــد حبـــاهم (محمـــدٌ) بجميـــل الـــ ... ذكـــر إذ كـــان (صـــالحَ) الأبنـــاءِ[٦]

يقـــظُ القلـــبِ في حياطـــةِ ديـــن اللّـــ ... هِ حـــتى في حالـــة الإغفـــاءِ

ذو يمـــينِ بيضـــاء لم تتغيَّـــرْ ... بأثـــام (البيضـــاءِ) و(الصـــفراءِ)

يـــا عليمـــاً يصـــيب شـــاكلة الغيـــ ... ب بتســـديد[٧] أســـهم الآراءِ

وكظيمـــاً للحـــزن يطـــوي حشـــاه ... جلـــداً فـــوق زفـــرةٍ خرســـاءِ

لـــك ذلّـــت عرامـــة[٨] الـــدهر حـــتى ... لـــكَ أمســـى يُعـــدُّ في الوصـــفاءِ[٩]

ملكـــت رقّـــة يمينـــك فالعـــا ... لمُ مـــن رقّـــهِ مـــن العتقـــاءِ

---

١ - في العقد المفصل: أخرس.

٢ - وفي نسخة: عز.

٣ - وفي الديوان المطبوع: أهل الأرض.

٤ - وفيه أيضاً: بعد.

٥ - يقصد قبيلة ربيعة التي ينتسب لها آل كبّه.

٦ - وفي مخطوطة الملاّ: الآباء.

٧ - في الديوان المطبوع: بتشديد، وهو غلط.

٨ - عرامة: وهي الشدّة، وفي المطبوع غرامية.

٩ - الوصفاء: الخدم.

ولـــئن قـــد أســـاء فالعبـــدُ للمـــو ... لى مســـيءٌ جهـــلاً بغـــير اهتـــداءِ

أنـــتَ أطلقـــت أســـر أعوامـــهِ الغبـــ ... ر مـــن الجـــدبِ بالنـــدى والســـخاءِ

فجـــنى مـــا جـــنى، وغـــير عجيـــبٍ ... إنّمـــا الســـوء عـــادةَ الطلقـــاءِ

ولـــئن كـــان مســـخطاً لـــك بالأمـــ ... س بهـــذي المصـــيبة الصـــمّاءِ

فلـــك اليـــوم في (محمـــدٍ) النـــدب ... (الرضـــا) عنـــهُ فهـــو أعلـــى الرضـــاءِ

ذو محيّـــاً كالبـــدر يقطـــر منـــه ... مثـــل طـــلِّ[1] الأنـــداء مـــاءُ الحيـــاءِ

وعُـــلاءٍ هـــي الســـماءُ، مساعيـــ ... ـه نجـــومٌ لألاؤهـــا بالضـــياءِ

ومزايـــا لم أرض نظمـــىَ فيهـــا ... ولـــو أنّي نظمـــتُ شـــهبَ الســـماءِ

أو فـــمُ الـــدهر كنـــتُ فيـــه لســـانا ... ناطقـــاً مـــا بلغـــتُ بعـــض الثنـــاءِ

دون إحصـــائها الكـــلامُ تنـــاهى ... فغـــدت مســـتحيلة الإحصـــاءِ

تيَّمـــت[2] قلبـــه حســـانُ المعـــالى ... بهـــواهنَّ، لا حســـانُ الظبـــاءِ

وعلـــى الخلَـــق خلقُـــه فـــاض بالبشـــ ... ـر فـــأزرى بالروضـــة الغنّـــاءِ

خُلـــقٌ شـــفَّ، فـــالهواء كثيـــفٌ ... عنـــده إن قرنتـــه بـــالهواءِ

أرضـــعته العـــلاءُ ثـــدياً وثـــديا ... رضـــع (المصـــطفى) ابـــنُ أمّ العـــلاءِ

فهمـــا في الزمـــان يقتســـمان الـــ ... ـفخـــرَ دون الـــورى بحـــظٍ ســـواءِ

ألفـــت نفسُـــه الســـماحَ فتيّـــا ... بُوركـــا مـــن فتـــوةٍ وفتـــاءِ

وحـــوى الفضـــلَ يـــافعَ الســـنِّ لمـــا ... فـــات شـــوطَ المشـــايخِ العظمـــاءِ

يـــا رحـــابَ الصـــدور في كـــلّ خطـــبٍ ... وثقـــالَ الحلـــوم عنـــد الـــبلاءِ

لـــن تضـــلوا الســـبيلَ والبـــدرِ (هـــادٍ) ... لكـــم في دجنَّـــة الغمّـــاءِ[3]

وأخـــوه (محمـــدٌ) حلمكُـــم فيـــه ... حســـين رأسٍ لـــدى النكبـــاءِ[4]

---

١ - في المطبوع: ظل.

٢ - تيمت استعبدت. شغفت.

٣ - وفي المطبوع: الظلماء.

٤ - يشير إلى عبد الهادي ومحمد حسين أبناء الحاج محمد رضا.

ولكـــــم أوجـــــهٌ بكـــــلّ مهـــــمٍّ[1] لـــيس منهـــا يحـــول حســـنُ الثنـــاءِ
ونفـــــوسٌ إذا التقـــــت بالرزايـــــا غـــــير مضـــــعوفة القـــــوى باللقـــــاءِ
وكملـــس الصـــفا قلـــوبٌ لـــدى الخـــط ب بهـــــــا رنٌّ[2] مقطـــــــعُ الأرزاءِ
إن أسمكـــم حســـنَ الأســـى ولأضـــعا ف أســـاكم تضـــمَّنت أحشـــائي
فلكـــم بعضـــكم بـــبعضٍ عـــزاءٌ ولنـــا فـــيكم جميـــل العـــزاءِ

وقال يرثي طفلاً له صغيراً[3]:

هـــل يطربنَّـــك يـــا زمـــانُ نعـــائي؟ أم أنّـــكَ اســـتعذبت مـــاءَ بكـــائي؟
في كـــلّ يـــومٍ منـــك ألقـــى شـــدّةً ولأنـــت يومـــاً شـــدَّةٍ ورخـــاءِ
لا زلـــت ملحـــمَ غـــارة الأرزاء أو حاشـــداً جيشـــاً مـــن النكبـــاءِ
حـــتى أصـــبتَ صـــميمَ قلـــبي بغتـــةً وطـــرقتني بفجيعـــةٍ صـــمّاءِ
لم تُبـــقِ لي جلـــداً، وكنـــتُ أخـــالني جلِـــداً بكـــلّ ملمَّـــةٍ دهيـــاءِ
ومعنـــفٍ طـــربِ المســـامع مـــا رمـــى عينيـــه صـــرفُ الـــدهر بالأقـــذاءِ
قـــد لامـــني وحشـــاه بـــين ضـــلوعه والأرضُ مطبقـــة علـــى أحشـــائي
أمعيـــبَ حـــزني لـــو ملكـــت تجلّـــدي مـــا بـــتُّ أمـــزجُ أدمعـــي ببكـــائي
أبـــنيَّ لـــو خُلِـــع البقـــاءُ علـــى امـــرئ لخلعـــتُ مـــن شـــغفٍ عليـــك بقـــائي
مُغـــفٍ قـــد امـــتلأت رديَ بـــدل الكـــرى عينـــاك فاقـــدَ لـــذة الإغفـــاءِ
داءٌ ترحَّـــل فيـــك غـــيّ معقـــبٌ في مهجـــتي للوجـــد أقتـــل داءِ
لهفـــي عليـــكَ بكـــلُ حـــين أبتغـــي فيـــه لقـــاكَ ولاتَ حـــين لقـــاءِ
ولـــئن حُجبـــتَ بحيـــث أنـــت مـــن الثـــرى عـــن نـــاظريَّ فأنـــت في أحشـــائي

---

١ - في المطبوع: ملم.

٢ - وفيه أيضاً: يهادن.

٣ - لم تثبت هذه المقطوعة في الديوان المطبوع، وقد ذكر وفاة هذا الطفل الصغير في (العقد المفصل) أنّها في سنة ١٢٦٦ هـ.

قُربتْ بك الذكرى وفيك نأى الردى نفسي فداؤك من قريبٍ ناءِ
لو متُّ من أسفي عليك فلم يكن عجباً، ولكنّ العجيب بقائي
لا زال قبرٌ ضمَّ جسمك تربُه متنسّماً بلطائمِ الأنداءِ
ولئن أبِتْ حيث استقلَّ بك الردى أن تستهلَّ حوافلُ الأنواءِ
فحدت إليك على البعاد مدامعي غيثاً جنوبُ تنفّس الصعداءِ

وقال يرثي كريمة العلاّمة الكبير السيد مهدي القزويني، ويعزّيه وأولاده بوفاتها:

كفأ الإلهُ إناءَها دنيا أطلتُ هجاءَها
سلني بها فلقد قتلتُ بخبرتي أنباءَها
وحلبتُ أشطرها معا ومعاً مخضت سقاءَها
ولها مواضعُ نقبها ثقةً وضعتُ هناءها
فالآن أنطق أن سبرن تجاربي آناءَها[1]
هي مَن خبرتُ طباعَها لما خطيتُ وراءها
فوجدت فاركةً وقلـ تُ أرى الطلاق دواءها
عنها إليك فإنّها تدع القلوبَ وراءها
لا تعزمنَّ بها البنا ء ودع لها أبناءها
ذاتُ التلوّن ما أقلّ على الصفاء وفاءها
قلُبُ الخدائع كلّها غمست بنَّ دِلاءها
كم أنفسٍ ملكت بزبـ ج حسنها أهواءها

---

١ - وفي نسخة: أبناءها.

دهيـــــــــــاءُ إلاّ أنّهـــــــــــا ... جهـــــــل الأنـــــــامُ دهاءهـــــــا

أبـــــــداً تـــــــدبُّ بهـــــا الهمـــــومُ ... إلى النفـــــــــــوس ضُـــــــــراءها

خبـــــــأتْ خشـــــــونة غـــــــدرِها ... لمـــــــن اســـــــتلان وطاءهـــــــا

كالصـــــــلِّ: لكـــــــن لا يصـــــــيبُ ... لـــــــــــديغها رقّاءهـــــــــا

خرقـــــــاء تُـــــــدعي بالصـــــــناع ... يـــــــــداً، فـــــــدع خرقاءهـــــــا

لا تـــــــرجُ نائلهـــــــا، فكـــــــم ... قطعـــــــت يـــــــداً ورجاءهـــــــا

وبهـــــدم عمـــــركِ قـــــد ســـــعت ... فلـــــــن نريـــــــد[1] بناءهـــــــا؟

اليـــــوم ترشـــــفُ زهوهـــــا ... وغـــــداً تعـــــالجُ داءهـــــا

مـــــا إن حمـــــدتَ صـــــباحها ... إلاّ ذممـــــــــتَ مســـــــــاءها

دارُ الفجـــــــــايع، والـــــــــروا ... يـــــع مـــــا أشـــــق عناءهـــــا!

يـــــا ناعمـــــاً حـــــتى كأنّـــــك ... لم تخـــــــــفْ بأســـــــــاءها

لا تطلـــــــبنَّ بهـــــا البقـــــاءَ ... فقـــــد عرفـــــتَ فناءهـــــا

ولقـــــد سمعـــــتَ وكـــــان أفـــــ ... ضـــــعُ مـــــا سمعـــــت نـــــداءها

أبـــــني الـــــتي أكلـــــت بأضـــــ ... راسٍ الـــــــــبلا أبناءهـــــــا؟

أو مـــــا كفـــــاكم أنّهـــــا ... ســـــقت الـــــردى أكفاءهـــــا؟

طـــــوت المقـــــاولَ كلّهـــــا ... وتحيَّفـــــــــت أذواءهـــــــا[2]

ولكـــــم ســـــعت ببشـــــارةٍ ... لـــــبس الزمـــــانُ بهاءهـــــا

فغـــــدت علـــــى إثـــــر البشـــــير ... بهـــــا تطيـــــل نعاءهـــــا

ولكـــــم دعـــــت (بكريمـــــةٍ) ... والمـــــوتُ كـــــان دعاءهـــــا

فاســـــــتُودعت جـــــــدثاً أرى ... منـــــه أضـــــمَّ خباءهـــــا

---

١ - وفي المطبوع: تريد.

٢ - المقاول: جمع مقول، وهو القيل بلغة أهل اليمن، والأذواء: ملوك اليمن؛ لتقدم (ذو) على أسمائهم، مثل: ذو يزن، وذو نواس.

وأرى الخفـــــــارةَ[1] خـــــــدرها ... وعفافَهـــــــا، وحياءَهـــــــا

وأراكَ في دار المكـــــــارم ... مـــــــا أجـــــــلَّ عزاءهـــــــا

مرضـــــت لـــــهُ اليـــــوم السمـــــاءُ ... بكاســـــــــفٍ أضـــــــواءها

وبكـــــت لغلّـــــة مَـــــن بهـــــم ... ســـــقت البســـــيطة ماءهـــــا

والأرض أضـــــــحت تقشـــــــعرُّ ... بمرجـــــــفٍ غبراءهـــــــا

رجَّـــــت[2] لوجـــــد الممسكيـــــ ... ـن بحلمهـــــــم أرجاءهـــــا

وعـــــرا القـــــذى عـــــينَ الزمـــــا ... ـن لمِـــــنْ جلـــــوا أقـــــذاءها

يـــــا خجلـــــة الـــــدنيا لِمـــــا ... لقيـــــت بـــــه عظماءهـــــا

وغلطـــــتُ فيمـــــا قلـــــتُ، بـــــل ... يـــــا مـــــا أقـــــلّ حياءهـــــا

أو مـــــا علـــــى دار النبـــــوَّ ... ة تابعـــــــت أرزاءهـــــــا؟

صـــــدعت بهـــــنّ حشـــــا الهـــــدى ... صـــــدعَ الـــــردى أحشـــــاءها

كـــــم مـــــرَّ مـــــن يـــــومٍ نـــــوا ... يحـــــهُ تعـــــطٌ[3] ملاءهـــــا

فـــــأتى بقارعـــــةٍ تزلـــــ ... ـزل أرضـــــــها وسماءهـــــا

طرقـــــت حمـــــى الـــــدار الـــــتي ... لـــــبس الـــــورى نعماءهـــــا

دارٌ بهـــــا فـــــتح الرشـــــا ... د بخـــــــاتمٍ علماءهـــــا

الســـــيدُ (المهـــــديُّ) أكـــــ ... ـرم مَـــــنْ وطـــــا حصـــــباءها

منـــــه بواحـــــدها الشريـــــ ... ـعـــــة كـــــاثرت أعـــــداءها

هـــــذا الـــــذي ببقائـــــه ... حفـــــظ الإلـــــهُ بقاءهـــــا

للفضـــــل مـــــا ارتفعـــــت سمـــــا ... إلاّ وكـــــان ذكاءهـــــا

هـــــو آيـــــة الله الـــــتي ... كســـــت الهـــــدى لألاءهـــــا

وأبـــــو كواكـــــبَ لا تضـــــي ... ء النّـــــيراتُ ضـــــياءها

---

١ - الخفارة: شدّة الحياء.

٢ - في الديوان المطبوع: رحبت.

٣ - عط: شق، الملاء: الثياب.

أنـــــــــــوارُ وحـــــــــــيٍ لا رأت عـــــــينُ الهـــــــدى إطفاءَهـــــــا

ونفـــــــوسُ قـــــــدسٍ قـــــــلَّ أن تغـــــــدو النفـــــــوسُ فـــــــداءَها

هـــــم أســـــرةُ الـــــدين الـــــتي فـــــرضَ الإلـــــهُ ولاءَهـــــا

ولهـــــا بواجـــــبِ ودّهـــــا صـــــفت القلـــــوبُ صـــــفاءَها

بســـــطت علـــــى الـــــدنيا أكفّـــــا مـــــا تغـــــبُّ ســـــخاءَها

وســـــرت بفضـــــلهم الـــــروا ة ففصَّـــــلت أنباءَهـــــا

وروت (بجعفـــــــرهم) لحـــــــا ئمـــــة الرجـــــاءِ رواءَهـــــا

ذاك الـــــذي نشـــــرت عليـــــ ـــــه المكرمـــــاتُ لواءَهـــــا

ومشـــــى علـــــى قـــــدمٍ غـــــدا وجـــــهُ الحســـــودِ حـــــذاءَها

ناهيـــك[1] مـــن قمـــرٍ علـــى الـــ دنيـــا أعـــاد بهاءَهـــا

مِـــن بعـــد مـــا لبســـت لفقـــ ـــدِ كرامهـــا ظلماءَهـــا

هـــو للزعامـــة (صـــالحٌ) شـــرفاً رقـــى علياءَهـــا

مـــا حيلـــتي؟ فلـــه منـــا قـــبُ أفحمـــت شـــعراءَها

لـــو اســـتطيع إذاً نظمـــ ـــتُ مـــن النجـــومِ ثناءَهـــا

فهـــو الـــذي في ظلّـــه رأت الـــورى اســـتذراءَها[2]

واســـتدفعتْ فيـــه علـــى أن لا مُغيـــثَ بلاءَهـــا

واستكشـــفت عنهـــا بوجـــ ـــه (محمـــدٍ) غمّاءَهـــا

وعيونهـــا (بحســـينها) رمقـــتْ وكـــانَ ضـــياءَها

بـــيضُ الوجـــوهِ غطـــارفٌ نســـجَ الفخـــارُ رداءَهـــا

في الشـــتوة الغـــبراء لا تغـــني الكـــرامُ غناءَهـــا

مـــن دوحـــةٍ وجـــدتْ بمـــا ءِ المكرمـــات رواءَهـــا[3]

---

١ - ناهيك: كلمة تعجّب تستعمل في المدح العالي.

٢ - الاستذراء: الاستظلال، الالتجاء.

٣ - في الديوان المطبوع: نماءَها.

نشـــــأت تظلـــــلُ في الـــــورى أفنائُهـــــــــا أفياءَهـــــــــا[١]

أبـــــني الزمـــــان دعـــــوا كـــــوا كـــــــبَ هاشـــــمٍ وسماءَهـــــــا

فيـــــؤا إلـــــيكم عـــــن عُـــــلا لهـــــــم الإلـــــــهُ أفاءهـــــــا

يـــــا أســـــرةً خـــــدمتْ مـــــلا ئكـــــــة الســـــما آباءهـــــــا

فطـــــر الإلـــــهُ مـــــن الجبـــــا لِ حلومَهـــــــا وعلاءهـــــــا

لـــــو تفرشـــــون بقـــــدركم لفرشـــــــتمُ خضـــــــراءها

أو لســـــــتمُ المتجاوزيـــــــ ن بمجـــــــدكم جوزاءهـــــــا

أمنـــــاءَ ديـــــن الله ســـــا دةَ خلقـــــــه أمناءهـــــــا[٢]

بـــــين الإلـــــهِ وبينهـــــا وجـــــــدتكمُ ســـــــفراءها

ركبـــــت ســـــحابة رحمـــــةٍ مـــــن ذي الريـــــاح رُخاءهـــــا[٣]

وســـرت علـــى الـــدنيا مـــن الـــ فـــــردوس تحمـــــل ماءهـــــا

فســـــقت ضـــــريحاً عـــــنكم ختمـــــت بـــــه أرزاءهـــــا

وقال يرثي السيد علي النقيب ضمن كتاب كتبه عن لسان العلاّمة السيد مهدي القزويني:

قـــد علمنـــا فقـــرَ العفـــاة إليـــه أفكـــان الـــردى مـــن الفقـــراءِ؟

فجـــاه بنفســـه مـــذ أتـــاه مســـتميحاً يمشـــي علـــى اســـتحياءِ

غسّـــلوه والمكرمـــاتُ تنـــادي بيـــنهم لا تغسِّـــلوه بمـــاءِ

وإلـــيكمُ عنـــه[٤] فـــإنّيَ أولى مـــنكمُ بـــالكريم مـــن أبنـــائي

لـــيس لي حاجـــة إلـــيكم جميعـــا إنّمـــا عـــنكم بعيـــني غنـــائي

---

١ - في الديوان المطبوع: أفناءها.

٢ - في نسخة: أمراءها.

٣ - الرخاء: ريح لينة الهبوب.

٤ - في الديوان المخطوط: عنّي.

هـــدبها الســـدرُ والبيـــاض حنـــوطٌ والـــزلالُ القـــراح مـــاءُ بكـــائي
وكفـــاني بجفنهـــا كفنـــاً يضـــ فـــو علـــى جســـمه المســـجّى أزائـــي
ودعـــوا قـــبرَه فمقلـــتي القبـــ ر لإنســـان عيـــني البيضـــاءِ

وقال راثياً العلاّمة السيد ميرزا صالح القزويني، ومعزّياً أخويه العلاّمة السيد محمد والعلاّمة السيد حسين:

ومجـدِكَ مـا خلـتُ[1] الـردى منـك يقـربُ لأنّـكَ في صـدر الـردى منـه أهيـبُ[2]
أصـابكَ، لا مـن حيـث تخشـى سـهامه عليـك، ولا مـن حيـث يقـوى فيشـغبُ[3]
ولكـن رمـى مـن غـرَّةٍ مـا أصـابها بمثلـك رامٍ منـه يرمـي فيعطـبُ
ومـا خلـتُ منـك الـداءَ يبلـغ مـا أرى لأنّـك للـدهر الـدواءُ المجـرَّبُ
ولا في فـراش السـقم قـدَّرتُ أنّـني أرى منـك طـوداً بـالأكفِّ يقلَـبُ
أمنـتُ عليـك النائبـات، وإنّهـا لعـن كـلِّ مَـنْ آمنتـه تتنكَّـبُ
وقلـت شـغلن الـدهرَ في كـلّ لحظـةٍ مواهـبُ كفَّيـك الـتي لـيس توهـبُ
ولم أدرِ أنّ الخطـب يجمـع وثبـة وأنّ عشـارَ المـوتِ بالثكـلِ مقـربُ[4]
إلى حـين أردتـني بفقـدك ليلـةٌ تولَّـد منهـا يـومُ حـزنٍ عصبصـبُ[5]
فقـام بـك النـاعي وقـال وللأسـى بكـلّ حشـاً يدميـه ظفـرٌ ومخلـبُ

---

١ - في الديوان المطبوع: خفت.

٢ - حدّثني الشيخ قاسم الملاّ الحلّي أنّ هذه القصيدة مطلعها:

رواقُ العُلـى ابـنُ المليـكِ المحجـب لمـنْ بعـده تلـك الأسـرّة تنصـبُ

غير أنّ الشاعر أعرض عنه بالنظر إلى أنّ المعزّى أخوه العلاّمة السيد محمد القزويني، وهو علم جهبذ؛ ولأنّه خاف من أن يكون ذلك كتعريض به.

٣ - يشغب: يهيج (للشرّ). وفي نسخة: يشعب.

٤ - العشار المقرب: الإبل الحوامل قريبة الوضع.

٥ - العصبصب: اليوم الشديد الحر، أو الشديد مطلقاً.

هلـــمَّ بـــني الـــدنيا جميعـــاً إلى الـــتي ... تزلـــزل منهـــا اليـــوم شـــرقٌ ومغـــربُ
شـــكاةٌ، ولكـــن في حشـــا المجـــد داؤهـــا ... ونـــدبٌ ولكـــن (هاشـــمٌ) فيـــه تنـــدبُ
صـــهٍ أيّهـــا النـــاعي فنعيـــك يعطـــب ... عضضت الصفا لا بل حشا فاك إثلب[1]
لسانك يا جفَّت لهاتُك فنعيك أو غدت ... بريـــقِ الأفـــاعي لا ببرقِـــك ترطـــبُ
رويـــدك رفّـــه عـــن حشاشـــة أنفـــسٍ ... هفـــت جزعـــاً[2] عمّـــا تعمّـــى وتعـــربُ
فـدع (صـالحاً) لي وانـع مَـنْ شـئت إنّهـا ... سـتذهب أحشـاء الهـدى حـين يـذهبُ
فليتـــك لي في نعيـــك النـــاس كلّهـــا ... صـدقت وفي فـردِ (هـو النـاس) تكـذبُ
وداعٍ دعـــا والرشـــدُ يقـــبر والهـــدى ... يســـوف ثـــرى واراه والـــوحي يُنحـــبُ
ألا تلكـــم الأمـــلاكُ شـــعثاً تزاحمـــوا ... علـى مَـنْ؟ فهـل مـنهم تـوارى مقـرَّبُ؟
أمســـتعظمَ الأمـــلاكُ لا بـــل هـــو الـــذي ... إلى الله فيـــــه كُلّهـــــم يتقـــــرَّبُ
لقـــد رفعـــوا منـــه مناكـــبَ لم يكـــن[3] ... ليـــنهضَ، لـــولا اللّـــهُ، فـــيهنّ منكـــبُ
مناكـــبَ مـــن جســـم (النبـــوَّة) حمّلـــت ... (إمامـــة) حـــقٌّ فضـــلها لـــيس يحســـبُ
لقـــد دفنـــوا في دفنهـــا العلـــمَ ميِّتـــا ... وحســـبُك نـــارٌ[4] في الجـــوانح تلهـــبُ
ويـــا رافـــديَّ اليـــوم قومـــا علـــى ثـــرىً ... تـــوارى بـــه ذاك الأغـــرُّ المهـــذَّبُ
قفـــا عزّيـــا (المهـــدي) بـــابنٍ هـــو الأبُ ... لـــذي[5] الـــدين، فالـــدين اليتـــيم المـــترَّبُ
ســـلا كشـــبَ ذاك القـــبر ينـــدى صـــعيدهُ ... بـــريِّ بـــني الآمـــال هـــل راح ينضـــبُ؟
وهـــل روِّضـــت خصـــباً بكـــفٍّ عهـــدتُها ... تنـــوب منـــابَ الغيـــث والعـــامُ مجـــدبُ؟
وهـــل زال مـــن ذاك المحيّـــا وضـــاؤه ... فقـد راح وجـه الـدهر للحشـر[6] يشـحبُ؟
ضـــعي هاشـــمٌ ســـرجَ العُلـــى وترجَّلـــي ... فمـــا لـــكِ في ظهـــرٍ مـــن العـــزّ مركـــبُ
ودونـــك تقليـــب الأكـــفِّ تعلّـــلا ... فقـــد فـــات[7] منـــك المشـــرفيُّ المـــذرَّبُ

---

١ - أثلب: فتات الحجارة والتراب جمع أثالب.
٢ - في المطبوع: فزعاً ممّا.
٣ - في المطبوع: تكن.
٤ - وفيه أيضاً: وحسبك ناراً.
٥ - وفيه أيضاً: لذا.
٦ - وفيه أيضاً: للبعث يسحب.
٧ - في مخطوطة الملاّ: مات.

ويـا نـاهبي دمعـي اعـذراني علـى البكـا ... فمـا النـاسُ إلاّ عـاذلٌ ومؤنّـبُ[1]

قفـا وانـدبا أو خليّـاني ووقفـةً ... يـدكّ الرواسـي شـجوُها حـين أنـدبُ

أجـامعَ شمـل الـدين شـعّب صـدعُه ... ليومـك صـدعٌ في الهـدى لـيس يشـعبُ

وأعجـب شـيءٍ أنّ نعشـك في السـما ... ومنـك تـوارى في ثـرى الأرض كوكـبُ

رمتـك بهـا أيـدي المقـادير علّـةً ... عييـتَ بهـا مـا طبّهـا متطبِّـبُ

رجونـا وقـد أكـدا (الرجـاء المخيـب) ... نهنِّيـك منهـا بالشـفاء ونطـربُ[2]

ونجلـسُ زهـواً مسـتعدِّين للهنـا ... بنـادٍ بـه الأمثـالُ في الفخـر تضـربُ[3]

بحيـث قلـوبُ النـاس، هـذا مـنعمٌ ... سـروراً بإنشـادي، وهـذا معـذَّبُ

بـل قـد جلسـنا مجلسـاً ودَّت السـما ... أسـرَّتُها[4] مـن شـهبها فيـه تنصـبُ

كأنّـا تأهّبنـا لأوبـة مقبـلٍ ... وكـان ليـأسٍ منـك هـذا التأهـبُ

وهـل أمـلٌ في عـود مَـنْ ذهبـت بـه ... بقاطعـة الآمـال عنقـاءُ مغـرِبُ؟[5]

وأقتـل مـا لاقيتُـه فيـك أنّـني ... حضـرت ومنـك الشـخص نـاءٍ مغيَّـبُ

وعنـدي ممّـا أسـأر[6] البـين لوعـةٌ ... تجـدُّ بأحنـاء الضـلوع وتلعـبُ

أقلِّـبُ طـرفي لا أرى لـك طلعـةً ... يضـيء بهـا هـذا النـديُّ المطيَّـبُ

وأنصـبُ سمعـي لامتـداحك لا أعـي ... بـه خاطبـاً بـين السـماطين[7] يخطـبُ

وممّـا شـجاني أن بـدا المجـدُ مـاثلا ... يصـعّدُ مثلـي طرفـه ويصـوِّبُ[8]

وقـال: وأرخاهـا جفونـاً كليلـةً ... برغمـي خـلا منـك الـرواقُ المحجـبُ

رزيـتُ أخـاً إن أحـدث الـدهرُ جفـوة ... عتبـت بهـا[9] فارتـدَّ لي وهـو معتِـبُ

---

١ - في المطبوع: عاذل أو مؤنب.

٢ - في المطبوع: فتطرب.

٣ - وفيه: بالفخر تضرب.

٤ - وفيه أيضاً: أسرته.

٥ - العنقاء: اسم طائر مجهول المسمّى، ومغرب صفة لها: أي أغربت ونأت في البلاد.

٦ - يُقال أسأر الحاسب في حسابه، أي لم يستقصي، وأسأر: أبقى.

٧ - السماطين: الصفين.

٨ - التصويب: ضد التصعيد.

٩ - في المطبوع: عتبت به.

وددّتُ بـــأن تبقـــى، وأنّ لـــك الـــردى ... فـــداءً بمَـــنْ فـــوق البســـيطة يـــذهبُ

حُجبـــتَ عـــن الـــدنيا، ولـــو تملـــك المـــنى ... إذن لتمنَّـــــت في ضـــريحك تُحجـــبُ

فـــلا نفضـــت عـــن رأســـها تـــربَ مـــأتمٍ ... وخـــدُّك مـــن تحـــت الصـــعيد مـــترّبُ

ثكلتُـــكَ بسّـــامَ المحيّـــا طليقـــه ... فبعـــدك وجـــهُ الـــدهر جهـــمٌ مقطّـــبُ

أوجهُـــك حيـــا أم بنانـــك أرطـــبٌ؟ ... وذكـــرُك ميتـــاً أم حنوطـــك أطيـــبُ؟

ومـــا نزعـــوه عنـــك أم مـــا لبســـتَه ... لـــدار البلـــى أنقـــى جيوبـــاً وأقشـــبُ؟

ســـأبكيك دهـــراً بـــالقوافي ولم أقـــلْ ... مـــن اليـــأس وجـــداً مـــا يقـــول المؤنّـــبُ

لســـان القـــوافي باســـم مَـــنْ بعـــد تخطـــبُ ... فـــلا سمـــعَ بعـــد اليـــوم للمـــدح يطـــربُ؟

مضـــى مَـــنْ لـــه كـــنَّ القـــرائحُ برهـــةً ... إذا اســـتولدتها قالـــةُ الشـــعر تنجـــبُ

أجـــل فلهـــا في المجـــد خـــيرُ بقيَّـــةٍ ... لهـــا الفضـــلُ يُعـــزى والمكـــارمُ تنســـبُ

لـــئن عزبـــت تلـــك الخـــواطر نبـــوةً ... فـــلا عـــن ثنـــاهم، والخـــواطر تعـــزبُ[1]

وإن رغبـــت عـــن نظمهـــا الشـــعر في الـــورى ... فلـــيس لهـــا عـــن أهـــل ذا البيـــت مرغـــبُ

مضـــى مَـــنْ لـــه كانـــت تهـــذّب مـــدحها ... وأبقـــى الـــذي في مدحـــه تتهـــذَّبُ

لـــئن أغـــرب المطـــري بـــذكر (محمـــدٍ)[2] ... فمـــا انفـــكَّ في كســـب المحامـــد يغـــربُ

فـــتىً تقـــف الأكفـــاء دون سماطـــه ... وقـــوف بـــني الآمـــال ترجـــو وترهـــبُ

أقـــلُّ عـــلاه أنَّ أذيـــال فخـــره ... لهـــنَّ علـــى هـــام المجـــرّة مســـحبُ

زعـــيم قـــريشٍ، والزعامـــة فـــيهم ... مـــن الله في الـــدنيا وفي الـــدين منصـــبُ

حمـــولاً[3] لأعبـــاء الرياســـة ناهضـــا ... بأثقالهـــا في الحـــق يُرضـــى ويغضـــبُ

يقلّـــب في النـــادي أنامـــلَ ســـؤددٍ ... مقبّلهـــا زهـــواً يتيـــه ويعجـــبُ

إذا احتلبـــت يومـــاً أرت أضـــرع الحيـــا ... علـــى بُعـــد عهـــد بالحيـــا كيـــف تحلـــبُ

---

١ - تعزب: تذهب.

٢ - يقصد السيد محمد ابن السيد مهدي القزويني الكبير، ترجمت له في كتابي شعراء الحلّة ٥ / ٢٣٨ - ٢٧٩.

٣ - وفي المطبوع: حمول لأعباء الرسالة ناهض.

أخـــفُّ[١] مـــن الأرواح طبعـــاً وإنّـــه ... لـــذو همّـــةٍ مـــن ثقلهـــا الـــدهر متعـــبُ

لـــه شـــيمٌ، لـــو كـــان للـــدهر بعضـــها ... لأضـــحى إلينـــا الـــدهرُ وهـــو محبَّـــبُ

وخلْـــقٌ، فلـــو لا إنَّ في الخمـــر ســـورةٌ[٢] ... لقلـــتُ الحميّـــا منـــه في الكـــأسِ تســـكبُ

لـــنعم زعـــيمُ القـــوم إن يثـــر لم يكـــن ... ليلـــبسَ إلاّ مـــا النـــدى منـــه يســـلبُ

لـــنعم شـــريكُ الســـحب يبســـط مثلهـــا ... بنانـــاً[٣] بـــه روض المكـــارم معشـــبُ

تهـــذِّبُ أخلاقَالســـحاب، وإنّهـــا ... مـــتى يجـــنِ هـــذا الـــدهرُ نعـــم المـــؤدِّبُ

تـــرى وفـــدَه منـــه تُطيـــف بمـــورقٍ ... علـــى جـــودِ كفّيـــهِ الرجـــاءُ المشـــذّبُ

فقـــد عرَّســـت حيـــث النـــدى، لا ســـحابه ... جهـــامٌ ولا بـــرق المكـــارم خلَّـــبُ

(أبـــا القاســـم) إسمـــع لا وعـــى لـــك مســـمعٌ ... ســـوى مِـــدحٍ ليســـت لغـــيرك تخطـــبُ

تجلببـــت ثـــوب الـــدهر، فـــابقَ ومثلـــه ... بـــودِّي إذا أخلقتَـــه تتجلبـــبُ

لـــئن ضـــاق رحـــب الأرض في عظـــم رزئكـــم ... فصـــدرُك منـــه أي وعليـــاك أرحـــبُ

وحلمُـــك أرســـى مـــن هضـــاب (يلملـــمٍ) ... وعـــودُك مـــن نـــاب العـــواجم أصـــلبُ

ومـــا حـــلَّ رزءٌ عـــزم[٤] مـــن شـــدَّ أزره ... أخٌ (كحســـين) والأخ الضـــرب يطلـــبُ

فـــتى الحـــزم أمـــا في النهـــى فهـــو واحـــدٌ ... ولكنّـــه في موكـــب الحـــزم[٥] موكـــبُ

إذا القـــوم جـــدُّوا في احتيـــالٍ فُحـــوَّلٌ ... وإن قلبـــوا ظهـــرَ المجـــنّ فقُلَّـــبُ[٦]

وإن غالـــبَ الخطـــبُ الـــورى فقريعـــه ... أخـــو نجـــدةٍ مـــا بـــين برديـــه أغلـــبُ[٧]

فلـــو شـــحذت (فهـــرٌ) بحـــدّ لســـانه ... صـــوارمَها مـــا كـــلَّ مـــنهنَّ مِضـــربُ

---

١ - في الديوان المطبوع: على.

٢ - السورة: الحدة، أي حدة الخمر.

٣ - وفي الديوان المطبوع: بياناً.

٤ - وفي مخطوطة الملاّ: حزم.

٥ - وفي المطبوع: الفخر.

٦ - الحول للقلب: كثير التصرّف في الأمور، وقلب له ظهر المجن: إذا تحول عن الصداقة للعداوة.

٧ - القريع: الذي يغلب في المقارعة، أخو النجدة: البطل الشهم.

ولـــو تنتضـــي منـــه اللســـانَ لصـــممّت ... بـــأقطع مـــن أســـيافها حـــين تضـــربُ

يُصـــــافي بـــــأخلاقٍ يروقـــــك أنّهـــــا ... هـــي الـــراحُ إلاّ أنّهـــا لـــيس تقطـــبُ

تواضـع حـتى صـار يمشـي علـى الثـرى ... وبيـــتُ عـــلاه في الســـماء مطنّـــبُ

قـــرى ضـــيفه قبـــل القِـــرى بشـــرُ وجهـــه ... وقبـــل نـــزول النُـــزل[1] أهـــلٌ ومرحـــبُ

إذا احتلـــب الســـحب النســـيمُ فكفُـــه ... علـــى الوفـــد طبعـــاً جودُهـــا يتحلَّـــبُ

ألا مبلـــغٌ عـــنّي الغـــداةَ رســـالةً ... للحـــد أبي (الهـــادي) يقـــول فيطنـــبُ

(أبـــا حســـن) إن تمـــسِ دارُك والســـما ... ســـمـــائين في أفقيهمـــا الشـــهب تثقـــبُ

فتلـــك الســـما ســـعدٌ ونحـــسٌ نجومهـــا ... علـــى أنّهـــا بعـــضٌ عـــن الـــبعض أجنـــبُ

وهـــذي الســـما للســـعد كـــلُّ نجومهـــا ... ويخلـــف فيهـــا كوكبـــاً منـــه كوكـــبُ

فلـــو عـــاد للـــدنيا بشخصـــك عائـــدٌ ... لأبصـــرتَ فيهـــا مـــا يُســـرُّ ويعجـــبُ

فمـــن وجهـــك (الهـــادي) تـــروق بمنظـــرٍ ... لهـــا (حســـنٌ) والحمـــد بالحســـن يكســـبُ[2]

و(أحمـــدُ) فيهـــا مـــن بهائـــك لامعـــا ... لوفـــدك فيـــه عـــازبُ الأنـــس يجلـــبُ[3]

بكـــلِّ ابـــن مجـــدٍ مـــا نضـــا بـــردةَ الصـــبا ... علـــى أنّـــه فيهـــا لأضـــيافه أبُ

أخـــو الحـــزم إمـــا قســـتَه في لداتـــه ... فطفـــلٌ، وإن مارســـته فهـــو أشـــيبُ

بنـــوكَ بنـــو العليـــاء أنجبـــت فـــيهم ... لـــك اللّـــه هـــل تـــدري بمـــنْ أنـــت منجـــبُ؟

غطارفـــةٌ لا تعقـــب الشـــمسُ مـــثلهم ... ولـــو أنّهـــا في أفقهـــا منـــك تعقـــبُ

ذوو غـــررٍ يجلـــو الغياهـــبَ ضـــوؤها ... وغـــيرهم في عـــين رائيـــه غيهـــبُ

أأهـــلَ النفـــوس الغالبيـــات مولـــدا ... لأنـــتم علـــى كســـب المكـــارم أغلـــبُ

رقـــاق حواشـــي الطبـــع، طبـــتم شمـــائلا ... بهـــا أرج مـــن نفحـــة المســـك أطيـــبُ

لكـــم خلقـــا مجـــدٍ، فـــذلك للعـــدى ... يمـــرّ، وهـــذا للمحبّـــين يعـــذبُ

---

١ - في الديوان المطبوع: النزل النزل.

٢ - الهادي والحسن، علمان ملء السمع والبصر، وهما ولدا المرثي السيد صالح.

٣ - أحمد: هو ثالث أنجال المرثي. كان شاعراً فاضلاً، ولد في الحلّة عام ١٢٨٧ هـ، وتوفّي في النجف عام ١٣٢٤ هـ. ترجمت له في شعراء الحلّة ١ / ٧٢ ط ١ و١٠٤ ط ٢.

طُبعتم سيوفاً لم يلقْ لنجادها ... سوى منكب المجد المؤثل منكبُ
وطنَّبتم أبياتَ فخرٍ أبي العُلى ... لكم عوضاً عنها النجومُ تطنِّبُ
فما تلك إلاّ زينة لسمائها ... وهذي بفرق المجد للوحي تضربُ
فدونكموها ثاكلاً قد تسلبت ... ووشي بهاءٍ زانها ليس يسلبُ
أتت لكم عذراء في ريق الصِبا ... بعصرٍ سواها فيه شمطاءُ ثيّبُ
فِداكم من الأرزاء حاسدُ مجدكم ... وإلاّ ففيكم عاش وهو معذَّبُ
طلعتم طلوع الشمس في مشرق العُلى ... فلا تغربوا ما الشمس تبدو وتغربُ

وقال راثياً كريمة الحاج محمد صالح كبّه:

لحي الله دهراً لو يميل إلى العُتبى[1] ... لأوسعتُ بعد اليوم مسمعه عَتبا
ولكنّه والشرُّ حشو إهابه ... على شغبه إن قلتُ مهلاً يزدْ شغبا
له السوءُ لم يُلبس أخا الفضل نعمةً ... يسرُّ بها إلاّ أعدَّ لها السلبا
على الحرّ ملآنٌ من الضغن قلبه ... فبالهمّ منه لم يزلْ ينحت القلبا
يطلُّ عليه كلّ يوم وليلةٍ ... بقارعةٍ من صرفه تقلع[2] الهضبا
كأنَّ كرامَ الناس في حلقه شجا ... وإلاّ قذىً يُدمى لناضره غربا[3]
فيلفظهم كيما يسيغَ شرابه ... وتطبقُ عيناه على هدبه الهدبا
وحاربهم من غير ذنبٍ لنقصه ... فلست أرى غيرَ الكمال له ذنبا
كأنَّ له يا أعدم الله ظلّه ... لديهم تراثاً فهو لا يبرح الحربا
وأصعبُ حربٍ منه يومَ صروفُه ... من الشرف السامي ارتقت مرتقىً صعبا
تخطَّت حمى العلياء حتى انتهت به ... إلى حرمٍ للخطب يشعره رُعبا

---

١ - العتبى: الرضى.

٢ - في المطبوع: تصدع.

٣ - الغرب: شدّة دمع العين.

فمـا نهنهـت دون الوقـوف علـى خبـا ... ضـربن المعـالي فـوق رتبتـه[1] حجبـا

ولا صـدرت إلاّ بـنفسٍ نجيبـةٍ ... عليها مدى[2] الدهر العُلى صرخت غضبى

أسـرَّ لهـا النـاعي المفجّـعُ نعيَهـا ... فقامـت عليهـا[3] تعلـن النـوح والنـدبا

وهـوَّن فقـدان النسـاء مؤنّـب ... يعيـب الأسـى لـو شـئت أوسـعته ثلبـا

وهـوَّن فقـدان الرجـال وعنـده[4] ... علـى زعمـه فيمـا يـرى هـوَّن الخطبـا

ومـا كـلُّ فقـدان النسـاء بهَّـين ... ولا كـلُّ فقـدان الرجـال يُـرى صـعبا

فكـم ذات خـدرٍ كـان أولى بهـا البقـاَ ... وكـم رجـلٍ أولى بـأن يسـكن التربـا

وغـير ملـومٍ مَـنْ يبيـتُ لفقـده ... كريمتـه يستشـعر الحـزنَ والنـدبا

فكـم مـن أبٍ زانتـه عفّـة بنتـه ... وكـم ولـدٍ قـد شـانَ والـدَه النـدبا

فسـاقت بمـأثور الحـديث لـه[5] الثنـا ... وسـاق بمـأثور الملام لـه السـبّا

بـل الخطـب فقـدُ الأنجبـين، ومَـنْ لـه ... بـذلك؟ لـولا أنّهـا تلـد النجبـا

وربّـةُ نسـكٍ بضـعةٌ مـن (محمـدٍ) ... مضـت مـا زهـت يومـاً ولا اتخـذت تربـا

غـداة قضـى عـن أهلهـا الـدهر بعـدها ... وأوحشـها مـن لا تـرى مـن ذوي القـربى

وأخرجهـا مـن عـالم الكـون مثلمـا ... لـه دخلـتْ، لم تقـترفْ أبـداً ذنبـا

أحـبَّ إلـهُ العـالمين جوارهـا ... لـه فقضـى بـالموت منـه لهـا قربـا

حليفـةُ زهـدٍ مـا تصـدَّت لزينـةٍ ... ولا عرفـتْ في الـدهر لهـواً ولا لعبـا

وخبأهـا فـرطُ الحيـاء فلـم تكـن ... تصـافحُ وجـهَ الأرض أذيالهـا سـحبا

فلـو أنَّ عـين الشـمس تقسـمُ أنّهـا ... لهـا مـا رأت شخصـاً لمـا حلفـت كـذبا

---

١ - في مخطوطة الملاّ: رتبه، ولا وجه له.

٢ - في المطبوع: على.

٣ - في مخطوطة الملاّ: عليه.

٤ - في المطبوع: يرى الخطب فقدان الرجال وعنده.

٥ - في مخطوطة الملاّ: لها في الصدر والعجز وتكرار الحديث أيضاً.

وغـيرَ حجـاب الخـدر والقـبر مـا رأتْ ... ولا شـاهدت شـرقاً لـدنيا ولا غربـا

فلـم تُـدر إلاّ بالسـماع حياتُهـا ... وجـاء سماعـاً أنّهـا قضـت النحبـا

وأمّـا هـي العنقـاء قلـتَ فصـادقٌ ... ولكـن مقـام الإحـترام لهـا يـأبى

ومـا هـي إلاّ بضـعةٌ مـن (محمـدٍ) ... أجـلُّ بـني الـدنيا وأعلاهـم كعبـا

وأرحـبهم بيتـاً، وأوسـعهم قِـرىً ... وأطـولهم باعـاً وأرجحهـم لبّـا

رطيـب[1] ثـرىً منـه تحـيّ وفـودُه ... محيّـاً بأنـداء الحيـا لم يـزل رطبـا

وتلمـسُ منـه أنمـلاً هـنَّ للنـدى ... سـحائب فيهـا علَّـم المطـرُ السـحبا[2]

ولـو نُسـبتْ شـهبُ السـماء بأنّهـا ... بنـوه إذن تاهـتْ بنسـبتها عجبـا

غـدا مركـزاً للفضـل مـا لفضـيلةٍ[3] ... جـرى فلـكٌ إلاّ وكـان لـه قطبـا

لـه حبَّبـتْ كسـبَ الثنـاء سـجيّةٌ ... بهـا وهـو طفـلٌ نفسـه شـغفت حبّـا

وأحرزهـا (عبـدُ الكـريم) شـقيقه ... فأصـبح في كسـب الثنـا مغرمـاً صـبّا

علـى أنّـه البحـرُ المحـيط وولـده ... جـداول جـودٍ كـان موردُهـا عـذبا

(رضا) الفخر (هادي) المكرمات و(مصطفى) ... جميـع بـني العليـاء نـدبٌ[4] حكـى نـدبا

غطارفـةٌ زهـرُ الوجـوه لـو أنّهـم ... بهـا قـابلوا شـهب السـما[5] أطفـأوا الشـهبا

بـني المصـطفى أنـتم معـادن للتقـى ... وأرجـح أربـاب النهـى والحجـى لبّـا

رقـى صـبركم[6] أفعـى الخطـوب فلـم تكـن ... لتضـجركم يومـاً ولـو أوجعـت لسـبا[7]

فـلا طـرقتكم نكبـةٌ بعـد هـذه ... ولا سـاور التـبريحُ يومـاً لكـم قلبـا

---

١ - في مخطوطة الملاّ: تطيب.

٢ - في رواية: السكبا.

٣ - في المطبوع: لا لفضيلة.

٤ - في المطبوع: ندباً حكى ندبا.

٥ - وفيه: الدجا.

٦ - وفيه: صبرهم.

٧ - السب: اللدغ، اللسع.

وقال راثياً العلاّمة الكبير الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر صاحب جواهر الكلام[1]:

أظلـــــم شـــــرقُ الـــــدنيا ومغربهـــــا ... لمـــــا تـــــوارى في الـــــترب كوكبُهـــــا

وكـــــادت الســـــبعةُ الطبـــــاق معـــــا ... تطـــــوى وكـــــاد الفنـــــاءُ يعقبُهـــــا

والأرض في أهلهـــــا قـــــد اضـــــطربت ... وأوشـــــك الإضـــــطرابُ يقلبُهـــــا

والنـــــاس في حَـــــيرةٍ بأجمعهـــــا ... لم تـــــدرِ في الأرض أيـــــن مـــــذهبُها

أوهـــــت صـــــفاة الإســـــلام حادثـــــة ... حـــــقَّ لكـــــلّ الأنـــــام تنـــــدبها

قـــــد قصـــــمت عـــــروة التقـــــى وعلـــــى ... أفـــــق سمـــــا الـــــدين مُـــــدَّ غيهبُهـــــا

فغـــــودرت جاهليـــــةٌ ومـــــن الـــــ ... رشـــــاد لا مرشـــــدٌ يقرّبُهـــــا

قـــــد عـــــاد أهـــــل الإلحـــــاد ينتهـــــز الفـــــر ... صـــــة مـــــنهم مَـــــنْ كـــــان يرقبُهـــــا

وراح راعـــــي الضـــــلال ممتريـــــا ... ضـــــرعَ لبـــــون الفســـــاد يحلبُهـــــا

اليـــــوم قضـــــبُ الحمـــــام طبّـــــق في ... مفاصـــــل المكرمـــــات مقضـــــبُها

جـــــذَّ بهـــــا[2] كفُّهـــــا وجـــــبَّ بـــــه ... ســـــنامُها بـــــل وفـــــلَّ مضـــــربُها

اليـــــوم أودى (محمـــــدٌ حســـــنُ) الـــــ ... أفعـــــال أزكـــــى الأنـــــام أطيبُهـــــا

إن نـــــاح حزنـــــاً عليـــــه مشـــــرقها ... جـــــاد بـــــه بالنيـــــاح مغربُهـــــا

أرفـــــعُ كـــــلّ الـــــورى مقـــــامَ عُـــــلاً ... معظـــــمٌ للثنـــــاء أكســـــبُها

أسمحُهـــــا راحـــــة وأحســـــنها ... خَلقـــــاً وخُلقـــــاً للمـــــدح أجلبُهـــــا

أبلغُهـــــا في المقـــــال، أعلمهـــــا ... أطيـــــبُ منهـــــا فرعـــــاً وأنجبُهـــــا

---

١ - أشهر مشاهير زعماء الدين في عصره، وجدّ الأسرة الجواهرية في النجف، وقد صار مرجعاً دينياً. ألّف كتابه الكبير (جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام) بدأ بتأليفه عام ١٢٣٠ هـ وانتهى منه عام ١٢٥٧ هـ، وله غيره من الكتب الجليلة. توفّي عام ١٢٦٦ هـ ودُفن بمقبرته الخاصة في محلّة العمارة في النجف. وكان يوم وفاته مشهوداً، رثاه فريق من مشاهير شعراء عصره بقصائد عامرة.

٢ - في المطبوع: جذبه. جذ وجب: بمعنى قطع، والسنام أعلى ظهر البعير.

أربـــطُ منهـــا جاشـــاً وأوقرُهـــا حوّلهـــا في الخطـــوب قلّبُهـــا
قـــد ضـــلّ إلاّ إليـــه وافـــدُها وضـــاقَ إلاّ عليـــه مطلبُهـــا
إن شمـــلَ العـــالمَ العقـــوقُ معـــا أو كـــاد جهـــلُ الأنـــامِ يغلبُهـــا
فـــذاك في حلمـــه يـــدبّرُه وذي بأخلاقـــه يؤدّبُهـــا
لنفســـه مـــا يـــزال في طلـــب الـــرا حـــة يـــومَ المعـــاد يتعبُهـــا
في طاعـــة اللّـــه كـــان يجهـــدُها وفي رضـــاء الإلـــه يغضـــبُها
مـــن مرديـــات الهـــوى ينزهُهـــا وعـــن دنايـــا الأمـــور يحجبُهـــا
مرتبـــةٌ زاحـــم النجـــومَ علـــى الـــ ـــأفـــق لفـــرط العلـــوِ منكبُهـــا
فهـــمٌ علـــى المشـــكلات يطلعُـــه لـــيس عليـــه يخفـــي مغيّبُهـــا
لـــو قارعتـــه الخطـــوبُ مجهـــدةً لهـــان منهـــا عليـــه أصـــعبُها
وإن عـــرا الخلـــقَ حـــادثٌ جلـــلٌ فالنـــاس طـــراً إليـــه مهربُهـــا
فيـــا لهـــا مـــن رزيّـــة عظمـــت أهونهـــا قاتـــلٌ وأصـــعبُها
صـــبراً جمـــيلاً علـــى غـــروب ذكـــا كـــان بخـــير الجنـــان مغربُهـــا
وأنَّ قـــبرا قـــد حلَّـــه (حســـنٌ) أزكـــى أراضـــي الـــدنيا وأطيبُهـــا
لقـــبره اســـتقى ســـحاب حيـــا والســـحب مـــن راحتيـــه صـــيّبُها

وقال راثياً ولداً له اسمه سليمان:

لبســـتُ مـــن الـــدهر ثوبـــاً قشـــيبا ورحـــتُ بكفّيـــه منـــه ســـليبا
وأصـــبح كلّـــى لـــه مقـــتلا فحيـــث رمـــى كـــان ســـهماً[1] مصـــيبا
رمـــاني بصمّـــاء تـــوهى القـــوى وقـــال إليـــك تـــوقَّ الخطوبـــا
فشـــأنك مـــا بعـــد أمّ الخطـــوب بقلـــبي تحـــدثُ وســـماً غريبـــا
وقائلـــةٍ قـــد أصـــاب الحمـــام ســـواك، وذلـــك قلـــبي أصـــيبا

---

١ - في مخطوطة الملاّ: كان سهمي.

فنهنه من الوجد ما قد يعيبُ ... وكفكفْ من العين دمعاً سكوبا
فقلتُ، وقلبي أنفاسه ... من الوجد توري بصدري لهيبا
ألائمتي إن أصيب المزاد[1] ... بما فيه لا بدّ من أن يصوبا
أطيلي العويلَ معي والنحيبا ... وإلاّ دعيني أقاسي الكروبا
خذي اليوم عنّي جميل العزاء ... فقد ملا الوجدُ قلبي وجيبا
أتأملُ نفسي إذن ليتها ... أصيبت بسهم الردى أن تطيبا
وبالأمس قد وسّدت خدَّه ... ترابُ القبور فأمسى تريبا
ويا صاحبيَّ قفا بي عليه ... نعطّ القلوب أسىً لا الجيوبا
وأعقر قلبي لدى قبره ... بسيف الشجا لا جياداً ونيبا
وأنضح من دم قلبي عليه ... جفوني دماً ليس دمعاً مشوبا
وأدعوه وهو وراء الصعيد ... وإن كنت أعلم أن لن يجيبا
أغصنا ولم أجنِ منه الثمارَ ... جنته يدُ الموت غصناً رطيبا[2]
ونجماً له أشرقت مقلتاي ... بغربهما يوم أبدى غروبا
عجبت، وما زال هذا الزمانُ ... يريني في كلّ يومٍ عجيبا
تموتُ فتحرم شمَّ النسيم ... وأحيا أشمّ الصبا والجنوبا
وتنزل في موحش مجدبٍ ... وأنزل ربعاً أنيساً خصيبا
وتسكن أنت بضيق اللحود ... وأسكن هذا الفضاءَ الرحيبا
كفاني بهذا[3] جوىً ما بقيتُ ... يجدّد في القلب جرحاً رغيبا

وقال راثياً ولده وأخاه ويشير إلى المكان الذي دفنا فيه:

يا ثاويين إلى جنب الفرات معا ... لدى (مقام نبيِّ اللّه أيوب)

---

١ - المزاد: وعاء يوضع فيه الماء أو غيره.

٢ - في المطبوع: غضاً رطيباً.

٣ - فيه أيضاً: كفاني بها.

أورثتمـــــاني وجـــــداً يـــــوم بينكمـــــا ما عشـت في الـدهر يحكـي وجـد يعقـوب

وقال يرثي السيد علي النقيب ضمن كتاب التمسه عليه بعض الأشراف عن لسانه:

نعـــــى النـــــاعون للشـــــرف المعُلـــــى فـــــتى الأشـــــراف ســـــيّدَها النقيبـــــا
(علـــيَّ) القـــدر أعبـــق مـــن نمتـــه أرومـــــةُ هاشـــــم في المجـــــد طيبـــــا
بـــــه لـــــبس الزمـــــانُ قشـــــيبَ بـــــردٍ فجـــــوذب ذلـــــك الـــــبرد القشـــــيبا
مضـــــى محـــــضَ الضـــــريبة في المعـــــالي وخلَّـــــد مـــــن مـــــآثره ضـــــروبا
وأبقـــــى حيـــــث أغـــــرب في المزايـــــا علـــــى كبـــــد الـــــورى وسمـــــاً غريبـــــا
إذا اعـــــترض الســـــلوُّ وكـــــاد يخبـــــو تعيـــــد لنـــــاره الـــــذكرى لهيبـــــا
نعـــــم رحـــــل الحِمـــــام بمَـــــنْ نـــــداه أقـــــام بكـــــلّ ناحيـــــةٍ خطيبـــــا

وقال (رحمه اللّه) في رثاء ولده وأخيه:

نضـــــارةُ عـــــيشٍ أزهـــــرت واضـــــمحلّت وأيـــــامُ أنـــــسٍ أقبلـــــت ثمّ ولّـــــت
ومنفقـــــةٍ بـــــاللهو أيـــــامَ عمرِهـــــا ســـــروراً رأت ردني بـــــدمعي بلّـــــت
فظنـــــت عزائـــــي بـــــالملام فـــــأكثرتْ فلمّـــــا رأت أن لا عـــــزاءَ أقلّـــــت
فقـــد عزيـــت بـــاللون والقلـــب بـــالجوى فمـــا مـــلَّ قلـــبي والعـــواذلُ ملّـــت
ســـقى الله[1] قـــبراً هلـــت أمـــس ترابـــه علـــى روح جســـمي، ليـــت كفّـــي شـــلّت
غـــدا ســـائراً والطـــرفُ يتبـــع نعشـــهَ غـــداة بـــه عـــيسُ المنايـــا اســـتقلَّت
ولمـــا تصـــدّى حائـــلُ[2] الـــترب دونـــه وعيـــنيَ منـــه لا فـــؤادي تخلّـــت
تلقَّـــتُّ والأحشـــاء عـــن مســـتقرِّها (لشـــدّة مـــا تنـــزو مـــن الوجـــد) زلّـــت

---

١ - في الديوان المطبوع: سقى الغيث.

٢ - وفيه أيضاً: حامل الترب.

فما خاذلٌ[1] جاءت بخشفين عنهما ... وعنها بقفرِ البيدِ ضلاّ وضلّت

بأكثر مني يومَ غاب تلفتا ... ولا أدمعاً فيها الجفونُ استهلَت

وقال يرثي كريمة الحاج محمد صالح كبّه ويمدحه:

يا نعش ما يصنع الفصيحُ؟ ... لم أدرِ ماذا به يبوحُ

وأيُّ معنىً إليه يغدو ... في وصف معناكِ أو يروحُ؟

هل فلكٌ أنتِ من علاه ... إليه طرف السهى[2] طموحُ؟

وقد جرت زهرةُ المعالي ... فيه[3] لغربٍ هو الضريحُ

أو أنتِ نعش به مسجىً ... جسمٌ لجسم العفاف روحُ

مناسب الفخر شيعته ... والحسبُ الخالص الصريحُ

سرى على الأرض حاملوه ... وهو بأفق السما يلوحُ

وخلفه والدةٌ ثكولٌ ... أمُّ العُلى دمعها سفوحُ

تطارح الورقَ وهي تدعو ... على مَ ورقُ الحمى تنوحُ؟

ما هي والوجد تدّعيه؟ ... قلبي لا قلبها الجريحُ

تضمُّ أضلاعُها حشاها ... ولي حشاً ضمَّها الضريحُ

في طلِحها إلفُها، وإلفي ... عن وطني شخصها طليحُ

أصمَّ فيها النعيُّ سمعي ... مذ جاء من فارسٍ يصيحُ

تلك المفداةُ ساورتها ... شكيَّةٌ ما لها نزوحُ[4]

فلم تمرض[5] بذات قربى ... لها بشكوى الضنى تبوحُ

---

١ - الخاذل: الظبية تخلفت عن القطيع. الخشف: فرخ الظبي.

٢ - السهى: نجم.

٣ - في الديوان المطبوع: فيك.

٤ - شكية ما لها نزوح: مرض ملازم.

٥ - في المطبوع: ولم تمرض.

حتى قضت، حيث ما عليها ... في غربة البين مَنْ ينوحُ

نعم بكت بقعةٌ تصلّى ... فيها وشهبُ السما جنوحُ

وانتحب (الكاتبان) إذ قد[1] ... فاتهما وردُها الصحيحُ

فليغتد اليوم كلُّ خدرٍ ... أعمادُ أسجافه تطيحُ

فربَّةُ الاحتجاب أضحت ... حجابُها اللحد والضريحُ

قد غاض ماءُ الحياء ينـدي ... بـه ثـرىً نشـرُه يفوحُ

توسدت والعفاف فيه ... يضمُّه جيبُها النصيحُ

شلّت أكفُّ الزمان ماذا ... من حرم المجد يستبيحُ

إليه دبَّ الضِراء لمّا ... أبدي بأن جاء يستميحُ

واغتال محجوبة بخدرٍ ... يحوطها السؤددُ الصريحُ

والعزُّ عنه يذبُّ مالا ... يذّبه الفارس المشيحُ

ومن أبي المصطفى حماه ... في منعة ما لها مبيحُ

ذاك الذي راحتاه كلُّ ... على الورى ديمةٌ دلوحُ[2]

بالطبع مستحلبٌ نداه[3] ... إن حلب الغاديات ريحُ

كأنَّ منها البنانَ ضئرٌ[4] ... يرتضع الدهرُ ما تميحُ

مستعذَبٌ جودُه المرّجى ... مباركٌ وجهه الصبيحُ

تقرأ في الوجه منه هذا ... خاتم[5] أهل الندى المنوحُ

لا يشتري الحمدَ بالعطايا ... إذ كان من حقّه المديحُ

لكنّه مذ نشا إلى أن ... من شيبه استكمل الوضوحُ

يتاجر اللهَ كلّ يومٍ ... بما حوتْ كفُّه السموحُ

حتى لقال الورى جميعا ... هذا هو المتجرُ الربيحُ

---

١ - في مخطوطة الملاّ: لما.

٢ - الدولح: كثيرة الماء.

٣ - في المخطوطة: نداها.

٤ - الضئر: المرضعة.

٥ - كذا في الأصل، ولعلّه حاتم.

كـــم ريـــض للنـــاس فيـــه أمـــرٌ ... صـــعبٌ علـــى غـــيره جمـــوحُ

ينشـــق[1] طيـــبُ الفخـــار محضـــا ... مـــن عطـــف عليائـــه يفـــوحُ

أغـــرُّ يلقـــى الوفـــودَ طلقـــا ... والعـــامُ في وجهـــه كلـــوحُ[2]

إن ناضـــل الخصـــمَ ردّ فـــاه ... مـــع أنّـــه النـــاطقُ الفصـــيحُ

لســـانه ميّـــتٌ مســـجّىً ... والفـــم منـــه لـــه ضـــريحُ

مـــا هـــو إلاّ خضـــمٌ علـــمٍ ... منـــه ذوو العلـــم تســـتميحُ

بـــل هـــو عنـــوانُ كـــلّ فضـــلٍ ... وهـــم جميعـــاً لـــه شـــروحُ

ونيَـــرٌ في سمـــاء مجـــدٍ ... بنـــوه شـــهبٌ بـــه[3] تلـــوحُ

يـــا مَـــنْ غـــدا ربعهـــم وفيـــه ... أمُّ الـــردى منـــتجٌ لقـــوحُ

ومـــن صـــفات الوقـــار تمّـــت ... فـــيهم ومنهـــا الحجـــى الـــرجيحُ[4]

تلـــك الـــتي عـــنكم اســـتقلَّت ... عـــيسُ المنايـــا بهـــا تســـيحُ

طـــوبى[5] لهـــا جـــاورت ضـــريحا ... عـــن جـــاره ربُّـــه صـــفوحُ

واضـــطجعت في حمـــى ضـــجيعٍ ... حميّـــه (آدمٌ) و(نـــوحُ)

وقال يرثي ولد الحاج محمد رضا كبّه وقد سقط من أعلى السطح إلى صحن الدار:

أجـل مـن عُـلاً مـا خلـتُ يرقـاه فـادحُ ... هـــلالُ المعـــالي طوحتّـــه الطـــوائحُ

ومـن حيـث لا تعلـو يـدُ الـدهر أهبطـت ... إلى اللحـد نجـمَ الفخـر فالـدهرُ كـالحُ

تناولـــه مـــن أفـــق مجـــدٍ لعـــزَّةٍ ... قـــد انحســـرت عنهـــا العيـــونُ الطـــوامحُ

فمطلعـــه في مشـــرق المجـــد مظلـــمٌ ... ومغربـــه في موضـــع اللحـــد واضـــحُ

---

١ - في المطبوع: تنشق.

٢ - الكلوح: التقطيب.

٣ - في المطبوع: بها.

٤ - في مخطوطة الملاّ: رجيح.

٥ - طوبى: جاءت في معاني مختلفة، وكلّها تنطبق هنا، منها: الخير، الغبطة، السعادة، وشجرة في الجنّة، والجنّة نفسها.

لحـــى الله يومـــاً قـــد أراني صـــباحه ... تبـــاريحَ وجـــدٍ للحشـــا لا تبـــارحُ

بـــه صـــاح ناعيـــه فأشـــغلت مســـمعي ... وقـــد مـــضَّ في قعـــر الحشـــا منـــه صـــائحُ

وهمَّـــت جفـــوني بالبكـــا فملكتُهـــا ... علـى الـدمع أرجـو الكـذب والصـدق لائـحُ

وقلـــتُ لمـــنْ ينعـــاه إذ جـــدَّ باسمـــه ... بنـــوح تبَّـــين باســـم مـــن أنـــت نـــائحُ

بفيـــك الثـــرى لا تُســـم في النعـــي جعفـــرا ... فيوشـــك أن تجتـــاحَ نفســـي الجـــوائحُ[1]

فلمّـــا أبى إلاّ الـــتي تشـــعبُ الحشـــا ... وإلاّ الـــتي تبـــيضُّ منهـــا المســـائح[2]

جمعـــتُ فـــؤادي وانطويـــتُ علـــى الجـــوى[3] ... علـــى حـــرقٍ ضـــاقت بهـــنَّ الجـــوانحُ

أعـــاذلتي[4] عـــنّي خـــذي اللـــومَ جانبـــا ... فـــلا أدمعـــي ترقـــى[5] ولا الوجـــدُ بـــارحُ

فلـــم ينسـفحْ مـــن عيـــني[6] الـــدمعُ وحـــده ... ولكـــنَّ كلِّـــى مـــدمعٌ منـــه ســـافحُ

أصـــبراً وذا إنســـانُ عيـــنيَ أطبقـــت ... علـــى شخصـــه أجفـــانهنَّ الضـــرايحُ

قـــد اســـتلَّه مـــن عيـــني الـــدهر بعـــدما ... تخيلـــتُ أنّ الـــدهر لي عنـــه صـــافحُ

بكـــفٍّ لـــه مـــدّت إليَّ بهيئـــةٍ ... بـــدت وهـــي فيهـــا كـــفُّ خـــلٍّ يصـــافحُ[7]

ومـــرَّت علـــى وجهـــي فقـــدَّرتُ أنّـــه ... يلاطفـــني في مَرّهـــا ويمـــازحُ

ومـــا خلتُـــه يـــا شـــلَّها اللهُ أنّـــه ... بهـــا لســـواد العـــين مـــنّي ماســـحُ

فأطبقـــتُ عيـــني وهـــي بيضـــاءُ مـــن عمـــىً ... وإنســـانها حيـــث اشـــتهى الـــدهرُ طـــائحُ

بمَـــنْ عـــن ضـــياء العـــين يعتـــاض طرفهـــا ... فيغـــدو عليـــه وهـــو للجفـــن فـــاتحُ

لتجـرِ الليـالي حيـث[8] شـاءت بنحسـها ... فمـا عنـدها فـوق الـذي أنـا نـائحُ

ومـــاذا تـــريني بعـــدَها في مُـــدى الأســـى ... يـــداً لفـــؤادي ســـعدُها وهـــو ذابـــحُ[9]

---

١ - الجوايح: المهلكات.

٢ - المسائح جمع مسيّحة: الذؤابة، وشعر جانبي الرأس.

٣ - في المطبوع: من.

٤ - في المطبوع: أعاذلتا.

٥ - رقأ الدمع: إذا نشف وجف.

٦ - في المطبوع: في جفني.

٧ - وفيه: تصافح.

٨ - في الأصل: كيف شاءت.

٩ - في سعد وذابح تورية. فإنّ سعد الذابح هو أحد سعود الكواكب العشرة وهو من منازل القمر، ويريد: إذا كانت ليالي السعد تذبحني فما ظنّك بليالي النحس.

أقـــول لركـــبٍ أجمعـــوا الســـيرَ موهنـــا وقـــد نشـــطت للكـــرخ فـــيهم طلايـــحُ
أقيمـــوا فـــواقي ناقـــةٍ[١] مـــن صـــدورها لأودعكـــم مـــا اســـتحفظته الجـــوانحُ
خـــذوا مهجـــتي ثمّ انضـــحوها عقـــيرةً[٢] علـــى جـــدثٍ دمـــعُ البلـــى فيـــه ناضـــحُ
وقولـــوا لأيـــدٍ أحـــدرت[٣] فيـــه جعفـــرا ولم تـــدرِ مـــاذا قـــد طوتـــه الصـــفائحُ
لأحـــدرت مـــن قلـــب المكـــارم فلـــذةً قـــد انتزعتهـــا مـــن حشـــاها الفـــوادحُ
فغـــير جميـــلٍ بعـــده الصـــبرُ للـــورى ولا عيشـــهم لـــولا (محمـــدُ) صـــالح[٤]
فـــتى الحلـــم لا مســـتثقلاً لعظيمـــةٍ تخـــفُ لهـــا الأحـــلامُ وهـــي رواجـــحُ
تـــدرّع مـــن نســـج البصـــيرة قلبـــه إضـــاة أســـىً[٥] لم تـــدرّعها الجحـــاجحُ
وصـــابرها دهيـــاء في فقـــد جعفـــرٍ يكـــافح منهـــا قلبُـــه مـــا يكـــافحُ
ونهنـــه فيـــه زفـــرة عـــدن فوقهـــا حـــوانيَ مـــن (عبـــد الكـــريم) الجـــوانحُ
تعـــرّض فيهـــا حـــادثُ الـــدهر منهمـــا لصـــلَّين مـــن نابيهمـــا الســـمُّ راشـــحُ
ونصـــلين لا تمضـــى بيـــوم كريهـــةٍ مضـــاءهما يـــومَ الخصـــام الصـــفائحُ
ورمحـــين ســـل قلـــبَ الكواشـــح عنهمـــا بمـــا منهمـــا في القلـــب تلقـــى الكواشـــحُ
تجـــده كليمـــاً وهـــو أعـــدلُ شـــاهدٍ علـــى جرحـــه والجـــرحُ لا شـــك فـــادحُ[٦]
تســـربلتها يـــا دهـــرُ شـــنعاءَ وسمهـــا لوجهـــك مـــا عمَّـــرت بـــالخزي فاضـــحُ
عمـــىً لـــك هـــل عـــينٌ تبيـــتُ وطرفهـــا لإنســـانها[٧] بالشـــرّ أزرقُ لامـــحُ؟
أفـــق أيَّ وقـــتٍ فيـــه منـــك لجعفـــرٍ تُفـــرغُ كـــفُّ ليتـــه منـــك طـــائحُ

---

١ - الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنّ الناقة تحلب ثمّ تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر، ثمّ تحلب.

٢ - العقيرة: ما يعقر على القبر إعظاماً.

٣ - في العقد المفصل: أهبطت.

٤ - في العقد المفصل: جاء البيت هكذا:

فغـــير جميـــل بعـــده الصـــبر والعـــزا ولا العـــيش لي لـــولا محمـــد صـــالحُ

٥ - الإضاءة: الدرع.

٦ - وفي المطبوع: قادح.

٧ - في المطبوع: وإنسانها.

وقد شغلت في كلِّ لحة ناظرٍ يديك جميعاً من أبيه المنائحُ[1]
فتىً يجد الساري على نوره هدىً ولو ضمَّه فجٌّ من الأرض نازحُ
كأنَّ المحيّا منه والليل جانحٌ (سهيلٌ) لأبصار المهبِّينَ لائحُ
تجاوز (هادي) مجده كاهل السهى إلى حيث ما لحظ الكواكب طائحُ
وأمسى[2] حسيناً وجه جدواه للورى على حين وجه الدهر في الخلق كالحُ
وأصبح معنى فخره مصطفى العُلى وكلٌّ لأن يقفو محمدَ صالحُ
فتى في صريح المجد يُنمي لمعشرٍ أكفُّهم أنواءُ عرف دوالحُ[3]
مضيئون ضوء الأنجم الشهب للورى فأوجههم والشهب كلٌّ مصابحُ
على أوّل الدهر استهل نداهم فسالت به قبل الغيوث الأباطحُ
ومدَّ (أبو المهديَّ) فيه أناملا رواضعها صيد الملوك الجحاجحُ
جرت بالنمير العذب عشر بحارها وكل بحار الأرض عذبٌ ومالحُ
فما للندى في آخر الدهر خاتم سواه ولا في أوّل الدهر فاتحُ

وقال في رثاء عمّه الشاعر المعروف السيد مهدي ابن السيد داود:

أظُبي الردى أنصلتي وهاك وريدي ذهب الزمان بعَّدتي وعديدي
نشبت سهام النائبات بمقتلي فلحفظ ماذا أتقي عن جيدي
ماذا الذي يا دهرُ توعدني به أو بعدُ عندكَ موضعٌ لمزيدِ
طرقتني الدنيا بأيّ ملمةٍ ذهبت علىَّ بطارفي وتليدي
ما خلت رحب الصبر حتى فاجأت عنّي يضيقُ وفيه رحب البيدِ
الآن أصبح للنوائب جانبي غرضاً وشملُ قواىَ للتبديدِ

---

١ - في المخطوط: لمائح.

٢ - وفي المخطوطة: وأسنى.

٣ - في مخطوطة الملاّ: عرف وفاتح. وفي العقد المفصل جاء صدر هذا البيت هكذا:
نمته إلى المجد الصريح معاشر.

طلعـــت علـــيَّ الحادثـــات ثنيَّـــة ... لا يُهتـــدي لرتاجهـــا المســـدودِ

وإليَّ قـــد طلعـــت[١] ذرىً مـــن شـــاهقٍ ... لا ترتقـــي هضـــباته بصـــعودِ

فنـــزعن مـــن كفـــيَّ قـــائمَ أبـــيضٍ ... أعددتـــه للقـــا الخطـــوب الســـودِ

قـــد ملـــتُ نحـــو الصـــبر حـــين فقدتـــه ... فـــإذا المصـــابُ بصـــبريَ المفقـــودِ

أفهـــل أذودُ الحادثـــات بكفـــيَّ الـــ ... ـــجـــذاء[٢] أم بحســـاميَ المغمـــودِ؟

عجبـــاً أمنـــتُ الـــدهرَ وهـــو مخـــاتلي ... ورقـــدتُ والأيـــامُ غـــير رقـــودِ

وأنـــا الفـــداء لمـــنْ نشـــأتُ بظلّـــه ... والـــدهرُ يـــرمقني بعـــين حســـودِ

لم أدرِ مـــا لفـــحُ الخطـــوب بحرّهـــا ... وهـــواجرُ الأيـــام ذات وقـــودِ[٣]

مازلـــتُ وهـــو علـــيَّ أحـــنى مـــن أبي ... بألـــذّ عـــيشٍ في حمـــاه رغيـــدِ

حـــتى رمـــاني في صـــبيحة نعيـــه ... أرســـى بداهيـــةٍ علـــيَّ كـــؤودِ[٤]

ففقدتُـــه فقـــدَ النـــواظر ضـــوءها ... وعججـــتُ[٥] عجّـــة مثقـــلٍ مجهـــودِ

مـــا لي وللأيـــام قـــوض صـــرفُها ... عـــنّي عمـــادَ رواقـــي الممـــدودِ

عثـــرتْ فجـــاوزت الإقالـــة عثـــرةٌ ... وطئـــت بهـــا أنفـــي وأنـــفَ الجـــودِ

ومضـــتْ بنخـــوة هاشـــمٍ وإبائهـــا ... فطوتهمـــا والصـــبرَ في ملحـــودِ

حملـــت بكاهلهـــا الأجـــبّ[٦] لفقـــده ... ثقـــلَ المصـــاب وركنهـــا المهـــدودِ

وشـــككت مـــذ تحـــت الضـــلوع قلوبُهـــا ... رجفـــت صـــبيحةَ يومهـــا المشـــهودِ

أبـــه نعـــى النـــاعي لهـــا (عمـــرو العُلـــى) ... أم (شـــيبة) الحمـــد انطـــوى بصـــعيدِ

فكأنّمـــا أضـــلاعُ هاشـــم لم يكـــن ... أبـــداً لهـــا عهـــدٌ بقلـــب جليـــدِ

مـــازال يوعـــدها الزمـــان بنكبـــةٍ ... صـــمّاءَ تأخـــذ مـــن قـــوى الجلـــودِ

حـــتى أطـــلَّ بوثبـــةٍ فتبيَّنـــت ... ذاك الوعيـــدَ بيومهـــا[٧] الموعـــودِ

---

١ - وفي الديوان المطبوع: صعدت.

٢ - في المخطوط: المجذوذ.

٣ - في مخطوطة الملاّ: غير رقود.

٤ - كؤود: صعبة، شاقة.

٥ - في المطبوع: عجبت.

٦ - الأجبّ: المقطوع.

٧ - في المطبوع: بيومه.

لم تقضِ ثكل عميدها بمحرمٍ إلاّ وأردفها بثكل عميدِ
يبكي عليه الدينُ بالعين التي بكت الحسينَ أباه خيرَ شهيدِ
إن يختلط رزءاهما فكلاهما قصما قَرا الإيمان[1] والتوحيدِ
وأرى القريض وإن ملكتُ زمامه وجريتُ في أمدٍ إليه بعيدِ
لم ترضَ عنه غيرَ ما قدَّرته[2] في مدح جدِّك طاهراً[3] في الجيدِ
أمنت حشاشتُك الروائعَ لا تخف جورَ الزمان عليَّ بالتنكيدِ

وقال يرثي الحاج مهدي كبّه وقد توفّي في طريق فارس، ويعزّي والده الحاج محمد صالح:

أغائرٌ دمعك أم منجدُ قد رحل الصبرُ ولا منجدُ[4]
يا رابط الأحشاء في راحةٍ قد نضجت بالجمر ما تقصدُ
لا تلتمسْ قلبك في جذوةٍ ما بقيتْ منكَ عليها يدُ
أخلت يبقى لك قلبٌ على فاغرة الوجد ولا يفقدُ
وإنَّ قلباً بين أنيابها طاح شظايا كيف لا يزردُ[5]
حسبك منها زفرةً لو غدتْ في جلدٍ منها نزا الجلدُ
كم هزَّ أضلاعَك من فوقها حتى تلاقين جوىً مكمدُ
فساقطت منك الحشا أدمعاً حمراً على ذوب الحشا تشهدُ
لو تعلم الأيامُ ماذا جنت إذاً لودَّت أنّها تنفدُ
لقد أجلَّت رزَء خطبٍ لها في كلّ قلبٍ مأتماً يُعقدُ

---

١ - في المطبوع: الإسلام. وقرا: بفتح القاف. الظهر.

٢ - وفيه: فلدته.

٣ - وفيه: طائراً.

٤ - منجد: الأولى بلاد نجد، والثانية، المساعد.

٥ - يزرد: يبلع.

إذ كـــوّرت شمســـاً، بنـــو المصـــطفى ... فيهـــا ترجَّـــوا أفقَهـــم يســـعدُ

اللهَ يـــا دهـــرُ أبينـــاهُم ... في زهـــو بشـــرٍ للعـــدى تكمـــدُ؟

وبينمـــا في فـــرط إبهـــاجهم ... فيهـــا لأثـــواب الهنـــا جـــدَّدوا؟

وكلُّهـــم قـــد مـــدّ عـــينَ الرجـــا ... لفرقـــد الفخـــر بهـــا يرصـــدُ؟

إذ يـــردُ النـــاعي إلـــيهم بـــأن ... جـــاء (ابـــن نعـــشٍ) ذلـــك الفرقـــدُ[١]

فيغتـــدي ذاك الهنـــا حنَّـــةً ... فـــرائصُ الـــدنيا لهـــا ترعـــد[٢]

نعـــشٌ أتـــى يُحمـــل فيـــه النهـــى ... ميتـــاً عليـــه ينـــدب الســـؤددُ

وخلفـــه العليـــاءُ في صـــرخةٍ ... تـــدعو إلى أيـــن بـــه يقصـــدُ؟

يـــا حـــاملي إنســـانَ عيـــني قفـــوا ... نشـــدتُكم باللّـــه لا تبعـــدوا

دعـــوه لي حســـبي لتجهيـــزه ... عـــينٌ عليـــه طرفُهـــا أرمـــدُ

دموعهـــا الغســـلُ وأكفانـــه[٣] الـــ ... بيـــاضُ، والجفـــنُ لـــه ملحـــدُ

غـــدرتَ يـــا دهـــرُ ومنـــك الوفـــا ... لا الغـــدرُ بالأمجـــاد مســـتبعدُ

فاذهـــب ذميمـــاً إنّهـــا غـــدرةٌ ... وجهـــك مـــا عشـــتَ بهـــا أســـودُ

مـــا لـــك بالســـوء لأهـــل الحجـــى ... وردتَ لا طـــاب لـــك المـــوردُ

يـــا ناهـــداً بالشـــرّ مـــن جهلـــه ... تعلـــمُ بالشـــرّ لمـــنْ تنهـــدُ[٤]

وطارقـــاً بيـــتَ نـــدىً يلتقـــي ... ببابـــه المـــتهمُ والمنجـــدُ

حســـبك مـــن بيـــت عتيـــد القـــرى ... أن لـــه أفـــق الســـما يحســـدُ

تخمـــد شـــهبُ الأفـــق لكـــن بـــه ... مواقـــدُ النـــيران لا تخمـــدُ

ســـواه مـــا للمجـــد[٥] مـــن مهـــبطٍ ... ومـــا لـــذّمٍ نحـــوه مصـــعدُ

فمقعـــداه للتقـــى والنـــدى ... وحاجبـــاه العـــزُّ والســـؤددُ

ألم تجـــده حرمـــاً آمنـــا ... يحجُّـــه الأبـــيضُ والأســـودُ؟

---

١ - في ابن نعش تورية غير خفية.

٢ - في المطبوع: له ترعد.

٣ - في مخطوطة الملاّ: وأكفانها.

٤ - نهد: أسرع إليه.

٥ - في المطبوع: في الحمد.

فكيـــف تســـعى فيـــه لا محرمـــا؟ كأنّمـــا أنـــتَ بـــه ملحـــدُ

مـــا هـــو إلاّ بيـــتُ فخـــرٍ لـــه قبيلـــةُ المعـــروف قـــد شـــيّدوا

بيـــتٌ أبـــو النـــدب الرضـــا ربّـــه أكـــرمُ مَـــنْ تحـــت الســـما يُقصـــدُ

مـــولىً درت أهـــلُ العُلـــى أنّـــه دون الأنـــام العلـــمُ المفـــردُ

وأنّـــه لـــولا هـــداه الـــورى ضـــلَّت فـــلا رشـــدٌ ولا مرشـــدُ

وأنّـــه لـــولا نـــدى كفّـــه لم يُـــرَ لا رفـــدٌ ولا مرفـــدُ

تلقـــاه طلـــقَ الوجـــه مـــن هيبـــةٍ يفـــرق[١] منهـــا الأســـد الملبـــدُ

محبـــبٌ مـــن حســـن أخلاقـــه حـــتى إلى مَـــنْ مجـــدُه يحســـدُ

مـــا ســـهدت[٢] مـــن خـــائفٍ مقلـــةٌ إلاّ وبـــالأمن لهـــا يرقـــدُ

مَـــنْ ذا ســـواه قـــام يـــدعو الـــورى: دونكـــم مـــن بحـــر جـــودي ردوا

ومـــدَّ كفّـــاً بغريـــب النـــدى آلاؤهـــا[٣] بـــين الـــورى تحمـــدُ

بخّلـــت المـــزن ففـــي بخلهـــا حلائـــبُ[٤] المـــزن لهـــا تشـــهدُ

تبصـــر في راحتـــه أبحـــرا طافحـــةً أمواههـــا[٥] العســـجدُ

أســـرَّة تُســـمى ولكنّهـــا بحـــارُ جـــود بالنـــدى تزبـــدُ

فهـــو لعمـــري حجـــةٌ في النـــدى وآيـــةٌ في الفضـــل لا تجحـــدُ[٦]

قـــد قـــام لله بمـــا بعضـــه لكـــلِّ أمجـــاد الـــورى معقـــد[٧]

مكـــارمٌ مـــا لكـــريمٍ ســـوى (عبـــدِ الكـــريم) النـــدب فيهـــا يـــدُ

ذاك أبـــو الكـــاظم غيـــثُ النـــدى تـــربُ المعـــالي نجمهـــا الأســـعدُ

أيـــن بنـــو العليـــاءِ مـــن مجـــده؟ ومجـــدُه مـــا نالـــه الفرقـــدُ

فقـــل لهـــم: لا تطلبـــوا نهـــجَ مَـــنْ لطُرقـــه في المجـــد لـــن تهتـــدوا[٨]

---

١ - يفرق: يفزع، يخاف.

٢ - في المطبوع: ما سهرت.

٣ - الآلاء: النعم.

٤ - الحلايب: جمع حلوب: كثيرة المطر.

٥ - في مخطوطة الملاّ: أمواجها.

٦ - فيها أيضاً: يجحد.

٧ - في المطبوع: مقعد.

٨ - في مخطوطة الملاّ: يهتدوا.

قفـــوا جميعـــاً حيـــثُ أنـــتم فمـــا ... لكـــــم إلى عليائـــــه مصـــــعدُ

هيهـــــات أن يعلـــــق في شـــــأوه ... إلاّ (الرضـــا) فـــرع العُلـــى الأمجـــدُ

مبـــــاركُ الطلعـــــة في يمنهـــــا ... جميـــعُ مَـــنْ صـــبَّحه يســـعدُ

يـــرى سمـــات الخـــير في مالـــه[1] ... بأنّـــه خـــيرُ الـــورى تشـــهدُ

مهـــــذّبٌ رشـــــحه للعُلـــــى ... زعيمهـــــا الإكـــــبرُ والســـــيّدُ

فجـــاء فـــرداً في النهـــى كـــاملا ... يُثـــنى عليـــه الفضـــلُ والمحمـــدُ

شمـــسُ عُـــلاً (هـــادٍ) لآفاقهـــا ... بـــدرٌ لـــه بـــدرُ الســـما يســـجدُ

وشـــهبُها الزهـــر (حســـين) النـــدى ... مـــنْ طـــاب منـــه في العُلـــى المولـــدُ

وفخـــر أربـــاب النهـــى (المصـــطفى) ... مَـــنْ هـــو أزكـــى مـــنْ نمـــا محتـــدُ

وكوكـــب الرشـــد (أمـــينُ) التقـــى ... و(كـــاظمُ) الغـــيظ الفـــتى الأمجـــدُ

و(بـــاقرُ) الفضـــل وروحُ العُلـــى ... (عيســـى) فهـــل فخـــرٌ كـــذا يوجـــدُ؟

قـــومٌ هـــم شـــهبُ الفخـــار الـــتي ... منهـــا بكـــلٍّ تـــرجم[2] الحسَّـــدُ

أنجـــمُ فضـــلٍ زهـــرتْ فاهتـــدى ... بنورهـــا الأقـــربُ والأبعـــدُ

حـــتى لقـــد قـــال جميـــعُ الـــورى: ... هـــذا لعمـــري الشـــرفُ المتلـــدُ

يـــا أســـرةَ المعـــروف لا نـــابكم ... مـــن بعـــد هـــذا الـــرزء مـــا يكمـــدُ

وهـــذه النكبـــة مـــعْ إنّهـــا ... فيهـــا ثـــوابُ الصـــبر لا ينفـــدُ

لا يحمـــد الصـــبر علـــى مثلهـــا ... لكنَّـــه مـــن مـــثلكم يُحمـــدُ

وإنَّ مـــنْ عـــنكم طـــواه الـــردى ... في جنَّـــة الخلـــد لـــه مقعـــدُ

قـــرَّ بهـــا الطـــرفُ وطـــرف العُلـــى ... شـــوقاً إلى مـــرآه لا يرقـــدُ

ودمـــعُ عـــين المجـــد مـــذ أرّخـــوا ... (المهـــدي فيهـــا غـــاب لا يجمـــدُ)

فعيشـــه في ظـــلِّ فردوســـها ... تـــالله أرّخ (لهَـــوَ الأرغـــدُ)

---

١ - في المطبوع: فيها له.

٢ - ترجم: ترمي، تلعن.

وقال يرثي كريمة الحاج محمد صالح كبّه ويعزّيه بها، وقد توفّيت في طريق فارس:

قـــد تبلـــغ الأنفـــسُ في ارتيادهـــا ... حصـــولَ مـــا تهـــواه مـــن مرادهـــا

وقـــد تـــديم الســـعيَ في تتمـــةٍ ... انتقاصـــها أو طلـــب ازديادهـــا

ففاتهـــا مـــا اعتقـــدت حصـــوله ... وجاءهـــا مـــا لـــيس في اعتقادهـــا

وكلّمـــا قـــدرّه اللهُ لهـــا ... في قربهـــا يجـــري وفي بعادهـــا

هـــذا ابـــنُ أمَّ المكرمـــات مـــنْ غـــدا ... يرفـــل[1] في الفـــاخر مـــن أبرادهـــا

جوادُهـــا وهـــل بمضـــمار العُلـــى ... أســـبقُ مـــن (محمـــدٍ جوادهـــا)[2]؟

أنكـــر مـــسَّ الـــدهر مـــن خشـــونةٍ ... لا يرقـــد الحـــرُّ علـــى قَتادهـــا

فانســـاب مثـــل الأيم[3] عـــن بـــلاده ... ينتجـــعُ العـــزَّة في بلادهـــا

يطلبهـــا بعـــين يقظـــانَ رأت ... ســـهادَها أعـــذبَ مـــن رقادهـــا

مقتعـــداً مـــن الإبـــاء صـــعبةُ[4] ... لا يقـــدر الـــدهر علـــى اقتعادهـــا

حـــتى اصـــطفى مـــن عـــزّةٍ دارَ عُـــلاً ... ترفـــع كـــفُّ المجـــد مـــن عمادهـــا

فاحتـــلَّ منهـــا في ربـــاع شـــرفٍ ... عـــادت نجـــوم الأُفـــق مـــن حســـادها

قـــد عقـــد النـــديَّ فيهـــا للنهـــى ... واصـــطنع العـــرفَ إلى قصّـــادها

واســـتحلت (الفـــرسُ) لـــه خلائقـــا[5] ... أخلاقهـــا المـــرةُ مـــن أضـــدادها

فكـــان فيهـــا كهـــلال فطرِهـــا ... وكـــلُّ يـــومٍ مـــرَّ مـــن أعيادهـــا

أأمّـــل أن يعـــودَ وهـــو رافـــةٌ ... بنـــاعم العـــيش إلى بغـــدادها

فعـــاد في نعـــشٍ حـــوى (صـــفيّةً) ... أعـــزَّ في عينيـــه مـــن ســـوادها

---

١ - يرفل: يتبختر، يتمايل.

٢ - محمد جواد: زوج المتوفّاة وهو الذي حمل جثمانها إلى النجف.

٣ - الأيم: ذكر الأفعى.

٤ - الصعبة: التي لم يسبق لها أن تركب.

٥ - في المطبوع: الغرس.

خلـــتُ أُهنّيـــه علـــى قدومـــه ... لا أن أُعزّيـــه علـــى افتقادهـــا

وفيـــه في النـــادي لآل المصـــطفى ... أقـــول قـــرَّت مقلتـــا أمجادهـــا

لا أنّـــني[1] أقـــول في مأتمهـــا ... صـــبراً وأيـــن الصـــبرُ مـــن فؤادهـــا

يـــا خجلـــة الأيـــام مـــن (محمـــدٍ) ... (صـــالحِها) الزاجـــر عـــن فســـادها

قـــد صـــبغ العـــارُ لهـــا وجوهَهـــا ... فلتســـتتر بفاضـــح اســـودادها

يـــا قصـــرتْ يـــدُ الليـــالي مـــا جنـــت ... علـــى أبي (المهـــديّ) في امتـــدادها

ألـــيس دأبـــاً كفَّهـــا مملـــوَّةً ... مـــن كفِّـــه البيضـــاء في إرفادهـــا[2]

مـــولىً علـــى الأرض تـــراه رحمـــة ... عمَّـــت جميـــعَ الأرض بانفرادهـــا

أحيـــا ثراهـــا وأمـــات جـــدبَها ... بجـــوده، وكـــان مـــن أوتادهـــا

مقتصـــدٌ يســـرف في بـــذل النـــدى[3] ... حيـــث الـــورى تســـرف باقتصـــادها

كـــأنَّ مـــن وقـــاره حبوتُـــه ... تضـــمنُ منـــه الطـــودَ في انعقادهـــا

ســـدَّت لأهـــل الأرض[4] فيـــه ثلمـــة ... مـــا ظفـــرتْ لـــولاه بانســـدادها

خافـــتْ ولمـــا التجـــأتْ لعـــزِّه ... أقرّهـــا والأرض في مهادهـــا

يُنمـــي إلى قبيلـــة المجـــد الـــتي ... طريفهـــا يعـــربُ عـــن تلادهـــا

إن عـــدَّدت لمفخـــرٍ ودَّت بـــأن ... تـــدخلُ زهـــر الشـــهب في عـــدادها

تـــواترت عنهـــا روايـــاتُ النـــدى ... مـــن ولـــدها تنقـــل في آحادهـــا

في كـــلّ ذي نفـــسٍ تزكَّـــت بـــالتقى ... لا تعلـــق الآثـــامُ في أبرادهـــا

تـــديم ذكـــرَ الله، بـــل كـــاد لهـــا ... يقـــوم مـــا عاشـــت مقـــامَ زادهـــا

هـــذا أبـــو (المهـــدي) فـــانظر في الـــورى ... هـــل كـــأبي (المهـــديّ) في عبادهـــا؟

كـــأنَّ في جنبيـــه نفـــسَ ملـــكٍ ... تســـتنفد[5] الأوقـــات في أورادهـــا

أتعبهـــا في طاعـــة اللّـــه لكـــي ... تفـــوزَ بالراحـــة في معادهـــا

---

١ - المطبوع: لا لأنّي.

٢ - في المطبوع: أرقادها.

٣ - في المخطوط: اللهى، و: حتى.

٤ - في المطبوع: لأهل الدين.

٥ - في مخطوطة الملاّ: نستنفذ.

حسبُك ما ترويه عن آبائها: أنّ التقى والبرِّ في زهّادها
بل كيف لا تثبت دعوى شرفٍ (أبو الأمين) كان من أشهادها
ندبٌ حياض الجود منه نعمةٌ تروي بها الوفدَ على احتشادها
يزداد وريّاً زندُ مكرماته إن زادت الجدوب في أصلادها[1]
صلّى إلى العلياء خلفَ سابقٍ كان هو النخبة من أمجادها
ذاك أخوه وأبو النجب التي قد أخذ الفخارَ في أعضادها
منها الرضى للوفد حيث سخطت من بخل أهل الأرض في ارتيادها
محبُّ الأخلاق محسود العُلى دامت له العلياء مع حسّادها
قد خلط البشرى لذي ودادها بهائل السخط لذي أحقادها
مثلَ البحار الفعم يروي عذبُها ويغرق الجائشُ في إزبادها[2]
أو كالقطار السجم يُرجى برقُها ويُرهب القاصفُ من إرعادها
له الندى المورودُ عبّاً وندى سواه مثلُ المصِّ من ثمادها[3]
أزهرُ بسّام العشيِّ إن دجت أوجهُ أقوام على قصّادها
يلتمع السرورُ في جبينه عند قِرى الأضياف وازديادها
قد طاول الأنجمَ (هادي) مجده حتى سما الكاهل من أفرادها
واتقدت من فوقها أنوارها حتى شكت إليه من إخمادها
قد خلّف (المهديُّ) خير مَنْ مشى في هذه الأرض على مهادها
وقام في دار علاهُ حافظا له ذمامَ الجود في وفّادها
وبعضهم كالنار لا يخلفها منها سوى ما كان من رمادها
أبلج لا يشبهه البدرُ لأن تشينه الكلفةُ في سوادها[4]

---

١ - الأصلاد: السنوات الشديدة في قحطها.

٢ - الأزباد: ما يطفح على وجه البحر إذا اضطربت مياهه.

٣ - الثماد: المياه القليلة، والحفر التي تتجمّع فيها المياه.

٤ - في المطبوع: في اسودادها.

مـــن فئـــة فيهـــا الوقـــارُ والنهـــى ... ســـاعة تســـتهلُّ في ميلادهـــا

(كمصـــطفى) الفخـــر وناهيـــك بـــه ... في شـــرف الـــنفس وفي إرفادهـــا

جـــلَّ فلـــولا صـــغرُ الـــنفس إذن ... لقيـــل هـــذا مصـــطفى أجـــدادها

مَـــن مثلـــه وأيـــن تلقـــى مثلـــه؟ ... يـــا رائـــد المعـــروف في أجوادهـــا

هـــذا الـــذي قـــد وجـــدت عفاتُـــه ... بـــرد النـــدى منـــه علـــى أكبادهـــا

وعـــن حســـينٍ جـــودُه تحـــدَّثت ... تحـــدّثَ الروضـــة عـــن عهادهـــا

كالغيـــث في دنـــوه، والبـــدر في ... علـــوِّه، والشـــمس في اتقادهـــا

بـــل في (أمـــين) الحلـــم نفـــسُ (كـــاظمٍ) ... للغـــيظ ممّـــا ســـاء مـــن حسّـــادها

(جعفـــرُ) فضـــلٍ و(الجـــواد) جعفـــرُ الـــ ... فضـــل وذا حســـبُك مـــن تعـــدادها

قـــد ولـــدت أمُّ المعـــالي غيرَهـــا ... لكـــن هـــي الصـــفوةُ مـــن أولادهـــا

تهـــوى الســـما أن تغتـــدي فراشـــها ... والشـــهبُ أن تكـــون مـــن وســـادها

حيـــث أبـــو (المهـــديّ) قـــد رشَّـــحها ... للفخـــر والســـؤدد مـــن ميلادهـــا

يـــا فئـــةً أحلامهـــا مـــا زحزحـــت[1] ... راجفـــة الخطـــوب مـــن أطوادهـــا

إليكموهـــا غـــرراً وإن تكـــن ... بـــدت مـــن الأحـــزان في ســـوادها

وسمتهـــا بمـــدحكم فأقبلـــت ... سماتهـــا تنـــيرُ في أجيادهـــا

بلطفهـــا مـــن القـــوافي نزلـــت ... منزلـــة الأرواح مـــن أجســـادها

جاءتـــك ثكلـــى غـــير مســـتأجرةٍ ... تستقصـــر (الخنســـاء)[2] في إنشـــادها

لـــو رددت نوحـــاً (لصـــخرٍ) لأرت ... كيـــف انفطـــارُ الصـــخر في ترادهـــا

ناحـــت فأبكـــت شـــجناً عـــينَ العُلـــى ... بـــأدمعٍ تـــذوب مـــن فؤادهـــا

ثمّ دعـــت لا طرقـــت ربعَكـــمُ ... إلاّ المســـرّات مـــدى آبادهـــا

---

١ - في المخطوط: قد زحزحت.

٢ - هي الشاعرة الشهيرة تماضر بنت عمرو بن الشريد السفية، وقد عرفت، بمراثيها لأخيها صخر، أسلمت مع قومها، توفّيت عام ٥٤ للهجرة وعمّرت طويلاً.

ولا وعـــى[1] غـــيرَ التهـــاني سمعُكـــم أو مـــــدحاً تطـــرب في إنشـــادها
ومـــــنكم لا برحـــــت آهلـــــة عرينـــــةُ العـــــزَّة في آســـــادها

وقال راثياً العلاّمة الشيخ جعفر[2] ابن الشيخ علي كاشف الغطاء، ومعزّياً به العلاّمة السيد مهدي القزويني، وقد تلف قسم منها:

مـــا للعيـــون حاربـــت رقادَهـــا؟ وســـالمت علـــى القـــذى ســـهادها[3]
ومـــا الـــذي أوجســـت[4] النـــاس ضـــحى فألزمـــــت أكفّهـــــا أكبادهـــــا؟
نعـــم هـــوت دعامـــةُ الفضـــل الـــتي لدينـــــه ربُّ الســـــماء شـــــادها
واليـــومَ عـــزّى (جعفـــراً) (بجعفـــر)[5] نـــاعٍ نعـــى إلى الـــورى رشـــادها
قـــد جمـــع الـــدهرَ قـــواه كلّهـــا بليلـــة قـــد ضـــاعف اســـودادها
حـــتى علـــى رزء الهـــدى بقلبـــه أرزاءُ كـــلّ آلـــه أعادهـــا
اللهَ يـــا دهـــرُ لقـــد خلّـــدتها ســـبَّة عـــارٍ لا تـــرى نفادهـــا
للمجـــد كانـــت مقلـــةٌ واحـــدةٌ مســـحت في كـــفِّ الـــردى ســـوادها

وقال راثياً العلاّمة الشيخ مهدي[6] ابن الشيخ علي كاشف الغطاء، ومعزّياً أولاده وأخاه الشيخ جعفراً، والعلاّمة السيد مهدي القزويني:

---

١ - في المطبوع: دعا.

٢ - هو الشيخ جعفر بن علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، من مشاهير أعلام عصره، كان ذكيّاً لسناً، وعالماً حافظاً، وشاعراً رقيقاً، توفّي عام ١٢٩٠ هـ، ترجمت له في كتابي (شعراء الغري) ٢ / ٤٠ - ٤٩.

٣ - في المطبوع: قتادها.

٤ - في مخطوطة الملاّ: أوحشت.

٥ - جعفر الثانية: يقصد بها ابن أخته الميرزا جعفر القزويني.

٦ - هو الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، من أشهر مشاهير علماء عصره، ومن الأدباء الشعراء البلغاء، انتهت إليه رئاسة التقليد ورجع =

أعلمـــتِ طارقـــة الخطـــوب الســـودِ ... بحمـــى الوصـــيّ صـــرعتِ أيَّ عميـــدِ

ونزعـــتِ يـــا نزعـــتْ يـــداك بنانَهـــا ... مـــن قبّـــة الإســـلام أيَّ عمـــودِ

ونعـــم فهبـــكِ قرعتِـــه بمرّنـــةٍ ... صمّـــاء تأخـــذ مـــن قـــوى الجلمـــودِ

أفطـــرتِ إلاّ قلـــبَ حاميـــة الهـــدى ... وصـــدعتِ إلاّ بيضـــة التوحيـــدِ؟

وبللـــتِ إلاّ في مـــدامع عينـــه ... ذاك الصـــعيدَ علـــى أجـــل فقيـــدِ؟

الآن مـــات العلـــمُ وانـــدرس التقـــى ... وعفـــا الســـماحُ وطـــاح كـــفُّ الجـــودِ

فُجعـــتْ بنـــو الـــدنيا بـــزاد مقلِّهـــا ... وبـــريِّ حائمـــة الرجـــا المطـــرودِ

وســـرى فطبَّقهـــا عليـــه مآتمـــا ... نـــاعٍ تضـــيق بـــه رحـــابُ البيـــدِ

صـــلَّى الإلـــهُ عليـــك[1] مـــن مفقـــود ... جـــلَّ المصـــاب بـــه عـــن التحديـــدِ

شـــغلت رزيتُـــك الملائـــك فاغتـــدت ... لـــك في هبـــوطٍ عـــن جـــوى وصـــعودِ

وكفـــاك قـــدراً أنَّ نعيَـــك في الســـما ... خلطتـــه بالتقـــديس والتحميـــدِ

وبرفعهـــا ذاك الســـريرَ تقّربـــت ... زلفـــى إلى خّلاقهـــا المعبـــودِ

رفعـــت بـــه الأخـــوين شخصَـــك والتقـــى ... وتلتـــه بالتســـبيح والتمجيـــدِ

وبكـــاك ديـــنُ الله بـــالعين الـــتي ... بكـــت (الأئمـــةَ) علَّـــة الموجـــودِ

عـــدلت رزيَّـــتُهم[2] رزيتَـــك الـــتي ... قصـــمت قـــوى الإيمـــان والتوحيـــدِ

مـــاذا يـــواري خـــطُّ قـــبركَ مـــن حجـــىً ... يـــزنُ الجبـــالَ ومـــن نـــدىً مـــورودِ

إن تمـــس مهجـــورَ الفنـــاء فطالمـــا ... وقـــف الرجـــاءُ ببابـــكَ المقصـــودِ

أو إن تكـــن جمـــدت بنانُـــك بـــالردى ... فعليـــك عـــينُ الجـــود غـــير جَمـــودِ

أو قـــلَّ مـــن أيـــام عمـــرك عـــدّها ... فكثـــيرُ بِـــرّك لـــيس بالمعـــدودِ

تبكيـــك عـــينٌ كـــم مســـحت دموعَهـــا ... بـــبرود فضـــلٍ لا بفضـــل بـــرودِ

= إليه أطراف العراق وإيران وأذربيجان، وانتشر وكلاؤه في البلدان. ولد في النجف وتوفّي بها عام ١٢٨٩ هـ، ترجمت له في كتابي شعراء الغري ١٢ / ١٠٨ - ١١١.

١ - في المخطوطة: عليه.

٢ - في المطبوع: رزيتها.

لم تبـــقَ بعـــدك للمطالـــب نجعـــةٌ ... طُـــوى الرجـــاءُ علـــى حشـــا مكمـــودِ

هـــدم الـــردى بـــك ركـــنَ ملّـــة (أحمـــدٍ) ... ولطالمـــا بـــك كـــان للتشـــييدِ

غســـلت ســـوادَ عيونهـــا بـــدموعها ... فصـــبغنَ أرديـــة الكـــرام الصـــيدِ

صـــبغت بهـــا تلـــك الثيـــابَ فســـوَّدت ... وجـــهَ الزمـــان بـــذلك التســـويدِ

ورأت بقيـــة فخرهـــا قـــد أدرجـــت ... في بـــرد شـــخصٍ بالفخـــار وحيـــدِ

كـــم رَدَّ غـــربَ الخصـــم وهـــو مركَّـــبٌ ... منهـــا بثغـــرة نحرهـــا والجيـــدِ

ووقـــى بمهجتـــه الكريمـــة قلبَهـــا ... مـــن أســـهم الأعـــداء كـــلَّ مبيـــدِ

فكأنّهـــا[1] في صـــبرها دون الهـــدى ... مـــع فـــرط رقتّهـــا مجـــنٌّ حديـــدِ

بـــأبي الـــذي عقـــدوا عليـــه رداءَه ... والخـــيرُ تحـــت ردائـــه المعقـــودِ

لـــبس الحيـــاةَ فصـــان طـــاهرَ بردهـــا ... بصـــلاحه وعفافـــه المشـــهودِ

حـــتى اســـتجدَّ ســـواه ثوبـــاً للبلـــى ... ومضـــى علـــى كـــرمٍ نقـــيَّ العـــودِ

يـــا ثاويـــاً خلـــف الصـــعيد كفـــى جـــوىً ... أنّي دعوتـــكَ مـــن وراء صـــعيدِ

لثـــراك استســـقى ثـــلاثَ ســـحائبٍ ... متكافئـــاتٍ كلّهـــا في الجـــودِ

فســـحابة وطفـــاء منـــك تعلَّمـــت ... لـــلأرض ســـقيَ تهـــائم ونجـــودِ[2]

وســـحابة مـــن جـــود كفِّـــكَ أنبتـــت ... شـــكرَ العفـــاة بـــدرّها المحمـــودِ

وســـحابة مـــن عـــبرتي مـــا أن ونـــت ... إلاّ وقـــالَ لهـــا افتقـــادكَ جـــودي

هـــي بـــالزفير إليـــك ذاتُ بـــوارقٍ ... ومـــن الحنـــين عليـــك ذاتُ رعـــودِ

فاذهـــب حميـــداً في الجنـــان مخلّـــدا ... فـــالعيشُ بعـــدك لـــيس لي بحميـــدِ

ولقـــد دعـــوت الـــدينَ بعـــدك دعـــوةً ... يســـتكُّ منهـــا ســـمعُ كـــلِّ حقـــودِ

لا تخـــشَ ضـــعفاً في الزمـــان وإن غـــدا ... يرســـو[3] بداهيـــةٍ عليـــك كـــؤودِ

فبـــه لـــك (المهـــديُّ) أمنـــعُ قـــوَّةٍ ... تـــأوى لـــركنٍ مـــن عـــلاه شـــديدِ

---

١ - في مخطوطة الملاّ: فكأنّما.

٢ - التهائم والنجود: المنخفضات والمرتفات عن الأرض.

٣ - في المطبوع: يرسيْ.

نســـجت حميتُـــه عليـــك صـــنيعةً ... لم تقـــضِ نثرتهـــا[1] يـــدا داودِ

فـــإذا دجـــى ليـــلُ الخطـــوب فلقتـــه ... مـــن ضـــوء صـــبح جبينـــه بعمـــودِ

علـمُ الهـدى السـامي الـذي هـو في كـلا ... حسـبيه سـادَ علـى الكـرام الصـيد

ومفيـدِ فضـلٍ[2] لـو أتـى العصـر الـذي ... فيـه المفيـدُ لقـال أنـتَ مفيـدي

هـــو آيـــةُ الله الـــتي قـــد أبطلـــتْ ... في العـــالمين عنـــادَ كـــلّ جحـــودِ

وأبـــو المصـــابيح الـــتي شـــهبُ السـما ... رمقـــت مطالعَهـــا بطـــرف حســـودِ

لـــو فـــاخرت نهـــرَ المجـــرَّة في السـما ... غلبـــت بجعفـــر جودهـــا المـــوردِ

ذاك الـــذي في الجـــود[3] أرســـل صـــالحا ... لكـــن لأهـــل الفضـــل لا لثمـــودِ

و(محمـــدٌ) منـــه الحســـينُ فعـــاذرٌ ... إن قلـــتُ أرســـل خاتمـــاً[4] في الجـــودِ

أقمـــار تمٍّ في بـــروج سمـــا العُلـــى ... شـــرفاً يضـــيءُ علـــى الليـــالي الســـودِ

وأســـودُ غيـــلٍ في المهابـــة لـــو حمـــوا ... مـــأوى الظِبـــاء لكـــان غيـــل أســـودِ

وتـــرى المكـــارمَ مـــن مناقـــب فضـــلهم ... تختـــالُ بـــين قلائـــدٍ وعقـــودِ

مـــن كـــلّ محتلـــب البنـــان رقيقهـــا ... في كـــلّ جامـــدة الضـــروع صـــلودِ[5]

ويقـــول للكـــفِّ الكريمـــة كلّمـــا: ... بـــدأت بعارفـــةٍ بـــدارِ[6] أعيـــدي

يـــا عـــترةَ الـــوحي الـــذين توطَّـــدت ... بهـــم دعـــائم ملَّـــة التوحيـــد

دمـــتم لنـــا والعـــزُّ فـــوق رواقكـــم ... والفخـــر تحـــت رواقـــه[7] الممـــدودِ

---

١ - الصنيعة: لامة الحرب، النثرة: الدرع الحديدي الذي يلبس تحت الثياب في الحرب.

٢ - في المطبوع: مفيد عصره، ويريد به أشهر مشاهير علماء عصره الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان البغدادي العكبري، المعروف بابن المعلّم، المتوفّى ٤١٣ هـ، له أكثر من مئتي كتاب، وهو أستاذ الشريفين المرتضى والرضي.

٣ - في المطبوع: بالجود.

٤ - في نسخة: حاتماً.

٥ - يكنّي عن السنة ذات الجوع والقحط.

٦ - بدار: اسم فعل بمعنى بادر، أي أسرع.

٧ - في المطوبع: طرافه، والطراف البيت الكبير.

وبحسبكم علمُ الشريعة (جعفرُ) الـ ... إحسان عن عَلم الهدى المفقودِ
والغرُّ من آل المكارم مَنْ سَموا ... شرفاً بفضلٍ طارفٍ وتليدِ
قد رُدَّ عقدُ الفخر في جيد العُلى ... (بأبي محمد)[1] وهو عقدُ الجيدِ
وأعاد يا دار الهدى لك (جدّه)[2] ... فكأنّه لم يُطوَ في ملحودِ
أحيا مآثرَه الحسانَ وزادها ... لو كان فيها موضعٌ لمزيدِ
لو لم تبت أمُّ السماح طروقة ... لندى يديه لم تكن بولودِ
يا مَنْ وجوههُم مصابحَ للهدى ... وأكفُّهم في الجود سحبُ الجودِ
ماذا أقول معزّياً بنشائدي؟ ... قطعت مهابتُكم لسان نشيدي

وقال يرثي العلاّمة السيد جعفر القزويني[3]، ويعزّي ابن عمّه السيد مهدي القزويني:

كذا يلج الموتُ غابَ الأُسود ... وتُدفن رضوى[4] ببطن اللحودِ
كذا يُستباح حريمُ العُلى ... وتهوى بدور الهدى في الصعيدِ
بنفسيَ مَنْ لم يرثه ذووه ... غير علاءٍ ومجدٍ مشيدِ
وكبَّت جفانُ القِرى بعده ... ونيرانها رُميت بالخمودِ
أحلفَ الندى وشقيق السماح ... ليومك هولٌ كيوم الورودِ
سُقيت الحيا لست أنت الفقيد ... ولكنَّ صبريَ عينُ الفقيدِ
فلا قلتُ بعدك للعيش طب ... ولا قلتُ بعدك للسحب جودي
لقد دلَّ مجدُك هذا الطريفَ ... على مجد قومك ذاك التليدِ

---

١ - أبو محمد: هو الشيخ جعفر.

٢ - يريد به جدّه الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء.

٣ - هو السيد جعفر بن باقر بن أحمد بن محمد الحسيني القزويني، من مشاهير شعراء وأدباء عصره. توفّي عام ١٢٦٥هـ. ترجمت له في كتابي شعراء الغري ٢ / ٢٧ - ٣٥.

٤ - رضوى: اسم جبل.

بـــني هاشـــمٍ هـــم عقـــودٌ وأنـــ ... تَ واســـطةٌ بـــين تلـــك العقـــودِ
ولـــو كـــان يُـــدفع ريـــبُ المنـــون ... عـــن المـــرء في عُـــدَّةٍ أو عديـــدِ
لقامـــت تقيـــك الـــردى فتيـــةٌ ... تُـــذمُّ إذا شُـــبِّهت بالأُســـودِ
صِـــباحُ الوجـــوه وأســـيافهم ... مـــن المـــوت تُطبـــع لا مـــن حديـــدِ
وتغـــدو المنايـــا بأرمـــاحهم ... شـــوارعَ مـــا بـــين حمـــرٍ وســـودِ
ولكنَّـــه المـــوتُ لا مـــانعٌ ... لمِـــنْ رام مـــن ســـادةٍ أو عبيـــدِ
عـــزاءٍ أبـــا (صـــالحٍ) لا فجعـــتَ ... مـــن بعـــد هـــذا المصـــاب الكـــؤودِ
فحلمُـــك أرســـى مـــن الراســـيات ... ولـــيس شـــبيهٌ لـــه في الوجـــود[1]
وجـــاراك في الفخـــر أهـــلُ الســـباق ... ولكـــن ســـبقت لشـــأوٍ[2] بعيـــدِ
فأصـــبح شـــأنُهم في انحـــدارٍ ... وشـــأنك عـــنهم غـــدا في صـــعودِ
ومـــا مـــرَّ يـــومٌ جديـــدٌ عليـــك ... إلاّ ظهـــرت بفضـــلٍ جديـــدِ
لـــئن ســـاءك الـــدهرُ في (جعفـــرٍ) ... فـــإنّ الإســـاءةَ شـــأنُ العبيـــدِ

وقال يرثي بعض الناس:

أُدْرِجَ والمعـــــــروفُ في بـــــــردِه ... وحـــــلَّ والإحســـــان في لحـــــدِهِ
فـــالبس ظـــلامَ الحـــزن يـــا دهـــرَه ... لبـــدركَ الأفـــل مـــن ســـعدهِ
كـــان بـــه روضُ الهنـــا زاهيـــا ... لأنّـــه اليـــانعُ مـــن وردهِ
شـــقَّ الثـــرى ريحانـــةً للعُلـــى ... وعـــاد كالســـيف إلى غمـــدهِ
وكـــلُّ حـــيٍّ عيشـــه منهـــلٌ ... مـــا أقـــرب الإصـــدارَ مـــن وردهِ

---

١ - هذا البيت سقط من الديوان المطبوع.

٢ - في المطبوع: لمأوى.

وقال راثياً الحاج محمد جواد كبّه، وقد صادف موته مجيء الحاج مصطفى كبّه من الحج:

أأهنّيـــك قـــائلاً لـــك بشـــرى ... أم أُعزّيـــك قـــائلاً لـــك صـــبرا؟

فرحـــة أردفـــت بترحـــة ثكـــلٍ ... ســـاء فيهـــا الزمـــانُ ســـاعةَ ســـرّا

شـــفعت فيـــه أوبـــةٌ بـــذهابٍ ... فمنحنـــا ســـجلين نفعـــاً وضـــرّا

مـــلا بالســـرور للمجـــد شـــطرا ... مـــن حشـــاه وبالكآبـــة شـــطرا

زمـــنٌ آب بالســـعود حميـــدا ... بعـــدما أقلـــق الركائـــب عصـــرا

قلـــت ألقـــى العصـــا ومـــا كنـــتُ أدري ... أنَّ فيهـــا لـــه مـــآربَ أُخـــرى

بينمـــا تكتســـي وجـــوهُ الليـــالي ... رونقـــاً للســـرور إذ عـــدن غـــبرا

خـــيرُ يـــومٍ بـــدا بحلَّـــة زهـــوٍ ... مـــا لـــه تحتهـــا (تـــأبَّط شَـــرّا)

يـــا خليلـــيَّ والحـــديثُ شـــجونٌ ... فـــأجيلا معـــي إلى الحـــزم فكـــرا

خـــبراني عـــن الصـــواب برشـــدٍ ... إن تكونـــا أحطتمـــا فيـــه خـــبرا

كـــان لي في الأمـــور قلـــبٌ ولكـــن ... بمقـــاديم دهشـــتي طـــار ذعـــرا

قـــد وفـــدنا لكـــي نهـــنّي المعـــالي ... فوجـــدنا العيـــونَ مـــنهنَّ عـــبرى

فبمـــاذا أواجـــهُ الفخـــرَ أم في ... أيّ شـــيءٍ أخاطـــب المجـــدَ جهـــرا؟

أبنعـــيٍ فـــأنثر الشـــجوَ دمعـــا؟ ... أم أُحـــيِّ فـــأنظم الســـعدَ شـــعرا؟

فالليـــالي أقـــررن للجـــود عينـــا ... وعلـــى النعـــيِّ منـــه أقـــذين أخـــرى

ومـــن المكرمـــات أبكـــين جفنـــا ... بعـــدما للســـعود أضـــحكن ثغـــرا

طبـــت يـــا أرضُ بـــين حـــيٍّ وميـــتٍ ... بالشـــذا عطـــرّاك بطنـــاً وظهـــرا

فعـــزاءً (لمصـــطفى) المجـــد عـــن مَـــنْ ... خلـــت (بالمصـــطفى) أهنّيـــه بشـــرى

رحلـــت بـــالجواد أيـــامُ دهـــرٍ ... أيـــن مـــرَّت مـــن بعـــده قيـــل عقـــرا

كـــان بـــالأمس أنظـــرَ النـــاس ربعـــا ... وهـــو اليـــوم أطيـــبُ النـــاس قـــبرا

يـــا بـــني (المصـــطفى) وبيـــتُ نـــداكم ... قـــد بـــنى طـــائرُ الرجـــا فيـــه وكـــرا

شـــدتموه علـــى التقـــى يهـــدمُ الـــدهرَ ... ويبقـــــى بنـــــاؤه مشـــــمخرا

لســـــت أدري أأودعَ المجـــــدُ مـــــنكم ... بشـــــراً فيـــــه أم ملائـــــك غـــــرّا؟

خلَّـــد (المصـــطفى) بـــه لكـــم الفخـــرَ ... وزدتم (بالمصـــــطفى) اليـــــومَ فخـــــرا

أرجُ المجـــــد لـــــو تجسَّـــــم نشـــــرا ... مـــــن شـــــذاه لعطَّـــــر الأرضَ نشـــــرا

ولـــــودَّت أترابُهـــــا الغيـــــدُ أن قـــــد ... جعلتـــــه علـــــى الترائـــــب عطـــــرا

بســـــط الكـــــفَّ بالســـــماح فقلنـــــا: ... أرســـــلت نوءَهـــــا الثريّـــــا فـــــدرّا

ملـــــكٌ في يديـــــه عشـــــرُ بنـــــانٍ ... نشـــــأت للـــــورى ســـــحائبَ عشـــــرا

زاد في قـــــدره التواضـــــعُ حـــــتى ... عـــــاد عنـــــه الزمـــــانُ يصـــــعر قـــــدرا

فهـــــو قلـــــبُ العُلـــــى وأيُّ مكـــــانٍ ... حـــــلَّ فيـــــه تواضـــــعاً كـــــان صـــــدرا

بـــــل هـــــو العقـــــدُ زانهـــــا وكـــــذا العقـــــ ... ـــدُ يـــــزين الفتـــــاةَ جيـــــداً ونحـــــرا

لـــــو تحـــــكُّ النجـــــومُ في عاتقيهـــــا ... أخمصـــــيه لقيـــــل حســـــبُك فخـــــرا

أطبقـــــت ظلمـــــةُ الخطـــــوب ولكـــــن ... بأخيـــــه مـــــن ليلهـــــا شـــــقَّ فجـــــرا

فأرانـــــا شمســـــاً بوجـــــه أبي (الهـــــا ... دي) وشمنـــــا بـــــه ولا ليـــــلَ بـــــدرا

ذاك مَـــــنْ أزهـــــرت مزايـــــا عُـــــلاه ... فبـــــدت والكواكـــــبُ الزهـــــر زهـــــرا

جـــاء محـــضَ النجـــار أملـــسَ عـــرضٍ ... فيـــه طابـــت حواضـــنُ المجـــد حجـــرا

عبـــقَ الجيـــب طـــاهرَ الـــردن والأذ ... يـــال عـــفّ الإزار ســـرّاً وجهـــرا

قـــد حلـــتْ لي أخلاقـــه في زمـــانٍ ... قلـــتُ لمـــا طعمتـــهُ مـــا أمـــرّا

علمتـــــني هـــــي النظـــــام إلى أن ... (قيـــل لي أنـــتَ أشـــعرُ النـــاس طـــرّا)[1]

وأداروا لي المدامـــــــة منهـــــــا ... ثمّ قـــــالوا تحبُّهـــــا قلـــــتُ بهـــــرا

ماجـــــدٌ تطـــــرب المســـــامعُ منـــــه ... مـــــن رقيـــــق الثنـــــاء مـــــا كـــــان حـــــرا

وإذا مـــــرَّ في العطـــــا ودَّ فيـــــه ... مجلـــــسُ الجـــــود لم يـــــزل مســـــتمرا

لا كمـــــن إن تكلَّـــــف الرفـــــدَ يومـــــا ... أكلـــــتْ كفَّـــــه الندامـــــةُ دهـــــرا

---

١ - صدر بيت ينسب إلى أبي نواس.

ففـــــداءً لشـــــبره بـــــاع قـــــومٍ لم تقـــس في ذراعهـــا منـــه فـــترا
مـــدَّ لكـــن يـــدا صـــناع العطايـــا طـــرَّزت بردتيـــه حمـــداً وشـــكرا
لا تفـــــاخر بـــــه المجـــــرَّة إلاّ إن تـــرد تكســـب المجـــرّةَ فخـــرا
فهـــو بحـــرٌ ويقـــذف الـــدرَّ جـــودا وهـــي نهـــرٌ ولـــيس يقـــذف درّا
وهـــو والمصـــطفى بنـــادي العُلـــى شفـــعٌ وكـــلٌّ يقـــوم في القـــوم وتـــرا
حفظـــاً حـــوزَة الســـماح وكـــلٌّ دونهـــا للعـــذول كـــم ســـدَّ ثغـــرا
فـــدمُ المكرمـــات لـــو لم يجيئـــا لنعتـــه يتـــائمُ الشـــعر هـــدرا
قـــد غرســـنا فـــأثمر الـــنظمُ حمـــدا وســـقيتم فـــأينع الجـــودُ وفـــرا
لســـواه يـــا عاصـــراً حلـــبَ الفكـــر بكـــفِّ الخســـار تعصـــر خمـــرا
أيّهـــا الطيبـــون معقـــدَ أزرٍ لكـــم اللهُ شـــدَّ بالنصـــر أزرا
ذكـــركم بالجميـــل ســـار ولكـــن كمســـير الريـــاح بـــرّاً وبحـــرا
قـــرّت الأرضُ بالجبـــال وكانـــت هـــي والراســـياتُ فـــيكم أقـــرّا
هاكموهـــا بكـــرَ القـــريض وعنهـــا ســـائلاها هـــل مثلهـــا افـــتضَّ بكـــرا؟
بســـوى الســـحر لم تعـــب أي وعيـــب البـــ اليـــات إنّـــه كـــان ســـحرا
مزجـــت راحـــةَ الســـرور بضّـــرٍ فأذاقـــت طعمـــين حلـــواً ومـــرّا
همـــت في عفرهـــا ومـــا كـــلُّ مـــنْ هـــا م بـــوادي القـــريض يصـــطاد عفـــرا
زان تحبيرُهـــا الطـــروسَ ففـــتّش مـــا عـــداها تجـــده طرســـاً وحـــبرا

وقال راثياً محمد كاظم ابن الحاج عبد الكريم كبّه، ومعزّياً أباه وعمّه الحاج محمد صالح:

لا أرى للزمـــان يـــا صـــاح عُـــذراً أفيـــدري لِمـــنْ تـــأبَّط شـــرّا
ولِمـــنْ بغتـــةً ألمَّ بخطـــبٍ ســـاء فيـــه الأنـــامَ عبـــداً وحـــرّا
ردَّ فيـــه حزنـــاً نواصـــي الليـــالي ووجـــوهُ الأنـــام شـــعثاً وغـــبرا

وحشا المكرمات حرّى وعينُ الـ ... مجد عبرى ومهجةُ الفضل حرّى
جذَّ من دوحة المكارم غصنا ... فذوى بغتةً وقد كان نضرا
قد نعته العلياءُ وهو بقبرٍ ... مذ حواه لصبرها صار قبرا
يا هلالاً رجوتُ يكمل بدرا ... محقته يدُ الردى فاستسرّا
مَنْ عذيري من لائمٍ فيك لا أقـ ... ـبل عذلاً وليس يقبل عذرا؟
لام حتى بلومه ضقتُ ذرعا ... مثل ما ضقتُ في مصابكَ صدرا
قلت دعني ومقلةً لي عبرى ... ببكاها ومهجة لي حرّى
لا تسمني قرارَ عيني فهذا ... ضوؤها في ثرى اللحود استقرّا
هو منّي شطرُ الحشا أوَ أسلو ... بعدما من حشاي فارقتُ شطرا؟
عجباً صرتُ فيه أسمح للترب ... ومنه عليه أطرح وقرا
بعد ظنّي على العيون جميعا ... أن ترى ذلك المحيّا الأغرّا
كان لي في حياته العيشُ حلوا ... وهو اليوم بعده قد أمرّا
وبحسبي ما عشتُ داءً لنفسي ... أنا أبقى ويسكن اللحدُ قسرا
كيف ما متُّ إنّني لجليدٌ ... وبه أنشبت يدُ الموت ظفرا
استجدُّ الثيابَ حياً لجسمي ... وهو يبلى في الترب ميتاً مُعرّى
لم أخلني كذا أكون صبورا ... وفؤادي بسهمه قد تفرّى
رمتُ رفعَ الآلام عنه بجهدي ... شفقاً لا لأبلغ الناسَ عذرا
وبذلت الطريفَ من جلِّ مالي ... مع بذل التليد منه ليبرا
وبودّي لو كان يبقى وأملقتُ ... إذا كان ذا لعيني أقرّا
سوءةٌ للزمان ما لي أراه ... ساء مَنْ أحسنوا لأبناه طرّا
هم بنو المصطفى ومَنْ في البرايا ... كبني المصطفى سماحاً وبرّا
فئةُ المجد معشرُ الشرف المحض ... قبيل العليا وناهيك فخرا
قد أرقَّ الحرصُ الأنامَ ولكن ... لم يكن غيرُهم على الأرض حرّا

قد كساهم (محمدٌ) صالحَ الأفعال ... بُرداً من فخره طاب نشرا
ورعٌ مَنْ رآه قال لعمري ... إنّ لله في معانيكَ سرّا
ملكيُّ الصفات لكن تراه ... بشريَّ الأعضاءِ قد جلَّ قدرا
لك نفسٌ قدسيّةٌ قد تمحّضـ ... ـت بها للإله سرّا وجهرا
هي تلك النفسُ التي بين جنبي ... ذي المعالي أخيك ليست بأُخرى
شرعاً قد سموتما للمعالي ... وإليها ركبتما النجمَ ظهرا
تمَّ فيه ما كان ساء وسرّا ... فهو ملء الزمان نفعاً وضرّا
ذو يسارٍ يزري بيمنى سواه ... ويمينٍ كانت لراجيه يُسرا
هي أجرى من البحار نوالا ... ومن الغادياتِ أغزرُ دَرّا
تخصب الأرض في نداه إذا الجد ... بُ أديمُ الصعيد فيه اقشعرّا
وعلى الأرض إن مشتْ ودَّت الـ ... ـشهبُ عليها أذيالَ عليه جرّا
كيف لا تحسد النجومُ ثراه ... وبه قد سما على الشهب فخرا
قد جرى سابقاً وصلّى أمينُ الـ ... فضل يتلوه لاحقاً واستمرّا
ثمّ حلاّ معاً بأرفع مجدٍ ... طلعا في سماه شمساً وبدرا
فغدا كلُّ نيِّرٍ بهما هادٍ ... لمِنْ رام للمكارم مسرى
يا بني المصطفى رسختم حلوما ... فغدوتم على النوائب صبرا
ذا الجزا أنتمُ حريّون فيه ... لكن الصبرُ أنتم فيه أحرى
ومصاب الماضي يهون إذا ما ... كنت أنت الباقي وإن عزَّ قدرا

وقال راثياً بعض الأكابر في ضمن كتاب:

الآن هوّن كلّ نائبةٍ ... جللٌ أمال دعائمَ الفخرِ
وطوى خضمَّ العلم في كثب الـ ... غبراء أخرس ألسنَ الشعرِ
خطبٌ تجاوب بالنياح له ... مَنْ كان في برٍّ وفي بحرِ

قـــد عـــمّ أهـــلَ الأرض كلَّهـــم فهـــمُ ســـواءٌ فيـــه في الأجـــر
يـــا بحـــرَ جـــودٍ قـــد طغـــى لججـــا أفضـــى الحمـــامُ بـــه إلى القـــبرِ
أيضـــمُ منـــك القـــبرُ طـــودَ نهـــىً بعـــلاه ســـامت ذروةَ النســـرِ
فاذهـــب فمـــا الـــدنيا بصـــالحةٍ لمقـــام مثلـــك مـــن ذوي الفخـــرِ
طبقـــتَ مشـــرقها ومغربَهـــا بفضـــائلٍ جلَّـــت عـــن الحصـــرِ

وقال راثياً العلاّمة الشيخ محمد[1] ابن الشيخ علي، ومعزّياً العلاّمة السيد مهدي القزويني:

طرقـــتْ فالأنـــامُ منهـــا ســـكارى تمـــلأ الكـــونَ دهشـــةً وانـــذعارا
بكـــرُ خطـــبٍ لا ينشـــد الصـــبرُ فيهـــا قـــد أتانـــا بهـــا الزمـــانُ ابتكـــارا
في حـــديث الأحقـــاب لم يـــأت فيهـــا وقـــديماً لمثلهـــا مـــا أشـــارا
بـــردت ســـائرُ القلـــوب ردىً منـــ هـــا وعـــادت مـــن الغليـــل ســـكارى
ولهـــا كانـــت المـــدامع لـــولا حـــرُّ أنفاســـنا تكـــون بحـــارا
وقليـــلٌ بهـــا وإن لـــيس يجـــدي ترســـل العـــينُ دمعَهـــا مـــدرارا
نكبـــةٌ تمـــلأ الوجـــودَ مصـــابا يمـــلأ الأرضَ والســـما اســـتعبارا
يـــا نفـــوسَ اللاجـــين طـــيري شـــعاعا أدرك الـــدهرُ عنـــدك الأوتـــارا
وابـــردي يـــا حشاشـــة الشـــرك أمنـــا مـــات مَـــنْ كـــان بـــين جنبيـــك نـــارا
فـــبمَنْ يغتـــدي الهـــدى مســـتجيرا؟ فقـــدتْ كعبـــةُ الهـــدى المســـتجارا
ولـــه أصـــبحَ الحطـــيمُ حطيمـــا يتـــوارى في الـــترب حـــين تـــوارى

---

١ - هو الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، من مشاهير علماء عصره، وكان مهيباً مطاعاً وقوراً شاعراً، له مكانة عند ذوي الحكم، سمحاً جواداً زاهداً، رجع إليه الناس في التقليد، وكان يرعى الأدباء والشعراء ويصلهم، توفّي في النجف عام ١٢٦٨ هـ. ترجمت له في كتابي مستدرك شعراء الغري ٣ / ٤٥ المخطوط.

ودجـا[1] الأفـق في دجـى غيهـب الحـز ... نِ وهبَّـت ريـحُ الصـبا إعصـارا

سـوّمي يـا خطـوبُ خيلـك فينـا ... تغنمـي أيـن مـا قصـدت المغـارا

وارتعـي في حمـى الـورى فالمنايـا ... أنشـبت في هزبرهـا الأظفـارا

مَـن حماهـا عـن أن تُـراعَ وقسـرا ... ردَّ أيـدي الأيـام عنهـا قصـارا

همـمٌ حيـث لا يُـرى البـدرُ سـيرا ... مصـعداتٌ لا تعـرف الانحـدارا

كيـف تخلـو لـه مـن الحـزن دارٌ ... والنـدى منـه لم يفـت ديّـارا

ملـكَ النـاسَ بالسـماح عبيـدا ... فغـدوا بعـد فقـده أحـرارا

يـا بغـاة الإسـلام لا تتناجوا ... بانتقـاص الـدين الحنيـف سـرارا؟

لا تخـالوا (محمـداً) لم يخلِّـف ... للـورى ناهيـاً ولا أمّـارا

فالإمـامُ المهـديُّ قـد قـام فـيهم ... علمـاً يرشـد الـورى ومنـارا

مـا بـنى اللهُ مـن سمـاء علـوٍ ... وهـو بـدرٌ في أفقهـا قـد أنـارا

لازم الحـقَ في هـداه فأضـحى ... معـه الحـقُّ حيثمـا دار دارا

منـه مـلء الأبـراد عـدلٌ وتوحيـ ... ـدٌ وفخـرٌ مـن هاشـمٍ لا يجـاري

والحُبـا في النـديِّ تضـمن منـه ... ركـنَ رضـوى حلمـاً وأرسـى وقـارا

فـترى النـاس هيبـةَ منـه حرسـا ... يتناجون في الحـديث سـرارا

يـا أجـلَّ الـورى عـلاءً وقـدرا ... وأعـزَّ الأنـام نفسـاً وجـارا

عقـد العـيُّ منطقـي أن أعزِّيـك ... ومنـك العـزا غـدا مسـتعارا

وقبـيحٌ مـنّي إذا قلـتُ صـبرا ... للـذي علَّـم الـورى الاصـطبارا

وقال يرثي العلاّمة السيد محمد تقي الطباطبائي، ويعزّي العلاّمة السيد مهدي القزويني:

مـاذا تريـدين بالـدنيا يـدَ القـدرِ ... لقـد ذهبـت بسـمع الـدهر والبصـرِ

---

١ - دجا: أظلم.

سـوَّدتِ مشـرقها القاصـي ومغربهـا ... بكاسـف الأبيضـين الشـمس والقمـرِ
وغـودر الأفـقُ معـتلاً وأنجمـه ... مـن غـاثرٍ ضـوؤه منهـا ومنكـدرِ[1]
وأصـبح النجـف الأعلـى يغـصُّ شـجىً ... لله مـا صـنعتْ فيـه يـدُ الغـيَرِ
طويـتِ خـيرَ معـدٍّ كلّهـا نسـبا ... وأكـرمَ النـاس مـن بـادٍ ومحتضـرِ
طأطـأتِ مـن هاشـمٍ لـلأرض هـام عُـلاً ... مـا طأطأتهـا ظبـا الهنديـة البـترِ
أرغمـتِ منهـا أنوفـاً كلّهـا شمـمٌ ... مـا أرغمـت بـين أطـراف القنـا السـمرِ
أريتهـا يومَهـا مـن قبـلُ حـين سـرت ... بمشـبع الطـير في أعوامهـا الغـبرِ
فاسـأل بهـا اليـوم هـل وارت (محمـدَها) ... أم شـيبة الحمـد في ذاك الثـرى العطـرِ
خطـبٌ لـوت عنـقَ الإسـلام منـه يـدٌ ... يـا شـلَّها اللهُ قـد ألـوت علـى مضـرِ
مضـى بأجمعهـا قلبـاً وأقطعهـا ... غربـاً وأمنعهـا للخـائف الحـذرِ
فـالآن لم يبـقَ كهـفٌ للمـروع ولا ... مـأوىً يحـطُّ إليـه راكـبُ الخطـرِ
قـد طوّحـت جبـلَ المجـد المنيـف عُـلاً ... علـى الـورى نكبـاتُ الحـادث النكـرِ
يـا مَـنْ عـن المجـد أضـحى مزمعـاً سـفرا ... مـا كـان أبرحـه للمجـد مـن سـفرِ
أمهـل فواقـاً فـزوِّد أنفسـاً بقيـت ... موقوفـةً فيـك بـين البـثّ والفكَـرِ
قـل للنوائـب مـا مـن غايـة بقيـت ... وراءَ هـذا فـأنّى شـئتِ فابتـدري
تـالله زلزلـت الـدنيا بقارعـةٍ ... مـن القيامـة نـادت بالسـما انفطـري
هـوِّن عليـك وإنْ داعـي المنـون دعـا ... يـا أنجـمَ الفضـل مـن آفاقـك انتشـري
لا تحسـب الملّـة الغـرّاء قـد بقيـت ... بعـد الـذين مضـوا عنهـا بـلا وزرِ
هيهـات قـد حفـظ البـاري محجّتهـا ... البيضـاءَ بـالخلف (المهـديَّ) مـن مضـرِ
بقـائمٍ بهـدانا غـير منتظـرٍ ... ينـوب عـن قـائم بـالأمر منتظـرِ
لـه نفـائسُ علـمٍ كلُّهـا درَرٌ ... والبحـرُ يـبرز منـه أنفـس الـدررِ
لـو أصـبحت علمـاءُ الأرض واردةً ... منـه لمـا رغبـت عنـه إلى الصـدرِ

---

١ - في المخطوطة: ومن كدر.

مقـــدَّمٌ بـــين أهـــل الفضـــل قـــد عُرفـــتْ ... لـــه الرياســـةُ في الماضـــي مـــن العصـــرِ
يفـــوق في المـــدح عـــينَ القـــوم أثـــرهم ... ومدحـــــه شـــــرعٌ في العـــــين والأثـــــرِ
أغـــرُّ يبســـط كفّـــاً لا تقـــوم لهـــا ... بشـــكر مـــا صـــنعته ألســـنُ البشـــرِ
هـــذي سمـــا الـــدين فـــانظر كيـــف زينتُهـــا ... بـــأنجم العلـــم مـــن أبنائهـــا الزهـــرِ
فـــروعُ دوحـــة مجـــدٍ أثمـــرتْ كرمـــا ... للمعتفـــين وكـــم فـــرع بـــلا ثمـــرِ
أبنـــاؤهم زهـــرٌ آثـــارهم زبـــرٌ ... آلاؤهـــم مطـــرٌ يغـــني عـــن المطـــرِ
كأنّمـــا خلـــقَ اللّـــهُ الـــورى صـــورا ... جميعَهـــا وهـــم الأرواحُ للصـــورِ
يـــا مَـــنْ غفرنـــا ذنـــوبَ الحادثـــات بـــه ... وكلّهـــا لـــيس لـــولاه بمغتفـــرِ
بـــك الهـــدى قـــد تعـــزّى في رزيّتـــه ... عـــن ذاهـــبٍ لم يـــدع صـــبراً لمصـــطبرِ
فاســـلم وحســـبُك عنـــه ســـلوةً بعُـــل ... يِّ القـــدر ســـيّد أهـــل العلـــم والخطـــرِ
و(بالحســـين) أخـــي العليـــاء تلوهمـــا ... في الفضـــل واحـــد أهـــل الـــرأي والنظـــرِ
وبـــالنقيِّ (علـــيٍّ) فـــرع دوحتـــه ... وكلّهـــم طـــاب منـــه معقـــدُ الأزرِ
قـــومٌ إذا ذكـــروا بحـــرَ العلـــوم سمـــوا ... إلى العُلـــى حيـــث لا مرقـــى لمفتخـــرِ
ولا تـــزال غـــوادي الســـحب واكفـــةً ... تعتـــاده بـــين منهـــلٍّ ومنهمـــرِ
حـــتى يعـــودَ ثـــراه روضـــةً أنقـــا ... تســـتوقف الطـــرفَ في وشـــيٍ مـــن الزهـــرِ

وقال راثياً الحاج سليمان چلبي، ومحمد بن إبراهيم بابان بالتماس أولادهما:

أطـــار بـــكَ النـــاعي فـــؤادَ العُلـــى ذُعـــرا ... غـــداةَ نعـــي في نعيـــك المجـــدَ والفخـــرا
دعـــا بـــك فابيضَّـــت لنعيـــكَ عينُهـــا ... مـــن الحـــزن وارفضَّـــت مـــدامعُها حمـــرا
بكتـــكَ فجـــارت جـــود كفّيـــك إذ جـــرت ... بـــدمعٍ تعـــدّى القطـــرَ إذ ســـاجل القطـــرا
ألا إنَّ روضَ المكرمـــــات برغمهـــــا ... ذوى بعـــدما قـــد كـــان غـــضَّ الحيـــا نضـــرا
وتلـــك قنـــاةُ العـــزِّ طـــارت بكفّـــه ... شـــظايا إلى أن كلّهـــا نفـــدت كســـرا
فيـــا موحشـــاً نـــادى النهـــى برحيلـــه ... ويـــا تاركـــاً عـــين النـــدى أســـفاً عـــبرى
ليومـــك جـــرحٌ في حشـــا المجـــد لم يجـــد ... معالجُـــه طـــولَ الزمـــان لـــه ســـبرا

أصـــاب الـــردى لمـــا أصـــابك مقـــتلا ... مـــن الحســـب الســـامي بـــه قتـــل الصـــبرا
وغـــادر أفـــقَ المجـــدِ أغـــبر قائمـــا ... بحثـــو الثـــرى لمـــا توسَّـــد في الغـــبرا
لمِـــنْ بعـــدك الفيحـــاءُ تـــذخر دمعَهـــا ... وقـــد كنـــت عنـــد النائبـــات لهـــا ذخـــرا؟
حـــرامٌ بـــأن يُهـــدي بهـــا عـــاطرُ الثنـــا ... فبعـــد عـــروس ســـائرُ الـــدهر لا عطـــرا
بلـــى فلـــتكن في النـــوح (خنســـاء) عصـــرها ... وإن جـــلَّ عـــن صـــخرٍ (ســـليمانها) قـــدرا
قفـــا ناشـــداها أيـــن بـــان عميـــدُها ... وهـــل بعـــده حـــامٍ تســـدُّ بـــه ثغـــرا؟
غـــدت بـــين ذؤبـــان الخطـــوب فريســـةً ... بهـــا كيـــف شـــاءت تنشـــب النـــاب والظفـــرا؟
مضـــى ابـــنُ جلاهـــا لا ومثـــواه لا تـــرى ... مـــن القـــوم مـــنْ يجلـــو دجـــى همّهـــا الـــدهرا
أمـــرَّ[1] لـــديها العـــيشُ بعـــد افتقـــاده ... وكـــان حـــلا فيـــه لأبنائهـــا عصـــرا؟
فعـــذراً إذا إن تشـــتك اليـــتمَ بعـــده ... فقـــد فقـــدتْ منـــه أبـــاً لم يـــزل بـــرّا
بـــرغم أخيـــه الجـــود ودّع شخصـــه ... وعـــاد إلى لقيـــاه ينتظـــر الحشـــرا
ففـــي القلـــب منـــه كلّمـــا مـــرَّ خـــاطرٌ ... تـــذكّر محزونـــاً وأنّى لـــه الـــذكرى
فـــتىً شـــدَّ أزرَ المجـــد فيـــه أطايـــبٌ ... علـــى عفّـــةٍ منـــذ ارتـــدّوا شـــدوَّا الأزرا
كـــرامٌ علـــى أولي الزمـــان رحـــابُهم ... لمنتجعـــي معـــروفهم لم تـــزل خُضـــرا
لهـــم شـــرفُ البيـــت القـــديم ووفـــدُهم ... يحيّـــون فيـــه مـــنهم البـــدرَ فالبـــدرا
ثلمـــن المنايـــا عـــزَّهم (بمحمـــدٍ) ... فشـــلَّت يـــدٌ فيهـــا تناولنـــه قســـرا
فـــتىٍ كـــان ســـيفاً فاصـــلاً في يـــد العُلـــى ... يقـــدُّ ولـــو لاقـــى ضـــريبته الـــدهرا
وكـــان لهـــا في نحرهـــا عقـــد ســـؤددٍ ... فلـــو شـــعرت يومـــاً بـــه باهـــت الشـــعرى
تـــرى هـــل دري ناعيـــه أن نعيَّـــه ... مـــن الشـــرف الوضّـــاح قـــد قصـــم الظهـــرا؟
وحـــرَّ بـــه قلـــب النهـــى فكأنّمـــا ... ســـرى بـــين أضـــلاع النهـــى نعيُـــه جمـــرا
فيـــا حامليـــه هـــل علمـــتم بـــأنّكم ... حملـــتم علـــى أعـــواده النهـــىَ والأمـــرا؟
ويـــا دافنيـــه في الثـــرى هـــل علمـــتمُ ... بـــأنّكمُ واريـــتمُ في الثـــرى بحـــرا؟

---

١ - صار مرّاً.

لقد كان إن جن الدجى ليلَ حادثٍ ... يشقُّ لها من نور طلعته فجرا
أغرُّ إذا ما قطَّب العامُ مجدبا ... تبسَّم فيه للندى وجلاً ثغرا
وإن قبضت يمنى الكرام بنانَها ... مخافة إعسارٍ به بسط اليسرى
ضحوك المحيا بُوركت منه طلعةٌ ... تشعُّ لو استقطرتها قطرت بشرى
إذا ما نشرنا في المجالس ذكرَه ... تأرَّج في الدنيا فطبَّقها نشرا
لئن غاب فهو البدر موفٍ فقد مضى ... وأعقب في أفق العُلى أنجماً زهرا
وما مخدرٌ أخلى الردى منه غابه ... إذا منعت أشباله بعده الخدرا
غطارفةٌ غرُّ المساعي تقيّلوا ... أباً فأباً كانوا غطارفةً غَرّا
إذا فوخروا يوماً أتوا بأبيهم ... وعدُّوا مزاياهم فقيل كفى فخرا
بحارٌ ولكنْ في يدي كلّ واحدٍ ... نشأن لمرتاد النهى أبحرٌ عشرا
لقد عذبوا بين الأنام خلائقا ... ترشّفها حتى انتشى كلّهم سكرا
مناجيبُ قد أفنى التراثَ على الندى ... أبوهم وأبقى في العُلى لهم الذكرى
مضى مَنْ نضت أمُّ الفخار حدادَها ... عليه ولم تمسح مفارقها الغبرا
وقد أودعت شطراً بلحد (محمدٍ) ... ولحد (سليمانٍ) به أودعت شطرا
فلا يشمت الحسّادُ في موت ماجدٍ ... قضى حين وافته الملائكُ بالبشرى
فهذا عليٌّ القدر قام من العُلى ... مقامَ (سليمانٍ) فزيدت به فخرا
خضمٌّ ندىً ما البحرُ يطفح موجه ... بأغزر لجاً من بنانته الصغرى
وهضبة حلمٍ لو وزنت به الورى ... وجدتهم في جنبه كلَّهم ذرّا
وراءكم يا حاسديه مكانه ... بأندية العليا فإنَّ له الصدرا
وكم موكبٍ للفخر ضمكُم معا ... فكنتم بغاثاً وهو كان به صقرا
أخو أخوةٍ في المكرمات جميعهم ... أتوا شرَعاً فاستغرقوا الحمد والشكرا
عليُّهم في المجد محسنُهم بدا ... ومحسنهم منسيُّهم نائلاً غمرا
بني الحلم أنتم أرسخُ الناس هضبةً ... وأرحبهم في كلّ نازلةٍ صدرا

نقـــول لكـــم صـــبراً ونعلـــم أنّكـــم أجـــلُّ ولكـــنْ عـــادةٌ قولنـــا صـــبرا
لكـــم خـــتم اللهُ الرزايـــا بهـــذه فـــلا طرقـــت أبيـــاتكم بعـــدها أخـــرى

وقال راثياً عبد اللّه بن شبيب البغدادي، ومعزّياً أخاه محمداً:

يـــا رواق العُلـــى فقـــدت وقـــورا ألـــف الحلـــمَ واصـــطفاه سمـــيرا
فيـــك قـــد أســـكت الـــردى منـــه فحـــلا طالمـــا قـــد مـــلا النـــديَّ هـــديرا
وأرانـــا الفتـــورَ في جفـــن صـــلٍّ حـــين أرخـــى الجفـــونَ منـــه فتـــورا
إنّمـــا أنـــت غـــابُ عـــزٍّ أصـــابت أســـهمُ الحتـــف منـــك ليثـــاً هصـــورا
قـــد تخلّـــى ســـرادقُ المجـــد ممّـــن تخـــذ العـــزَّ حاجبـــاً وخفـــيرا
قـــبروا منـــه في الصـــعيد أخـــا السيـــ ـــف لســـاناً عضـــباً وعزمـــاً طريـــرا
وغـــداً ينشـــرون منـــه مزايـــا كـــلُّ نـــادٍ بهـــا يضـــوع عبـــيرا
يـــا لهـــا عثـــرة جنتْهـــا الليـــالي عـــاد جـــدُّ الفيحـــاء فيهـــا عثـــورا
نكبـــةٌ صـــغَّرت جميـــعَ الرزايـــا كـــان ذنـــب الزمـــان فيهـــا كبـــيرا
قـــلْ لفيحـــاء بابـــلٍ كابـــديها لوعـــةً في القلـــوب تبقـــى دهـــورا
وأطيلـــي العويـــلَ حزنـــاً علـــى مَـــنْ ردَّ بـــاعَ الأيـــام عنـــك قصـــيرا
كـــان فيـــه بـــك الهجـــيرُ أصـــيلا فأعيـــدي لـــه الأصـــيلَ هجـــيرا
بـــزفيرٍ يُحمـــى بـــه الـــترابُ حـــتى تطـــأ الـــترابُ مـــن لظـــاه ســـعيرا
يـــا دفينـــاً علـــى ثـــراه المعـــالي تركـــت قلبهـــا يكـــوس عقـــيرا
وسّـــدوا خـــدَّك الكـــريم بلحـــدٍ عـــاد في طيبـــه ثـــراه عطـــيرا
حـــقَّ لي فيـــكَ أن أعـــزِّي القصـــورا وأهـــنّي بـــك الثـــرى والقبـــورا
هـــذه أظلمـــتْ لفقـــدك حزنـــا وغـــدت تلـــك فيـــك تشـــرق نـــورا
قـــد عـــددناك في الجبـــال ولكـــن لم نخـــل قبـــل ســـيرها أن تســـيرا
بـــك لم يرفعـــوا ســـريرَك إلاّ ولـــك الحـــورُ قـــد نصـــبن الســـريرا

لم أخـــــل قبـــــل أن أراك دفينـــــا ... إنّ ملحـــــــودةً تـــــــوارى ثبـــــيرا
إن تفرغـــــت للبلـــــى فلعمـــــري ... مـــن أعاديـــك قـــد مـــلأت الصـــدورا
أو طـــواك الـــردى فـــذكرك بـــاقٍ ... لـــــيس ينفـــكُّ طيبـــاً منشـــورا
لـــك لـــولا (محمـــدٌ) أيُّ ثلـــمٍ ... في العُلـــى ســـدُّه يكـــون عســـيرا
قطـــبُ مجـــدٍ كفـــاه إنَّ رحـــى الحمـــد ... علـــى غـــير قطبهـــا لـــن تـــدورا
كـــم جـــلا للعيـــون طلعـــة وجـــدٍ ... طبعـــت في الســـما الهـــلالَ المنـــيرا
أســـر الحلـــمُ نفســـه وســـواه ... لهـــوى الـــنفس لا يـــزال أســـيرا
ماجـــدٌ ينقـــل المكـــارمَ لكـــنْ ... وارث لا كغـــــيره مســـــتعيرا
فهـــو يـــروي مرشـــحاً لبنيـــه ... عـــن أبيـــه حـــديثها المـــأثورا
ألمعـــيُّ بغـــوره ســـبر الدهـــ ... رَ ومـــا كـــان غـــورُه مســـبورا
ولكـــم راض صـــعبةً لـــو ســـواه ... راضـــها رأيـــه لـــزادت نفـــورا
حـــلَّ داراً للمجـــد لم تلـــد العليـــاءُ ... فيهـــــا إلاّ الأبيَّ الغيـــــورا
لـــكِ يـــا دار مـــا وجـــدنا نظـــيرا ... زدتِ فضـــلاً علـــى الـــديار كثـــيرا
شـــادكِ الماجـــدُ الأغـــرُّ (شـــبيبٌ) ... للمعـــالي وفيـــك أســـنى الحبـــورا
وبـــك اســـتودع النهـــى مـــن بنيـــه ... أرحـــب النـــاس في الخطـــوب صـــدورا
فـــأخرى الزهـــرَ كلَّهـــا بوجـــوهٍ ... زهـــرت في العُلـــى فكانـــت بـــدورا
واســـتطيلي علـــى الأثـــير بقـــومٍ ... شـــرفاً صـــيَّروا ثـــراك الأثـــيرا
معشـــرٌ كلُّهـــم عـــرانين مجـــدٍ ... ينشـــر الحـــيُّ مـــنهم المقبـــورا
فلهـــم مـــن (محمـــدٍ) شمـــسُ فخـــرٍ ... كلّمـــا اســـتحجبت تزيـــد ســـفورا
يـــا قريـــع الزمـــان عزمـــاً وحزمـــا ... وذكـــا المجـــد بهجـــةً وســـفورا

وقال راثياً أحدهم وقد سأله بعض الأشراف:

أأحبابنا هل عائد بكم الدهرُ ... طواكم وعندي من شمائلكم نشرُ؟
سلامٌ على تلك المحاسن إنّها ... مضت فمضى في إثرها الزمن النضرُ
لعمري لئن قد أقفر الجزعُ منكم ... فربع الأسى من بعدكم طللٌ قفرُ
أشاق إليكم كلّما عنَّ بارقٌ ... وآيةُ شوقي أنَّ دمعي له قطرُ
ولا أنشق الأرواحَ إلاّ غلالة ... لتبردَ أحشائي وهل يبرد الجمرُ؟
وكنت أعدُّ الهجرَ لا شيء فوقه ... إلى أن أتى ما هان من دونه الهجرُ
فأصبحت لا أعلامُ سلع تشوقني ... ولا يتصبّاني بها ما حوى خدرُ
وكيف وفقدان الشباب فقدتكم؟ ... وتلك حياةٌ لا يُحبُّ لها عمرُ
ولما تجاذبناكمُ أنا والردى ... رجعت برغمي عنكم ويدي صفرُ
وكم منكم من واضح الوجه أدرجتْ ... له صورةٌ في البُرد لم يحكها البدرُ
وكافورةٍ للحسن أضحت بزعمهم ... تعطَّر بالكافور وهي له عطرُ
لي اللهُ بعد اليوم من لي بقربكم ... وأبعدُ غادٍ مَنْ أتى دونه القبرُ
قفوا زوِّدونا إنّما هي ساعةٌ ... ووعد التلاقي بيننا بعده الحشرُ
رحلتم وقلبي شطرُه في ظعونكم ... وللوجد باقٍ منه في أضلعي شطرُ
وشيَّعتكم والدمع يومَ نواكم ... غريقان فيه خلفكم أنا والصبرُ
وأعهدُ خصراً يشتكي ثقلَ ردفه ... فوا رحمتا تحت الرشا[1] لك يا خصرُ
ولما وقفنا للفراق وقُرِّبت ... حمولةُ بينٍ لا يكلُّ لها ظهرُ
ربطت بكفيَّ الضلوع على حشا ... تكاد خفوقاً أن يطيرَ بها الذعرُ
كأنَّ نياط القلب شدَّت حمولكم ... به، وبكم عنّي مذ انفصل السفرُ
فكم خلفكم لي أنّةٌ ما لوت بكم ... على أنّها قد لان شجواً لها الصخرُ
سأبكيكم ما ناح في الوكر طائرٌ ... فطائرُ قلبي بعدكم ما له وكرُ

---

١ - هكذا وجد بالأصل، والبيت لم يثبت في المطبوع.

وقال راثياً الشيخ محسن مصبِّح، ومعزّياً ولده الشاعر الشيخ حسن[1] مصبّح:

بكيت لمحمولٍ إلى القبر في نعشٍ ... سرى حاملوه في الثرى وهو في العرشِ

نعاكَ لي الناعي فقلت حشاشتي ... عليها انطوت أنياب أفعى من الرقشِ

وقد كنت أرجو أن أهنِّيك بالشفا ... فأصبحت أنشي في رثائك ما أنشي

وما خلتُ أنّ الدهر فيك مخاتلي ... يراصدني سرّاً بغائلة البطشِ

إلى أن رأت عيني سريرَك والعُلى ... على إثره تكلى وتعلن بالجهشِ

فلم أرَ لي من حيلة غير أنّني ... نظرتُ إليه مذ نأى نظر المغشي

كأنّ الذي بالأفق نعشُك سائرا ... وطرفي السهى والحاملون بنو نعشِ

مشت خلفك التقوى تشيّعُ روحها ... ومن غير روح مَنْ رأى ميتاً يمشي

بكتك وظفرُ الوجد يخدش قلبها ... فمدمعها المحمرُّ من ذلك الخدشِ

لئن كنتَ فيما تبصر العينُ ثاويا ... بدار البلى في ذلك الجدث الوحشِ

فإنّك عند الله حيٌّ منعَّمٌ ... لديه على تلك النمارق والفرشِ

ولولا ابنُك الزاكي لأدمي تأسّفا ... عليك التقى كفّيه بالعضّ والنهشِ

ولكن رأى والحمد للّه باقيا ... له (حسنٌ) فاختار ما اختار ذو العرشِ

فتىً حنيت منه على قلب خاشعٍ ... جوانحُ ذي نسكٍ سلمن من الغشِّ

فما ينطق الفحشاءَ مذودُ فضله ... ولا سمعُ تقواه يعي قولة الفحشِ

تعاهد غيثُ العفو مرقد (محسنٍ) ... يبلُّ ثرىً واراه رشاً على رشِّ

---

١ - هو الشيخ حسن بن محسن بن حسين الشهير بمصبّح الخلّي، من مشاهير شعراء عصره، ولد في الحلّة عام ١٢٤٦ هـ، وتوفّي بها عام ١٣١٧هـ. ترجمت له في كتابي شعراء الحلّة ١ / ٢٨٨ - ٣٢٠، ط ١، و٣٥٠ - ٤٠٣، ط ٢.

وقال راثياً الحجّة الأكبر الشيخ مرتضى الأنصاري[1]، ومعزّياً العلاّمة السيد مهدي القزويني:

مَـــنْ حـــطَّ هضـــبتك الرفيعـــه ... وأبـــاح حوزتـــك المنيعـــه؟

وطـــواك والتقـــوى بقـــبرٍ ... ضـــمَّ جســـمك والشـــريعه

وأعـــاد ملَّـــة (أحمـــدٍ) ... ثكلـــى وذات حشـــاً وجيعـــه

تنعـــاك واضـــعةٌ علـــى ... ظهـــرٍ أجـــبَّ يـــداً قطيعـــه

يـــا راحـــلاً بـــالعلم تنـــ ... قلـــه عـــن الـــدنيا جميعـــه

وموسَّـــداً في تربـــةٍ ... بـــات الصـــلاحُ بهـــا ضـــجيعه

كنـــت الذريعـــة للهـــدى ... واليـــوم بعـــدك لا ذريعـــه

إنّ الـــورى في فـــترةٍ ... عميـــاء لـــيس لهـــا طليعـــه

ترتـــاد مثلـــكَ ســـابقا ... بـــين الحســـيرة والضـــليعه

مـــا كـــان أحوجهـــا لطبّـــك ... أيّهـــا الراقـــي اللســـيعه

فاذهـــب فلـــم تصـــلحْ لمثـــ ... لـــكَ هـــذه الـــدنيا الخدوعـــه

فلهـــا دخلـــتَ وأنـــت محمـــ ... دُ الســـجيّة والطبيعـــه

وصـــحبتها بجـــوارحٍ ... عصـــمت لخالقهـــا مطيعـــه

وخرجـــت منهـــا طـــاهر الـــ ... أبـــراد مشـــكور الصـــنيعه

فلتبـــك مفقـــدكَ الـــورى ... يـــا نـــيّراً فقـــدت طلوعـــه

ولنســـتر الهـــلاكُ خلَّـــ ... تهـــا ولا تشـــكو القطيعـــه

---

١ - هو العلّم الجهبذ، الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين الأنصاري، أشهر مشاهير فقهاء عصره، وإليه انتهت رئاسة الدين، ورجع إليه الملايين من المسلمين. وكان مضرب المثل في الزهد والورع، والتقى ومعرفة اللّه (عزّ وجلّ). ولد عام ١٢١٤ هـ، وتوفّي ١٨ جمادي الثانية ١٢٨١ هـ، ورثاه الكثير من شعراء عصره، ومنهم الشيخ أحمد بن صالح البحراني، والشيخ صالح الكوّاز، والشيخ علي الجاسم الحلّي، والشيخ محمد الملاّ الحلّي.

قـــــد فاتهـــــا العـــــينُ البصـــــير ... ةُ منـــــــــك والأُذن الســـــــــميعه

كانـــــت تـــــرى بـــــك مـــــن أمـــــا ... مـــــك غـــــرَّ أوصـــــافٍ بديعـــــه

قـــــد راض نفســـــك زهـــــدُه ... فغـــــدت بقرصـــــيه قنوعـــــه

وبلـــــبس طمريـــــه اكتفـــــت ... فاستشـــــعرت بهمـــــا خشـــــوعه

وصـــــنعتَ إذ كنـــــت الأمـــــين ... علـــــى الحقـــــوق بهـــــا صـــــنيعه

ورأيـــــتَ فيهـــــا رأيـــــه ... لمـــــا لـــــديك غـــــدت وديعـــــه

فلـــــذا بهـــــا ســـــاويتَ عـــــا ... ليـــــة النفـــــوس مـــــع الوضـــــيعه

والآن قـــــد ضـــــاقت لرزئـــــ ... ـك في الـــــورى الأرض الوســـــيعه

عـــــادت كيـــــوم وفاتـــــه ... لـــــك ذات أحشـــــاءٍ صـــــديعه

هـــــذي الفجيعـــــةُ جـــــددتْ ... أحزانهـــــا تلـــــك الفجيعـــــه

خفـــــض عليـــــك أخـــــا العـــــزاء ... وســـــكّن الـــــنفسَ الجزوعـــــه

فالـــــديُن (بالمهـــــديِّ) كفـــــ ... ـف في تســـــليّه دموعـــــه

هـــــذا إمـــــامُ العصـــــر مفـــــزع ... كـــــلِّ ذي كبـــــدٍ مروعـــــه

هـــــو صـــــارخُ الأعـــــداء نـــــا ... عـــــش كـــــلّ ذي نفـــــسٍ صـــــريعه

إنْ تدعُـــــــه لملمَّـــــــةٍ ... جـــــاءت كفايتُـــــه ســـــريعه

فـــــتراه يكتمـــــه ويـــــأبى اللّـــــ ... ـهُ إلاّ أن يذيعـــــــــــــــه

يـــــا مَـــــنْ يســـــاميه وراءك ... عـــــن معاليـــــه الرفيعـــــه

أتعبـــــت نفســـــك في تكلـــــ ... ف مـــــا الـــــذي لـــــن تســـــتطيعه

مـــــولىً هـــــو البحـــــرُ المحـــــيط ... بكـــــلّ مكرمـــــةٍ بديعـــــه

نشـــــأت بنـــــوه ســـــحائبا ... أضـــــحت بهـــــا الـــــدنيا مريعـــــه

فـــــإذا ثـــــرى الأرض اقشعـــــ ... رَّ أديمـــــه كـــــانوا ربيعـــــه

ولـــــدتهمُ أمُّ الفخـــــار ... بـــــدارة الحســـــب الرفيعـــــه

(نســـــبٌ عقـــــدن أصـــــوله ... بـــــذوائب العليـــــا فروعـــــه)

يـــــا أيّهـــــا الخلـــــفُ المشـــــيّد للهـــــــدى فينـــــــا ربوعـــــــه
والمســـــــــــــتجار بركنـــــــــــــه في كـــــــــلِّ نازلـــــــــةٍ فظيعـــــــــه
فلأنـــــــت بعـــــــد (المرتضـــــــى) نعـــــــم البقيّـــــــة للشـــــــريعه
وحـــــــدا نســـــــيمُ العفـــــــو ســـــــا جـــــــمُ غيثـــــــه فمـــــــري ضـــــــروعه
وســـــــقى ثـــــــرى جـــــــدثٍ أقـــــــا م مجـــــــــــاوراً فيـــــــــه شـــــــــفيعه

وقال راثياً الشيخ علي العذاري[1]، ومعزّياً أولاده، والعلاّمة السيد مهدي القزويني:

درى لا درى دهـــــرٌ ذممنـــــا طباعَـــــه لأيّ حمـــــىً يـــــا راعـــــه اللهُ راعَـــــه
وأيّ علـــــيٍّ ســـــاق للنـــــزع نفسَـــــه لقـــــد كابـــــدت نفـــــسُ المعـــــاني نزاعـــــه
وأُدرجـــــت التقـــــوى بأثنـــــاء بـــــردِه وأزمـــــع خـــــيرُ الأرض عنهـــــا زماعـــــه
مضـــــت ليلـــــةُ الاثنـــــين عنـــــه بواحـــــدٍ لـــــه في النهـــــى مـــــرأىً يفـــــوق سماعـــــه
تفـــــرق شمـــــلُ الصـــــبر ســـــاعة بينـــــه وأقبـــــل شمـــــلُ الهـــــمِّ يبـــــدي اجتماعـــــه
طـــــوى يومُـــــه بشـــــرَ الزمـــــان بهـــــاءه بشاشـــــــتَه إبهاجـــــــه والتماعـــــــه
وغـــــادره مـــــا عـــــاش ينشـــــر رزءه جديـــــداً فيبكـــــي ثكلـــــه وانتجاعـــــه
أصـــــاح بمـــــاذا يملـــــك الجلـــــدُ جفنـــــه علـــــى الـــــدمع أو ينهـــــي الحلـــــيمُ التياعـــــه
ويطـــــرد في أيِّ الرقـــــى مـــــاردَ الجـــــوى ويحـــــوي لـــــديغ الهـــــمِّ فيهـــــا شـــــجاعه
وكيـــــف وأنّى والتماسَـــــك والـــــذي بـــــه يشـــــتكي كـــــلُّ أجـــــدّ وداعـــــه؟
ســـــل (الحلّـــــة الفيحـــــاء) عـــــن عقـــــد نحرهـــــا أتعلـــــم منهـــــا الـــــدهرُ أيـــــن أضـــــاعه؟
نعـــــم ســـــامه فابتاعـــــه المـــــوتُ بـــــالجوى ويـــــا ربحهـــــا لـــــو تســـــتطيعُ ارتجاعـــــه
مغمّضـــــه مهـــــلاً أتحفـــــظ للتقـــــى بكفّيـــــك جفنـــــاً مـــــا أعـــــفَّ ارتفاعـــــه؟

---

١ - هو الشيخ علي بن حسين بن عبد اللّه بن الكاظم بن علي بن تريبان الشهير بالعذاري، عالم أديب، وشاعر رقيق، ولد بالحلّة عام ١٢٠٠ هـ، وتوفّي بها في ٢٦ ذي الحجّة عام ١٢٨١ هـ. ترجمت له في كتابي شعراء الحلّة ٤ / ٢٢١ - ٢٢٧.

وغاسله رفقاً فمن جسد العُلى ... تقلبُ جسماً ما أشقَّ انتزاعه

ورادَعه طيباً ألست بناشقٍ ... على جسمه طيبَ التقى ورداعه

وحاملُه في النعش دونك فاحتمل ... به النسكَ إنّ النسكَ كان متاعه

ومضجعَه في لحده أضجع التقى ... به فهو يهوي مع أخيه اضطجاعه

وباكيَه لا تبكي بالدمع وحده ... بلى بدم الأحشاء مدّ اندفاعه

وراثيَه إنَّ الكلام لضائقٌ ... بعظم الجوى بل لا يضيق استماعه

نعم إن غدت منه خلاً فهذه ... بقيته في المجد تعلو يفاعه

بهمّته تسمو إلى شرف العُلى ... وتبسط في كسب المعالي ذراعه

مضى وهو البدرُ المنير وأنجموا[1] ... بأبراجه شهباً كساها شعاعه

أطايبُ قد حلُّوا من العزِّ ربعه ... فعطَّر طيبُ الفخر منهم بقاعه

فصبراً بني التقوى وإن كان رزؤكم ... عرى الدهرُ منه ما أراع ذراعه

لنا ولكم حسنُ العزا عن أبيكم ... بخير أبٍ سرَّ الندى قد أذاعه

هو الخلف المهديُّ مَنْ في جبينه ... بدا للهدى نوراً يزين التماعه

ولم تتبعْ في الاقتداء به الهدى ... بل أوجب اللهُ العظيم اتّباعه

أبو سادةٍ لو حلَّق النسرُ طائرا ... لنيل ذرى علیائهم ما استطاعه

(فجعفرُ) فضلٌ صالحٌ و(محمدٌ) ... (حسينٌ) حبا (المهديَّ) كلُّ طباعه

فروعُ فخارٍ رشحتّها أصولها ... لمجدٍ تمّنى المجدُ منه ارتفاعه

لهم حسبٌ لو كايلوه[2] بنو العُلى ... بأحسابهم فخراً لما كِلنَ صاعه

أبا صالحٍ كم مبهماتٍ جلوتها ... وملتبسٍ منها كشفتَ قناعه

سنا البدر[3] قد أطفا سناك شعاعه ... ونورك ذا فيه رأينا انطباعه

هل المجدُ إلاّ ما رفعتَ عماده ... أو الجودُ إلاّ ما تجيد اصطناعه؟

---

١ - هكذا جاء بالأصل.

٢ - كذا في المخطوط والمطبوع، وقد جاء على لغة أكلوني البارغيث.

٣ - وفي نسخة: البرق.

وأعجـــب شـــيءٍ أن يطـــاول فاضـــلٌ عـــلاك ومنـــك الفـــترُ يفضـــلُ باعـــه
وكيـف الفضـا في عظـم فخـرك لم يطـقْ أفخـرُك قـد أعطـى الفضـاءَ اتّسـاعه؟
تُراجـــعُ أعطـــاء الكثـــير ولا كمـــن إذا هـــو أعطـــى النـــزرَ ودَّ ارتجاعـــه
ســـلمتَ لـــدين الله تـــرأبُ صـــدعه وتحفـــظ مـــا منـــه ســـواك أضـــاعه
ولا زلـــت غيـــث اللطـــف يمـــنح ضـــرعُه ضـــريح (علـــيٍّ) درَّه ورضـــاعه

وقال راثياً العلاّمة ميرزا جعفر القزويني، ومعزّياً أباه العلاّمة السيد مهدي القزويني:

قـــد خططنـــا للمعـــالي مضـــجعا ودفنّـــا الـــدينَ والـــدنيا معـــا
وعقـــدنا للمســـاعي مأتمـــا ونعينـــا الفخـــر فيـــه أجمعـــا
آه مـــاذا وارت الأرضُ الـــتي رمـــقُ العـــالم فيهـــا أُودعـــا
وارت الشـــخصَ الـــذي في حملـــه نحـــنُ والأمـــلاك ســـرنا شـــرعا
صـــاحب الـــنعش الـــذي قـــد رُفعـــت بركـــاتُ الأرض لمـــا رفعـــا
ملـــكٌ حيـــا وميتـــاً قـــد أبى قـــدرُه إلاّ الـــرواقَ الأرفعـــا
إنْ تســـلني كيـــف مـــن ذاك الحمـــى فيـــه زاحمـــن العـــرينَ المســـبعا
فبـــه أدنى إليـــه شـــبله أســـدَ الله وحيِّـــا ودعـــا
فأســـلناها علـــى إنســـانها حـــدقاً وهـــي تســـمّى أدمعـــا
وبللنـــا تربـــة القـــبر الـــذي دفنـــوا فيـــه التقـــى والورعـــا
وعقرناهـــا حشـــاً فـــوق حشـــا يتســـاقطن عليـــه قطعـــا
ونضـــحناها ولكـــن مهجـــا صـــنع الوجـــدُ بهـــا مـــا صـــنعا
فعلـــى مـــاذا نشـــدُّ الأضـــلعا كـــذبَ القائـــلُ قلـــبي رجعـــا
وحللنـــا عقـــدة الصـــبر أســـىً وعلـــى الوجـــد شـــددنا الأضـــلعا
ورجعنـــا لا رجعنـــا وبنـــا رمـــقٌ ممســـكه مـــا رجعـــا

يـــا ابـــن ودّي إنَّ عنـــدي فـــورةً ... تمـــلأ الجنبـــين كيـــف اتّســـعا

فـــإلى مكـــة لي إنَّ بهـــا ... منتـــدى الحـــيِّ المعـــزِّى أجمعـــا

إبتـــدرها واعتمـــد بطحاءهـــا ... إنّهـــا كانـــت لفهـــرٍ مجمعـــا

قـــف بهـــا وانـــعَ قريشـــاً كلَّهـــا ... فقـــريشُ اليـــوم قـــد مـــاتوا معـــا

وتعمَّـــد شـــيبة الحمـــد وخـــذ ... نفثـــةً تحطـــمُ منهـــا الأضـــلعا

قـــلْ لـــه: إن مـــتَّ قـــدماً وجعـــا ... فمـــت الآن بنعـــيٍ جزعـــا

صـــدعت بيضـــتكم قارعـــةٌ ... كبـــدُ الـــوحيِ عليهـــا انصـــدعا

زال درعُ الهـــاشميين الـــذي ... بردائـــيْ حســـبيه ادَّرعـــا

وانطـــوى عـــزُّ نـــزار كلِّهـــا ... بمصـــابٍ ســـامها أن تخضـــعا

مـــا فقـــدتُ اليـــوم إلاّ جـــبلا ... نحـــوه يلجـــأ مَـــنْ قـــد روِّعـــا

كـــان أرســـى زمنـــاً لكـــن علـــى ... مهـــج الأعـــداء ثمّ اقتلعـــا

شـــهرت أيـــدي المنايـــا ســـيفها ... فاســـتعاذ الـــدهرُ منهـــا فزعـــا

وحمـــى عـــن أنفـــه في كفّـــه ... فـــإذا الأقطـــعُ يحمـــى الأجـــدعا

قرعـــت سمـــعَ الهـــدى واعيـــةٌ ... أبـــداً في مثلهـــا مـــا قُرعـــا

لـــو رأت مـــا غـــاب عـــينٌ لـــرأت ... عيننـــا جبريـــلَ يُـــدمي الأصـــبعا

قـــائلاً: حســـبُك مـــلْ عـــن هاشـــمٍ ... وعلـــى الفيحـــاء عـــرِّج مســـرعا

إنّهـــا منعقـــدُ النـــادي الـــذي ... قـــد حـــوى ذاك الجنـــاب الأمنعـــا

قـــف بهـــا وقفـــة عـــانٍ ممســـكا ... كبـــداً طاحـــت بكـــفٍّ قطعـــا

وأنـــخ راحلـــة الوجـــد وقـــل: ... لســـتِ يـــا أربـــعُ تلـــك الأربعـــا

إنّمـــا كنـــت علـــى الـــدهر حمـــىً ... لم تجـــدْ فيـــك الليـــالي مطمعـــا

بعلـــيم فيـــك قـــد أحيـــا الهـــدى ... ومليـــكٍ قـــد أمـــات البـــدعا

فـــالعمى والجـــورُ عنـــك افترقـــا ... والجـــدا والعـــدل فيـــك اجتمعـــا

بـــأبِ الرشـــد إذا ضـــلَّ الـــورى ... وأخـــي الجلّـــى إذا الـــداعي دعـــا

قـــد لعمـــري راعـــك الخطـــبُ بمَـــنْ ... كـــان في الخطـــب الكمـــيَّ الأروعـــا
جـــــدَّ ناعيـــــه فقلنـــــا هـــــازلٌ ... لـــيس يـــدري كنـــه مَـــنْ كـــان نعـــى
فـــــدعا لمـــــا أبى تلـــــك الـــــتي ... طـــــارت الأحشـــــاء منهـــــا جزعـــــا
قـــد بكـــى الغيـــثُ أخـــاه قـــبلكم ... فانضـــحوا الأكبـــادَ مـــنكم أدمعـــا
رحـــل (الصـــادقُ) مـــنكم (جعفـــرٌ) ... وبـــــه الإســـــلامُ قســـــراً فُجعـــــا
فـــإلى أيـــن وهـــل مـــن مـــذهبٍ ... كابـــدوها غلـــةٍ لـــن تنقعـــا؟
يـــا (أبـــا موســـى) أصـــخ لي ســـامعا ... وبرغمـــــي اليـــــوم أن لا تســـــمعا
بـــــل كفـــــاني لوعـــــةً أنّي أرى ... منـــك أخلـــى المـــوتُ هـــذا الموضـــعا
أو مـــــا عنـــــدك في نـــــادي العُلـــــى ... لم تـــــزل تحلـــــو القـــــوافي موقعـــــا؟
أيـــــن ذاك الوجـــــهُ مـــــا حيّيتـــــه؟ ... بطريـــــف المـــــدح إلاّ التمعـــــا
أيـــــن ذاك الكـــــفُّ تنـــــدى كرمـــــا؟ ... كلّمـــــا جـــــفَّ الحيـــــا أو منعـــــا
هـــاكِ يـــا أفعـــى الليـــالي كبـــدي ... فانهشـــــي منهـــــا بنابيْـــــك معـــــا
مـــات مـــن يثنيـــك يـــا نضناضـــةً ... ترشـــحين المـــوت سمّـــاً منقعـــا
واقشـــــعرّي أيّهـــــا الأرضُ بنـــــا ... فغمـــــامُ الجـــــود عنّـــــا انقشـــــعا
وطـــــرافَ المجـــــد قـــــوِّض زائـــــلا ... فعمـــــادُ المجـــــد منـــــك انتزعـــــا
عثـــــر الـــــدهرُ فقـــــولا لا لعـــــا ... فخـــــذا بـــــاللوم منـــــه أو دعـــــا
فلقـــــد جـــــاء بهـــــا قاصـــــمةً ... خلعـــــت صـــــلبَ العلـــــى فانخلعـــــا
انتهـــــت كـــــلُ الرزايـــــا عنـــــدها ... فتعـــــدّى العـــــذلُ والعـــــذر معـــــا
أدرى أيّ صـــــــفاتٍ قرعـــــــا ... أم درى أيَّ قنـــــــاةٍ صـــــــدعا؟
فاســـتحالت مقلـــةُ الـــدين قـــذا ... طبنـــــه (المهـــــديُّ) حـــــتى هجعـــــا
إنّمـــــا (المهـــــديُّ) فينـــــا آيـــــةٌ ... بهـــــر الخـــــالقَ فيمـــــا ابتـــــدعا
لم يزعـــزعْ حلمـــه الخطـــبُ الـــذي ... لـــو بـــه يقـــرع رضـــوى زعزعـــا
ملـــكَ الأجفـــانَ لكـــن قلبُـــه ... والجـــوى خلـــف الضـــلوع اصـــطرعا

أيّهـــا الحامـــلُ أعبـــاء العُلـــى ... ناهضـــاً في ثقلهـــا مضـــطلعا

مقتـــدى الأمَّـــة أنـــتم ولهـــم ... بكـــم ديـــنُ التأسّـــي شـــرعا

يتـــداوى برقـــى أحلامكـــم ... مَـــنْ بـــأفعى رزئـــه قـــد لُســـعا

قـــد نشـــأتم في بيـــوتٍ لكـــم ... أذن اللهُ بهـــا أن تُرفعـــا

لا أرى الفيحـــاءَ إلاّ غابـــةً ... ســـبعٌ يخلـــفُ فيهـــا ســـبعا

إن مضـــى عنهـــا (أبـــو موســـى) فهـــا ... (بـــأبي الهـــادي) إليهـــا رجعـــا

مـــن ســـراجٍ في ســـراجٍ بـــدلٌ ... انطفـــى ذاك وهـــذا ســـطعا

ماجـــدٌ يبســـط كفّـــاً لم تـــزلْ ... لِمَـــنْ ارتـــاد النـــدى منتجعـــا

ذو عُـــلاً مـــا نالهـــا العقـــلُ ولا ... طـــائرُ الـــوهم عليهـــا وقعـــا

ســـيِّدٌ قـــال لـــه المجـــدُ ارتفـــع ... حيـــث لا تلقـــى الســـهى مرتفعـــا

وحّـــد القـــول لـــه لكنَّـــه ... (بـــأبي القاســـم) ثـــنّى متبعـــا

فجـــرى في إثـــره مرتفعـــا ... يركـــب الجـــوزاءَ ظهـــراً طيّعـــا

وســـنا المجـــد الـــذي في وجهـــه ... ذاك في وجـــه الحســـين التمعـــا

ســـادتي عفـــواً دهتـــني صـــدمةٌ ... أفحمـــت مـــنّي الخطيـــبَ المصـــقعا

لم أخـــل ينعـــى لســـاني[1] جعفـــرا ... وبـــودّي قبـــل ذا لـــو قُطعـــا

وقال راثياً بعض الأكابر:

فـــزع النعـــيُّ بصـــوته سمعـــى ... فحـــنى علـــى جمـــر الجـــوى ضـــلعي

صـــدع الحشـــا مـــنّي غـــداة غـــدا ... ينعـــي كـــريمَ الأصـــلِ والفـــرعِ

مهـــديُّ أهـــل الفخـــر أشـــرفها ... في الـــنفس والأخـــلاق والطبـــعِ

يـــا نكبـــةً مـــا كـــان أفـــدحها ... طرقـــتْ فضـــاق بهولهـــا ذرعـــي

شـــغلتْ لهـــا عيـــني بمـــدمعها ... وحشاشـــتي بلـــواعج الفجـــعِ

---

١ - وفي نسخة: لسان.

فـــــإذا رسمـــــتُ كتـــــابَ تعزيـــــةٍ لكـــــم محتـــــه بـــــوادرُ الـــــدمعِ

وقال راثياً كريمة العلاّمة السيد مهدي القزويني، ومعزّياً أباها وإخوتها الكرام:

مـــا لهـــم يـــا قـــبرُ قـــد جـــدُّوا انصـــرافا بعـــدما قـــد دفنـــوا فيـــك العفافـــا

وحثـــوا منـــك علـــى عـــين العُلـــى تربـــةً تســـتافها الحـــورُ اســـتيافا

نفضـــوا تربـــك والصـــبرَ معـــا عـــن يـــدٍ تمســـكُ أكبـــاداً لهافـــا

وردوا أمـــــس ثقـــــالاً بـــــالجوى فبمـــــاذا صـــــدروا اليـــــوم خفافـــــا؟

هـــل أعـــادوا معهـــم مـــا أخـــذوا مـــن حشاشـــات تبقّوهـــا لهافـــا

لا ومَـــنْ قـــد طهَّـــر المـــاءَ بهـــا مـــذ لهـــا مطلقـــه كـــان مضـــافا

والـــــتي راحَ الحيـــــا ملتحفـــــا معهـــــا طـــــاهرَ برديهـــــا التحافـــــا

بـــل أعـــادوا جمـــرة الوجـــد إلى أضـــلعٍ باتـــت عليهـــا تتجـــافى

حجـــب القـــبرُ ابنـــة الـــوحي الـــتي شـــرف الـــذكر بعلياهـــا أنافـــا

مـــن كريمـــاتٍ علـــى الله لهـــا ضـــرب العصـــمة خـــدراً وســـجافا

لم تلـــد إلاّ الـــذي يســـقي كـــلا مـــا تحـــي ســـجليه[1] شـــهداً وذعافـــا

والـــتي مـــا مـــدَّت العليـــا علـــى مثلهـــا يومـــاً لتخـــدير طرافـــا

صـــاح هـــل تعلـــمُ لمـــا أفـــردت وامتلـــى القـــبرُ ضـــجيجاً وهتافـــا

أبـــذاك الـــترب واروا فاطمـــا أم إليهـــا العـــالمُ القدســـيُ وافى

ونعـــم فيـــه تـــوارت شـــعبةٌ مـــن حشـــاها اختُطفـــت منهـــا اختطافـــا

ســـاقها الحتـــفُ ولكـــن بعـــدما شـــقّ مـــن صـــدر الهـــدى عنهـــا الشـــغافا

وعليهـــا مســـح الوجـــدُ ضـــحىً مقلـــةً عميـــاء لا تـــدري الجفافـــا

أوحشـــت مـــن أمِّ شـــبلٍ غابـــةً لـــو بهـــا مـــرَّ أبـــو شـــبلٍ لخافـــا

---

١ - الامتياح: إخراج الماء من البئر، والسجل: الدلو، أو ما تحمله من الماء.

كعبـــــــة التخـــــــدير إلاّ أنّهـــــــا خلقـــــت للمـــــلأ الأعلـــــى مطافـــــا
دارُ قـــــــدسٍ أودع اللّـــــــهُ بهـــــــا خـــــيرَ أهـــــل الأرض نســـــكاً وعفافـــــا
قـــــل لمِـــــنْ رام انحرافـــــاً عـــــنهم ضـــلَّ مـــنْ يبغـــي عـــن الحـــق انحرافـــا
ســـــــادةٌ للرشـــــــد في مهـــــــديِّهم جعـــــل اللهُ مـــــن الغـــــيِّ انتصـــــافا
كلُّهـــــم أبحـــــرُ علـــــمٍ طفحـــــت فـــاغترف مـــن أيِّهـــم شـــئتَ اغترافـــا
فضـــــلوا الخلـــــقَ أكفّـــــاً ســـــحبا رفـــــع المحـــــلَ وأخلاقـــــاً ســـــلافا
أســـــكرتْ في حـــــبّهم حـــــتى العـــــدى فهـــــي الصـــــهباء لطفـــــاً وارتشـــــافا
كرمـــــــاءٌ لقِـــــــرى أضـــــــيافهم ينحـــــرون البـــــدرَ لا البـــــدنَ العجافـــــا
آمنـــــــوا في الله مَـــــــنْ آمنـــــــه وأخـــــافوا مَـــــنْ لـــــه اللّـــــهُ أخافـــــا
يـــــا ذوي الحلـــــم وفـــــيكم رقـــــةٌ فقـــــتم فيهـــــا حنـــــوّا وانعطافـــــا
إنّمـــــا هـــــزَّت قنـــــا صـــــبركُم نكبـــــةُ الـــــدهر فزادتهـــــا ثقافـــــا
وعلـــــى زحـــــف الليـــــالي لا شـــــكت أبـــــداً أبيـــــات عليـــــاكم زحافـــــا

وقال راثياً العلاّمة الميرزا صالح القزويني، ومعزّياً أخويه:

أفعـــى الأســـى طرقـــت وغـــاب الراقـــي فأنـــا اللـــديغُ وأدمعـــي دريـــاقي
باتـــت تســـاورُ وهـــي غـــير ضـــئيلةٍ حـــتى رشـــحن بســـمِّها آمـــاقي
لا راق نفســـي العـــيشُ بعـــدك ليلـــةً ضـــربت علـــيَّ بأســـدف الأرواقِ
أثكلتنيهـــا يـــا ثكلتـــك قلبهـــا غـــرراً أعـــزَّ علـــيَّ مـــن أحـــداقي
فأعـــدت لي في فقـــد أطيـــب معـــرقٍ في المجـــد مفقـــدَ طيّـــب الأعـــراقِ
ذهبـــا بأيـــامٍ خطـــرت مـــع الهـــوى منهـــا بمعلمـــة الـــبرود رقـــاقِ
زمنـــاً لبســـتُ حريرهـــا ونضـــوتها عـــن جـــدَّةٍ وأبيـــك لا الأخـــلاقِ
فلأنـــدبن اليـــوم صـــالحَ عهـــدها ولأبكـــين نفـــائسَ الأعـــلاقِ
ولأحلـــبنَّ مـــن الشـــجون حشاشـــتي دمعـــاً كمنـــدفق الحيـــا المهـــراقِ

أمرقصاً دمعي وأخلاقي معا ... بنشائد (الخنساء) لا (إسحاقِ)

فرّق بأقتلها مجامعَ أضلعي ... إنَّ المكارم آذنتْ بفراقِ

قتلت أسيً لأغرَّ[1] لولا جودُه ... قتل الزمان بنيه من إملاقِ

فأزل بنعيك في الورى رمق الورى ... فالموتُ زال بممسك الأرماقِ

هذا (أبو حسنٍ) استقلَّ مشيَّعا ... لكن بنعشٍ لا متون عتاقِ

ومشت وراء سريره من هاشمٍ ... غلبُ الرقاق خواضع الأعناقِ

متماسكين من الحياء تهافتت ... قطعاً قلوبُهم من الإقلاقِ

يا راحلاً بالصبر حمَّل قومَه ... عبئاً من الأرزاء غير مطاقِ

خرجتْ تمنّى لو بهاشم كلّها ... خرجت وأنت لمجد قومك باقي

فلو افتدى بسواه غيرُك أو وقى ... من حدَّ أسياف المنيَّة واقي

لوقتْك من دمها العفاةُ بما وقى ... بوفاء ماء سماحك الرقراقِ

ولغيَّمت بالنقع دونك هاشمٌ ... حتى تسدَّ مطالع الآفاقِ

وأتتك ترعد بالصواهل واغتدت ... بالبيض تبرقُ أيَّما إبراقِ

ولأمطرتْ بدمٍ سقت شوك القنا ... منه بأغزر وابلٍ دفّاقِ

ولقارعت عنك الردى وشعارها ... أنا من أمرَّ اليوم طعمَ مذاقي

ولأقبلتْ بك يا عميدَ سراتها ... والموت بين يديك رهنُ وثاق

وأظنّ أنّك والتكرّم شأنكم ... كرماً تمنُّ عليه بالإطلاقِ

فيردن أفئدةٌ لهنَّ لظى الجوى ... لم تبقِ باقيةً على الإحراقِ

لكن دُعيتَ وأيُّ خلقٍ لم يكن ... ليجيب دعوة قاهرٍ خلاّقِ

فمضى الردى بك راغباً بطلاقها ... دنيا تجدُّ تبعّلاً بطلاقِ

معشوقةٌ وهي الملالُ وإنّها ... لعلى الملال كثيرة العشّاقِ

سارٍ على أيدٍ رفعن برفعها ... منك البنان مفاتح الأرزاقِ

---

١ - في الديوان المطبوع: لأعز.

اعـــتقن مـــن رقِّ الزمـــان كرامَـــه ... فجمعـــن بـــين الـــرقِّ والإعتـــاقِ

ودعـــت وقـــد رفعـــت عقيرتهـــا العُلـــى ... الله أيـــــن بمثقـــــل الأعنـــــاقِ

فـــبرغم أنفـــي اليـــوم حطَّـــك في الثـــرى[1] ... مَـــنْ كنـــت أرفعـــه علـــى الأحـــداقِ

فلـــو اســـتطعتُ عـــن الـــتراب رفعتـــه ... بالوضـــع بـــين ترائـــبٍ وتراقـــي

واهـــاً لتربـــة ذلـــك الجـــدث الـــذي ... فيـــه دفنـــت[2] مكـــارم الأخـــلاقِ

مصـــت نـــدى تلـــك البنـــان فأعطشـــت ... عـــودَ الرجـــاء وكـــان ذا إيـــراقِ

إيهـــاً صـــروف الـــدهر دونـــك في الـــورى أب ... تـــدرى بـــلا فـــرقٍ ولا إشـــفاقِ

غطـــى الـــتراب علـــى قريعـــك وابـــرزي ... في النـــاس كاشـــفةً لهـــم عـــن ســـاقِ

قـــدرٌ رمـــى شـــجرَ العلـــوم بمعطـــشٍ ... فشـــكت أعاليـــه جفـــاف الســـاقِ

وذوى وزال عـــن القلـــوب لفقـــد مَـــنْ ... قـــد كـــان بحـــراً والقلـــوبُ ســـواقي

سُـــلبتْ نضـــارته وغـــودر عـــن يـــدي ... طلاّبـــــــه متســـــــاقطَ الأوراقِ

يـــا نـــازلاً غـــرف الجنـــان ونـــاركَ الـــ ... صـــبَّ المشـــوق بقـــاتم الأعمـــاقِ

وفـــدت عليـــك صـــلاةُ ربّـــك شـــائقا ... منعـــت إليـــه وفـــادةَ المشـــتاقِ

فاذهـــب وحســـبُك للعُلـــى (بمحمـــدٍ) ... فعـــلاه لا يرقـــى إليهـــا الراقـــي

عرجـــت بـــه لســـماء فضـــلك همّـــةٌ ... قالـــت: أجـــلُّ مـــن الـــبراق براقـــي

هـــذا الـــذي ورث النبـــوَّة علمَهـــا ... ومـــن الإمامـــة حـــلّ أيَّ رواقِ

ولقـــد أقـــولُ لمـــنْ بغـــاه بضـــغنه ... أقصـــرْ فلســـتَ تنالـــه بلحـــاقِ

عجبـــاً طمعـــت بمَـــنْ يروضـــك عالمـــا ... إنَّ القلـــوب تـــراضُ بالإرفـــاقِ

لا تقـــرَّبن الصـــلَّ نضـــنض مطرقـــا ... فالصـــلُّ ســـورته مـــع الإطـــراقِ

هـــو و(الحســـينُ، كلاهمـــا قمـــرا عُـــلا ... في فتيـــةٍ هـــم أنجـــم الآفـــاقِ

مـــن كـــلِّ نهـــاض العـــزائم حـــائزٍ ... قصـــبَ الرهـــان بيـــوم كـــلّ ســـباقِ

خطبـــت لهـــم بكـــر العُلـــى وهـــم لهـــا ... جعلـــوا جميـــل الـــذكر خـــيرَ صـــداقِ

---

١ - في المطبوع: بالثرى.

٢ - وفي نسخة: دفن.

فبنـــوا بخـــير عقيلـــةٍ مـــا راعهـــا صـــرفُ النوائـــب مـــنهم بطـــلاقِ
لـــولاهم غـــدت القلـــوبُ كمضـــغةٍ بلهـــى الخطـــوب تـــلاكُ بالأشـــداقِ
ولأطبقـــت ظلـــمُ الرزيَّـــة واختفـــى ضـــوءُ الســـلوِّ بـــذلك الإطبـــاقِ
فهـــم البـــدورُ تفاوتـــت بطلوعهـــا في المجـــد لا في الـــتمِّ والإشـــراقِ
المجـــدُ أطلعهـــا وقـــال معـــوّذا لا نِيْـــلَ بـــاهرُ مجـــدكم بمحـــاقِ

وقال راثياً العلاّمة الكبير السيد مهدي القزويني، ومعزّياً أولاده الكرام:

أرى الأرض قـــد مـــادتْ لأمـــرٍ يهولُهـــا فهـــل طـــرقَ الـــدنيا فنـــاءٌ يزيلُهـــا؟
وأسمـــع رعـــداً قـــد تقصـــف في الســـما لمِـــنْ زمـــرُ الأمـــلاك قـــام عويلهـــا؟
تأمَّـــل فأمّـــا الســـاعةُ اليـــوم فاجـــأت وأمّـــا الـــتي في العـــالمين عـــديلها
وإلاّ فمـــا للـــدهر راع حشـــا الـــورى بتقطيبـــه منهـــا عراهـــا ذهولهـــا؟
بلـــى طرقـــتْ أختُ القيامـــة بغتـــةً وتلـــك الـــتي للحشـــر يبقـــى غليلهـــا
لهـــا صـــعدتْ بـــالحزن للعـــرش رنّـــةٌ بـــأعلى بيـــوت الـــوحي كـــان نزولهـــا
نحـــت في رواق المجـــد صـــدراً مـــن العُلـــى يـــروع ملـــوكَ الأرض فيـــه مؤولهـــا
ومالـــت بأرســـى هضـــبةٍ مـــا تصـــوَّرت جحـــاجحُ فهـــرٍ أن تـــرى مـــا يميلهـــا
فـــديً لعميـــد الغـــالبيين كلّهـــا وأي فريـــدٍ لـــو فـــداه قبيلهـــا
إذاً لافتـــدت طـــوداً لهـــا مـــا تعلّقـــت بقنتـــه للكاشـــحين وعولهـــا
فـــإنّ (معـــزّ الـــدين) مَـــنْ سُـــلَّ دونـــه صـــوارمُ لا يخشـــى عليهـــا فلولهـــا
وقـــارع حـــتى كـــلُّ مضـــاء فكـــرةٍ ثنـــاه بحـــدِّ القـــول وهـــو كليلهـــا
وراش نبـــالاً لم تفـــت مقتـــل العـــدى وأقتـــلُ ســـهمٍ مـــا يـــريش نبيلهـــا
وســـدَّد مـــن أقلامـــه الســـمر صـــعدةً بصـــعداتها للســـمر قصِّـــر طولهـــا
فـــأدرك مـــا لا تـــدرك الشـــوسُ بالقنـــا ونـــال بهـــا مـــا لم تنلـــه نصـــولها
أكـــاليء ثغـــر الـــدين قـــد عثـــر الـــردى بيومـــك لكـــن عثـــرةً لا نقيلهـــا

لأرخـــى يمينـــاً منـــك شـــدَّ قـــوى الهـــدى ... وغمـــــض عينـــــاً بالحفـــــاظ تجيلهـــــا

فمَـــنْ مخـــبري كيـــف انتحتـــك منيـــةٌ ... بطرفـــك لـــو ترمـــي لعـــزَّ وصـــولها؟

أأنحلهـــا خـــوفُ[1] الـــتقحم إذ مشـــت ... إليـــك فأخفاهـــا عليـــك نحولهـــا؟

أم اقتـــــادك التســـــليمُ لله طائعـــــا ... وهـــل طاعـــةٌ إلاّ وأنـــت فعولهـــا؟

ورزئـــك مـــا هـــذي الـــدموع وإن جـــرت ... بمـــاءٍ ولا هـــذي الســـيولُ ســـيولها

ولكـــن حشاشـــات علـــى الشـــوق لم تـــزلْ ... تـــذوب إلى أن جاءهـــا مـــا يســـيلها

ســـنبكيك مـــا نـــاح ابـــنُ ورقـــاء أعـــينٌ ... بفضـــلك مـــن حيـــث التفتنـــا نجيلهـــا[2]

نـــرى لـــك آثـــار الغمامـــة لاطفـــت ... ثـــرى الأرض حـــتى روَّضـــته هطولهـــا

(أبـــا صـــالحٍ) مـــا العـــيش بعـــدك صـــالحا ... لـــنفسٍ هواهـــا عنـــك لا يســـتميلها

عفـــاءً علـــى (الفيحـــاء) بعـــدك وحـــدها ... وإن غـــال كـــلَّ الأرض بعـــدك غولهـــا

لقـــد لبســـت فيـــك الجمـــال وإنّمـــا ... عليـــك تعـــرّى اليـــوم عنهـــا جميلهـــا

غـــدت ثـــاكلاً تشـــجي بنيهـــا وطالمـــا ... زهـــت فاجتلتهـــا كـــالعروس بعولهـــا

نعـــاك لهـــا نـــاعٍ إليـــك أطارهـــا ... بـــــدهياء راعَ الخـــــافقين حلولهـــــا

أتـــت لـــك تشـــكو اليـــتم فيـــك بـــأدمعٍ ... لهـــا صـــنتها دهـــراً فأضـــحت تـــذيلها

وشـــرفتها ميتـــاً بحملـــك ضـــعف مـــا ... رأتـــك مـــن التشـــريف حيّـــاً تنيلهـــا

أصـــاحِ إلى جنـــبي قـــف اليـــوم ممســـكا ... علـــيَّ حشـــا حـــان الغـــداة رحيلهـــا

فقـــد كنـــتُ قبـــل اليـــوم أعهـــد لي يـــدا ... هـــي اليـــوم لا مـــنّي فأنـــت بـــديلها

أزل بـــالنعيِ الراســـيات فقـــد ســـرى ... يخـــفُّ علـــى أيـــدي الرجـــال ثقيلهـــا

ومـــا خـــفَّ لمّـــا أن تســـاوي بحملـــه ... حقـــيرُ الـــورى فـــوق الثـــرى وجليلهـــا

ولكـــن ســـرى الأمـــلاك فيـــه يـــؤمهم ... بتكبـــيره فـــوق الســـما جبرئيلهـــا

وغـــبراء مـــن حشـــو الـــتراب قـــد احتـــبى ... بقائمهـــا حـــزنُ الفـــلا وســـهولها

---

١ - في المطبوع: هول.

٢ - وردت في المطبوع والمخطوط: بخيلها، والأنسب ما ذكرناه.

مـــرت ماءهـــا الأنفـــاسُ في صـــعداتها ... فســـالت وأســـرابُ الـــدموع ســـيولها
تـــدانى بهـــا منّـــا ابـــنُ نعـــيٍ يلوثهـــا ... علـــى وجهـــه طـــوراً وطـــوراً يـــذيلها
فقمنـــا لـــه نخفـــي الـــذي منـــه هالنـــا ... وهـــل طلعـــةٌ للشـــرّ يخفـــي مهولهـــا؟
وقلنـــا زعـــيم الطـــالبيين أحـــدقت ... بجنـــب عـــلاه شـــيبها وكهولهـــا
قضـــى حجـــةً واســـتأنف الســـير فـــانبرت ... تعطّـــف منـــه حـــول فحـــلٍ فحولهـــا
وهـــذا بشـــيرٌ لـــو وهبنـــا نفوســـنا ... لقلـــت لـــه والفضـــلُ منـــه قبولهـــا
فلمّـــا ألمَّ اســـتلَّها مـــن لســـانه ... صـــفيحة نعـــيٍ كـــلُّ قلـــبٍ قتيلهـــا
شـــكت عنـــدها الأسمـــاعُ وقـــراً أصـــمَّها ... ومـــا وقـــر الأسمـــاع إلاّ صـــليلها
وقـــال امســـحوها اليـــوم عميـــاء مـــن جـــوىً ... بشـــلاّء فيهـــا لم يُكفكـــفْ همولهـــا
فـــذاك علـــى الأعـــواد ســـيدُ هاشـــمٍ ... بجنـــب العُلـــى منـــه مســـجى كفيلهـــا
وذي هاشـــمٌ جـــاءت بأثقـــال همّهـــا ... ومهـــديّها محمولـــة لا حمولهـــا
نضـــتها الســـرى أســـيافَ مجـــدٍ صـــقيلةً ... وعـــادت وفي قلـــب المعـــالي فلولهـــا
مضـــت بـــأبٍ للمكرمـــات يؤمُهـــا ... وكـــان بـــأمّ النائبـــات قفولهـــا
أمـــا وســـريرٍ تحتـــه قـــد تزاحمـــت ... فطاشـــت كمـــا طاشـــت خطاهـــا عقولهـــا
لقـــد هالهـــا الإقـــدام فيـــه لتربـــةٍ ... علـــى روحهـــا بـــالراحتين تهيلهـــا
فقـــد قـــبرت في اللحـــد واحـــد عصـــرها ... وأقســـم مـــا المقبـــورُ إلاّ قبيلهـــا
تجللتهـــا يـــا دهـــرُ ســـوداء فـــانطوت ... عليـــك ليـــوم النشـــر تضـــفو ذيولهـــا
حطمـــت بهـــا قســـراً عـــرانينَ هاشـــمٍ ... فقـــدها تســـاوي صـــعبُها وذلولهـــا
وقـــل لعـــوادي الحتـــف شـــأنك والـــردى ... مضـــى الفضـــلُ والبـــاقون منهـــا فضـــولها
فمـــا جولـــة عنـــد الـــردى فـــوق هـــذه ... فنخشـــاه يومـــاً في كـــريم يجولهـــا
ويـــا رافعيـــه في الأكـــفّ نصـــبتمُ ... بهـــا علمـــاً يشـــأى العُلـــى ويطولهـــا
قفـــوا وانظـــروا كيـــف الـــورى لـــو تحاشـــدت ... وضـــاق بأبنـــاء الســـبيل ســـبيلها
تشـــيّع نعشـــاً لـــيس تـــدري إمامهـــا ... إلى القـــبر محمـــولٌ بـــه أم رســـولها؟

فـــتىً طبَّـــق الـــدنيا عـــلاءً وعمَّهـــا ... ســـخاءً وأبقـــى بعـــده مـــن يعولهـــا
كفـــى خلفـــاً منـــه بأشـــبال مجـــده ... وهـــل تخلـــف الآســـاد إلاّ شـــبولها؟
مصـــابيحُ رشـــدٍ والمصـــابيح في الـــورى ... يكـــون إليهـــا لـــيس عنهـــا عـــدولها
فشـــمسُ الهـــدى والأمـــر للّـــه إن تغـــبْ ... وراع الـــورى شـــرقاً وغربـــاً أفولهـــا[1]
فـــــدونكها موروثـــــةَ نبويَّـــــةً ... وخلفَـــك باغيهـــا فللأسُـــد غيلهـــا
إمامـــة حـــقٍ إن تكـــن أمـــس ودعـــت ... أباهـــا فعنـــد اليـــوم نـــاب ســـليلها
ســـتعلم روادُ الشـــريعة إذ جـــرت ... بسلســـلٍ علـــمٍ فيـــك مـــا سلســـبيلها
لقـــد سمعـــت بـــالوحيِ تنزيـــلَ آيهـــا ... وســـوف تـــرى مـــن فيـــك كيـــف نزولهـــا
ألا إنّمـــا[2] العليـــا قواعـــدُ ســـؤددٍ ... لـــك اللهُ أرســـاها فمَـــنْ ذا يزيلهـــا
ومجـــد قـــدامى الفخـــر مـــدَّ علـــى الـــورى ... سمـــاءً لهـــا عـــرض الســـماء وطولهـــا
عفـــاةَ الـــورى لا يقعـــد اليـــأسُ فـــيكم ... فأثقـــال أهـــل الأرض قـــام حمولهـــا
أبـــلٍّ بـــني فهـــرٍ لواشـــجةٍ حشـــا ... إذا الشـــتوةُ الغـــبراء هـــبَّ بليلهـــا
أتـــى باليـــد البيضـــاء تقطـــر نعمـــةً ... وبالطلعـــة الغـــرّاء يهـــدى جميلهـــا
لقـــد جـــاء في عصـــرٍ بـــه عقـــر النـــدى ... ســـوى مذقـــةٍ يعـــي الرجـــاءَ حصـــولها
فمـــا هـــو إلاّ (صـــالحٌ) و(ثمـــودُه) ... وبـــالجود إلاّ ناقـــةٌ وفصـــيلها
أنـــر يـــا (أبـــا الهـــادي) دجـــى كـــلِّ مشـــكل ... فمـــا شـــبهةٌ إلاّ وأنـــت مزيلهـــا
وأمطـــر بنانـــاً يـــا (محمـــدُ) في الـــورى ... وقـــد روَّضـــوا حـــالاً توالـــت محولهـــا
فأقســـمُ لـــو لم تـــرو عاطشـــة المـــنى ... لـــدبّ بأغصـــان الرجـــاء ذبولهـــا
صـــنايع مـــن عـــرفٍ لنـــا بـــك فخرهـــا ... وللنـــاس مشـــكوراً لـــديك جزيلهـــا
قـــد[3] اكتســـت الـــدنيا فتاهـــت بزهوهـــا ... خلائـــقَ أخـــلاقُ الرجـــال سمولهـــا
إذا اســـتبقت فهـــرٌ بفخـــرك في مـــدىً ... غـــدت غـــررُ العليـــا لهـــا وحجولهـــا

---

١ - في المخطوط: أشرافها وأصيلها.

٢ - في المخطوط: إنّها.

٣ - وفي المطبوع: لك. ولعلّ الأنسب من الروايتين: بك.

ولـــيس الخطـــاب الفصـــلُ إلاّ مقالـــة ... لســـانُ قـــريشٍ وهـــو أنـــت قؤولهـــا

بـــك ارتـــاش عافيهـــا وقـــرّ مروعهـــا ... وأُدنى قاصـــيها[1] وعـــزّ ذليلهـــا

ومـــا قصـــرتْ بـــاغُ العُلـــى عـــن رزيّـــةٍ ... رغـــت كرغـــاء المـــثقلات[2] نكولهـــا

وذا (صـــالحٌ) الـــدنيا وأنـــت كلاكمـــا ... تمـــدان منهـــا و(الحســـينُ) مطيلهـــا

فـــتىً لا أقـــول الغيـــثُ يحكـــي بنانـــه ... سماحـــاً لأن الغيـــثَ فيـــه عـــذولها

شمائلـــه تحكـــي النســـيمَ لطافـــةً ... وأخلاقـــه الصـــهباء رقَّـــت شمولهـــا

بـــني الغـــالبيين الـــذين أكفُّهـــم ... تريـــك الغـــوادي الغـــرَّ كيـــف مخيلهـــا

ألســـتم لقـــومٍ تمـــلأ الأرض[3] رجفـــةً ... إذا هـــي للهيجـــاء ســـار رعيلهـــا؟

ضـــراغمُ تخشـــى رقـــدة المـــوت مـــن غفـــا ... إذا اســـتيقظتْ للضـــرب يومـــاً نصـــولها

يطـــول نعـــيُ الثـــاكلات لقومهـــا ... إذا صـــهلت للطعـــن شـــوقاً خيولهـــا

بهاليـــلُ أمّـــا هجـــرت يـــوم معـــركٍ ... فتحـــت ظبـــات[4] المشـــرفيّ مقيلهـــا

لهـــا الحـــربُ لم تـــبرحْ تقلِّـــل عـــدَّها ... ويكثـــر في عـــين العـــدوّ قليلهـــا

لكـــم صـــبرُها تحـــت الســـيوف وحلمهـــا ... إذا نـــوبُ الـــدهر أرجحـــنَّ جليلهـــا

فمـــا شـــيمةُ الحسّـــاد فـــيكم وليتهـــا ... عفـــت كعفـــوِّ المجـــد منهـــا طلولهـــا

وقـــدركم في المـــوت يعلـــو نباهـــةً ... ومـــا المـــوت كـــلُّ المـــوت إلاّ خمولهـــا

ألا أنـــتم القـــوم الـــذين قبـــابُهم ... علـــى شـــهب الخضـــراء ترخـــى ســـدولها

فـــروع عُـــلاً لا يـــدرك الـــوهم طـــائرا ... ســـوى إنّهـــا فـــوق الســـماء أصـــولها

لهـــا فـــوق أهـــل الأرض مجـــدٌ تكافـــأت ... عمومتهـــا في فخـــره وخؤولهـــا

خـــذوها بـــني العليـــاء (خنســـاء) عصـــرها ... وإلاّ فبنـــت الـــدوح مـــنْ[5] غليلهـــا

---

١ - في مخطوطة الملاّ: وأدنى أقاصيها.

٢ - في المخطوط: المشكلات.

٣ - في المطبوع: الدهر.

٤ - في المخطوط: طباق. والأنسب ما في المطبوع.

٥ - في المطبوع: خرّ. ولعلّ الأنسب من الروايتين: حرّ أي: اشتدّ عطشها.

فلـــو أنّهـــا ناحـــت لصـــخر أرتْكـــه تفطّـــرُ ممّـــا قـــد شـــجاه هـــديلها
لهـــا قـــربُ عهـــدٍ بـــالولادة لا تخـــل أتـــى قبـــلُ أو مـــن بعـــدُ يـــأتي مثيلهـــا
تطـــول قـــوافي الشـــعر منهـــا قصـــيدةٌ (زهـــــيرُ) بحوليّاتـــــه لا يطولهـــــا
ألا إنّمـــا يبقـــى الهـــدى ببقـــائكم فســـؤلُ المعـــالي أن تـــدوم ســـؤولها[1]

وقال راثياً العلاّمة السيد ميرزا جعفر القزويني:

عـــودي بطرفـــك يـــا قـــريشُ كلـــيلا وبعزمـــك امـــتلأت ظبـــاه فلـــولا
فعلـــى الـــرؤوس رفعـــت فخـــركِ ميّتـــا ودفنـــتِ مجـــدك في الصـــعيد أثـــيلا
واهـــاً لكاهلـــك الأجـــبّ لقـــد شـــأى وقـــراً علـــى ظهـــر الزمـــان ثقـــيلا
خفَّـــتْ حلـــوم بـــني أبيـــك بســـاعةٍ ذهبـــت بحامـــل ثقلهـــا محمـــولا
بمقلّـــبٍ وســـطَ النـــديّ أنـــاملا لم تـــدرِ إلاّ الرفـــدَ والتقبـــيلا
نســـيتْ بـــه الأرزاء بـــل ذكـــرت بـــه رزَ (الحســـين) غـــداة خـــرَّ قتـــيلا
رفعتـــه والتكبـــير بالعشـــر الـــتي قتلـــوا بهـــا التكبـــير والتهلـــيلا

وقال راثياً ولده سليمان:

همـــومٌ نـــوى الـــبرُ منهـــا ارتحـــالا فـــلا تبعـــث الـــداء إلاّ عضـــالا
وطفـــلُ الأســـى لم يجـــدْ مـــن رضـــاع حشـــا حالـــب الفضـــل يومـــاً فصـــالا
عفـــاءً علـــى الـــدهر مـــن نـــاقصٍ علـــى الكـــاملين تجـــنّى خبـــالا
أجـــال علـــيهم خيـــول الخطـــوب ولـــو مثّلـــت لاســـتقالوا قبـــالا
ولـــو عـــرف الـــدهرُ قـــدر الكـــرام لكـــفَّ غدائـــذٍ مـــا أجـــالا
غـــزاني بملمومـــة النائبـــات وعـــاد بإنســـان عيـــني نفـــالا
فـــروَّع سمعـــي بصـــوت النعـــيّ ورنَّـــق مـــن صـــفو وردي ســـجالا

---

١ - كذا في الأصل والمطبوع.

فبتُّ وفي مقلتي عائرٌ ... حمى جفنها بالكرى الاكتحالا

وقائلة ليس سمعي لها ... وبعضُ المقال أراه محالا

أجدّك من عاتبٍ ما تزال ... تذمُّ من الدهر هذي الخصالا

أقلْ عثرةَ الدهر أو لا تقل ... فليس يبالي بأن لا يقالا

أتجزع للبين مستثقلا ... وأنت حجى تستخف الجبالا؟

تماسكْ ولا تبتذل أدمعا ... حماها وقارُك عن أن تذالا

فقلت وعيني أسىً تستهلُّ ... كمحتفل الودق مرخى العزالا

أآمنة السرب كفّي الملامَ ... ضلالاً لرأيكِ منّي ضلالا

فما نفحةٌ من رياض الصبا ... لها أرجٌ للقلوب استمالا

بأطيب من تربةٍ ضمّنتْ ... على رغم أنفي منّي هلالا

نشدتكَ يا دهرُ ألاّ أعرتَ ... مسامعك اليوم منّي مقالا

أعن سفهٍ منك للأكرمين ... تركّبُ غدركَ حالاً فحالا

وتزجى الخطوب ثقالاً لكي ... لهم تستخفُ حلوماً ثقالا

وأنّى يزاول نملُ القرى ... جبالَ شروري فتخشى زيالا؟

وتعجم يا دهرُ في ماضغيك ... من عود عليهم ما استطالا

وهل زبرةٌ عضها أدردٌ ... فآثر أو نال منها منالا

تعلّم لك السوء من ناقصٍ ... عدا طوره وتمنّى محالا

بأنّ الأماجد صبرٌ ولو ... بدهتهم بالخطوب اغتيالا

وقال راثياً الشاعر الشيخ صالح الكوّاز[1]، ومعزّياً السيد مهدي القزويني:

كلَ يومٍ يسومني الدهرُ ثكلا ... ويريني الخطوبَ شكلاً فشكلا

وبصبري يجدُّ خلف حبيبٍ ... منه طرفي لا القلب يخلو محالاّ

---

١ - ترجمت له في كتابي شعراء الحلّة ٣ / ٦٤ - ٩٨.

أودع الأرض شخصه ثمّ أدعو ... أين ركبُ المنون فيك استقلاّ؟
يا عذولَي صبابتي علمّاني ... كيف تسلي الهموم لا كيف تسلى؟
خلياني من مورد الصبر إنّي ... قد وردت الأشجان عُلاً ونهلا
كم أخٍ شدَّ ساعدي بأخيه ... بعده قد صحبتُ باعاً أشلاّ
وقريبٍ إليَّ أبعده الموتُ ... وكم أبعدت يدُ الموت خلاّ
وعزيزٍ عليَّ أرخصَ دمعي ... وهو عندي من نور عينيّ أغلى
إخوتي إخوةُ الصفاء درجتم ... فبمَنْ لا بمَنْ همومي تُجلى
مضَّني فقدُكم ولا كفقيدٍ ... كبر الخطبُ فيه عندي وجلاّ
إن تكن بغَّضت نواكم فؤادي ... فنواه مضتْ به اليوم كلاّ
يا دفيناً بتربةٍ تخذتها ... أعينُ الحور موضع الكحل كحلا
ثكلُ أمّ القريض فيك عظيمٌ ... ولأمّ الصلاح أعظم ثكلا
ما عركن الخطوب صبرَك إلاّ ... حسبت أنّها جلت لك نصلا
قد لعمري أفنيت عمرك نسكا ... وشحنت الزمانَ فرضاً ونفلا
وطويت الأيام صبراً عليها ... فتساوت عليك حزناً وسهلا
طالما وجهك الكريمُ على الله ... به قوبل الحيا فاستهلاّ
إن تعشْ عاطلاً فكم لك نظمٌ ... بات جيدُ الزمان فيه محلّى
ولك السائراتُ شرقاً وغربا ... جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا
كم قرعن الأسماعَ بيتاً فبيتا ... فأفضن العيون سجلاً فسجلا
كنت أخلصتَ نية القول فيها ... فجزاك (الحسين) عنهنّ فعلا
فهي الصالحات بعدك تبقى ... بلسان الزمان للحشر تتلى
يا أمنت الروائعَ أنعمْ بدارٍ ... قد أُعدَّت للمتقين محلا
أنت أهلٌ وقد علمت بأن لي ... س يُضيع الباري لمثلك أهلا
هاهم قد تفيئوا ظلّ مَنْ كا ... ن على العالمين لله ظلاّ

ذاك (مهـــديُّ) شـــرعة الحـــق والـــ قـــائمُ فيهـــا بالصـــدق قـــولاً وفعـــلا
مَـــنْ إذا جـــاد واهبـــاً جـــاد وبـــلا وإذا قـــال ناطقـــاً قـــال فصـــلا
أســـــدٌ رشَّـــــح الإلـــــهُ بنيـــــه لعـــرين الآســـاد شـــبلاً فشـــبلا
علمـــاءُ الهـــدى دعـــائم ديـــن اللّـــ ـــــه حفّاظُـــه وناهيـــك فضـــلا
وســـقى اللهُ (صـــالحاً) غيـــث لطـــفٍ بشـــآبيب عفـــوه مســـتهّلا

وقال راثياً الحاج محمد عوض وقد سأله أخوه أحمد عوض ذلك:

لـــو بـــرَّد العـــذلُ مـــن غليلـــي لم أحـــم سمعـــي عـــن العـــذولِ
لام خلـــيُّ الحشـــا فقلـــبي مـــلآنُ مـــن دائـــي الـــدخيلِ
أثكلـــني الـــدهرُ وهـــو لاهٍ لم يـــدرِ مـــا لوعـــةُ الثكـــولِ
لـــو صـــدعت نكبـــتي حشـــاه إذا كســـا جســـمه نحـــولي
يقـــول مـــالي أراك حزنـــا تحـــنُّ كالوالـــه العجـــولِ
تعـــزَّ إنَّ العـــزاء أولى بشـــيمة الكامـــل النبيـــلِ
فقلـــت عـــنّي وهـــل لغـــيري يـــا لائمـــي رنـــةُ العويـــلِ؟
قلـــبي بالصـــبر كـــان ســـيفا وامـــتلأ اليـــوم بـــالفلولِ
معلّلـــي بـــالعزاء رفقـــا تحنـــو علـــى قلـــبي العليـــلِ
كـــذبت لـــو قـــد عنـــاك وجـــدي مـــا نمـــت عـــن ليلـــي الطويـــلِ
أســـأل عـــن صـــبري الجميـــل بعـــد افتقـــادي (أبـــا خليـــلِ)
قضـــى بحجـــر النهـــى عزيـــزا والمـــوت ضـــربٌ مـــن الخمـــولِ
ولم تغمِّـــضْ لـــه جفونـــا إلاّ يـــدا مجـــده الأثيـــلِ
وغســـلته العُلـــى وقالـــت: بوركـــت مـــن طـــاهرٍ غســـيلِ
ثمّ نعـــت: أيّهـــا المســـجّى والحمـــدُ في بـــرده الجميـــلِ
أمـــا تـــرى (أحمـــداً) ينـــادي يـــا مقلـــتي في الـــدموع ســـيلي

ومنـــــك ينعـــــي علـــــى نجيـــــبٍ قـــــرمٍ لأثقالـــــه حمـــــولِ
يقـــــول يـــــا منهضـــــي برفـــــقٍ مـــــن عثـــــرة الـــــدهر مـــــن مقيلـــــي
أصـــــول فـــــيمَنْ علـــــى زمـــــاني يـــــا دافـــــني ســـــيفي الصـــــقيلِ
وهـــــذه المكرمـــــاتُ تنعـــــى فـــــتخلط النعـــــيَ بالعويـــــلِ
قـــــد حملـــــوا واحـــــدي بـــــنعشٍ خـــــف بعـــــبء النهـــــى الثقيـــــلِ
يـــــا راحـــــلاً للبلـــــى إلى مَـــــنْ بعـــــدك بـــــين الـــــورى رحيلـــــي
منـــــك ربـــــاعُ العُلـــــى برغمـــــي خلـــــت ورغـــــم الحجـــــى الأصـــــيلِ
زهـــــت زمانـــــاً بهـــــا الليـــــالي والســـــعدُ في ظلّهـــــا الظليـــــلِ
وغـــــرُّ أيامهـــــا حســـــانٌ تمـــــرُّ وضـــــاحة الحجـــــولِ
والنـــــاسُ مـــــن رائـــــحٍ وغـــــادٍ يثـــــني بمعروفهـــــا الجزيـــــلِ
واليـــــوم ذاك الثنـــــاءُ أضـــــحى نوحـــــاً علـــــى رزءه الجليـــــلِ
كنـــــت (لشـــــبليَّ) أمـــــس أنعـــــى واليـــــوم أنعـــــى أبـــــا الشـــــبولِ
تتـــــابعوا للمنـــــون عـــــنّي تتـــــابعَ الشـــــهب للأفـــــولِ
جفـــــاهم الـــــدهرُ بعـــــد وصـــــلٍ والـــــدهرُ كالعاشـــــق الملـــــولِ
لم يبـــــقَ إلاّ القليـــــلُ مـــــنهم والخـــــيرُ في ذلـــــك القليـــــلِ
فـــــروعُ مجـــــدٍ شـــــذا علاهـــــم يشـــــهد بالطيـــــب للأُصـــــولِ
مـــــن (أحمـــــدٍ) قـــــدرُه علـــــيٌّ ومـــــن أخٍ للنهـــــى خليـــــلِ
قبيلـــــة المجـــــد مَـــــنْ ســـــواكم لم يعـــــرف المجـــــد مـــــن قبيـــــلِ
عـــــذراً إذا لم أقـــــلْ عـــــزاءً مـــــا هـــــذه قولـــــة الثكـــــولِ
وطـــــاب قـــــبرٌ بـــــه تـــــوارى (محمـــــدٌ) ذو الحجـــــى الأصـــــيلِ
أغنـــــاه مـــــا فيـــــه مـــــن سمـــــاحٍ عـــــن ســـــقى جفـــــن الحيـــــا البخيـــــلِ

وقال الشاعر لما توفّي الحاج محمد صالح كبّه: نظمت في رثائه هذه القصيدة،

وذهبت إلى بغداد لتعزية ولديه الحاج مصطفى، والحاج محمد حسن، وأنشادها في ناديهما، وكان قد تأخّر نظمها وذهابي إلى هناك شهراً كاملاً. فكتبت أمام القصيدة هذه المقدّمة الفريدة، وتُليتا معاً؛ وكانت المقدّمة كالاعتذار عن ذلك:

وقفتُ على (الزوراءِ) وهي يتيمةٌ تحنُّ لمِنْ أبقى المعالي ثواكلا
فتنعاه طوراً للفواضل والنهى وطوراً له تنعى النهى والفواضلا

قد شقَّت بيد المصاب جيبها ورثاءها حين أخذت رجفةُ الحزن أحشاءها. وجزَّت بمدية الجزع ناصيتها ولمّتيها، وبادرت حثو التراب على رأسها بكلتا يديها، وغسل الدمعُ من عينها سوادَها؛ فصبغت فيه أبرادها، وبرزت في محفل النياحة. معولة بأعظم المناحة؛ موحشة العبوس والتقطيب. معلنة بالبكاء والنحيب. ما تراءت للعيون ماثلةً إلاّ وأنشأت قائلةً:

بكائي بعيني لم يكفني لمِنْ قطع الدهرُ فيه وتيني
فليت توزع دمعي الأنامُ لأبكي عليه بكلّ العيون

وهي في نعاء قلق الدهر من ضجّته، وبكاء غرق الصبِّ في لجّته، فحين رأيت خطبها عظيماً، وشاهدت كربها جسيماً، مسكت بكفّي رواجف صبري، وطفقت أسألها على سبيل تجاهل العارف كأنّني لست أدري:

فقلتُ على مَنْ رنةُ النوح والبكا فقالت على مَنْ لا ترى الدهرَ مثلهُ
ألَيس أبي ذلك الذي تعهدونه طوت نوبُ الأيام عنّي ظلّهُ
فقلت وعندي من فؤادي بقيَّة خذي يا يد الأحزان قلبي كلّهُ

فما ينطبع في مرآة فكري، ولا يرتسم في لوح صدري أن يروعَ قلبي ما بقيت صوتُ ناعيه، بعد أن ملأت مسامعي رنّة هذه الواعية التي ضرب فيها بازلُ الحزن بحرانه صدر باحة الكرم، وانقصمت من إلقاء كلكله عليها فقارةُ ظهر الشرف الأقدم، ورباعُ السؤدد أضحت فيها ثميلة الدموع محلولة

الوكاء، بعدما كانت مطولة الربع بمخيلة السخاء، وغادر رواق المجد محفلاً للنوح والرثاء، بعدما كان محلاً للمدح والثناء:

عـــادت مراثـــي تهنيـــات العُلـــى ينصـــدع القلـــب بإنشـــادها
قـــد رحـــل اليـــوم ســـرور الـــورى فلتلتمســـه يـــوم ميعادهـــا
قـــد دفنـــت تحـــت الثـــرى عيـــدها وأبقـــت النحـــرَ لأكبادهـــا
فـــلا ازدهاهـــا يـــوم (نوروزهـــا) ولا أتـــى (الفطـــرُ) بإســـعادها

بمَنْ تسرُّ أو تسعدُ ما بقي الدهر والذي كانت علياه عليه، وعينُ رجائها ممدودة إليه، قد أُدرج والتقوى في طاهر بردٍ، ووسُّد والصلاح في لحدٍ، ولقد هممت أن أعقل لسان هذه الثاكلة، وأواري شخص هذه النائحة الماثلة؛ لتأخّر زمانها، وعدم مبادرتها كأمثالها من أترابها وأخدانها، ولقولهم: إن قدمت المرزية، سمجت التعزية.

فقلت: لا وأدمعك الغزار، لا يقرُّ لي قرارٌ دون ما أنوح عليه بما يكون كالمثل السائر في نعوت فلك مصابه الدائر، أبتلك المراثي يناح دوني عليه؟ فتكون كفءً لعظيم مصابه وإن تقدّمتني إليه، فإليك عنّي إنّ الكلم رحيبٌ، وما المصاب كمَنْ يأمل أن يصيب، وربَّ نائحةٍ وسواها المستعيرة، وليست الثكلى كالمستأجرة، على أنّ كلّ يومٍ يمرُّ من بعده، ولا يُرى فيه فهو يوم فقده.

وأما وأخلاقه الزاهرة، وتربة مرقده الطاهرة التي لا يزال فيها نسيم الرحمة والرضوان يهبُّ أطيب مهبٍّ فيجلب فيه سحائب الغفران، وإن لم يكن هناك ذنبٌ ولكن تركت لي عناني، وأطلقت في ميدان القول لساني، لأنوحنَّ عليه نياحةً ترجف منها الأرض بأوتادها، وتمزّق عليها الدنيا أحشاءها بعد أبرادها، ولأدعنَّ ساعة قيامي بها تشبه قيام الساعة حتى يحطم الدهرُ صدره وأضلاعه، وتقول للخنساء: أين أنت منها، ويا بنت الأراك خلفك عنها، فخلعت عنها عذارها، وتركت لها مضمارها، وأوسعت لها في مجالها،

فافتتحت في عتاب الدهر براعة استهلالها:

يا دهرُ ما شئتَ فاصنع هان ما عظما ... هذا الذي للرزايا لم يدع ألما

رزءٌ تلاقت رزايا الدهر فاجتمعت ... فيه فهوّن ما يأتي وما قدما

ما بال أمُّ الليالي فيه قد حملت ... فليتها وأبا أيامها عقما

لقد تحكَّم في الدنيا فنال بها ... من النواظر والأحشاء ما احتكما

عجَّت ولا كعجيج الموقرات به ... وهل تلام وهذا ظهرُها انقصما

مضى الذي طبقتها كفُّه نعما ... فطبقتها الليالي بعده نقما

الآن غودرت الآمال حائمةً ... وأين في الدهر منها من يبلّ فما؟

وقبَّةُ المجد قد مالت ولا عجبٌ ... فإنَّ أثبت أركان العُلى انهدما

فلينتظم مأتماً عمرُ الزمان لمِنْ ... بالصالحات جميعاً عمرُه انتظما

ولتحتلب عينها الدنيا لمِنْ يدُه ... كانت حلوبة جودٍ تقتل الأزما

وكيف تسأمُ من دمعٍ تتابعه ... ومن متابعة النعماء ما سئما

في الكفّ ما زرعت حسن الرجاء له ... إلاّ وأمطرها من كفّه كرما

يا آخذاً كلَّ قلبٍ في ملامته ... دع الملام وشاطرني الدموعَ دما

واقرع بلومك سمعَ الدهر حيث أتى ... برنَّةٍ تركته يشتكي الصمما

طويتَ من يستظلُّ المعدمون به ... فليت يا دهرُ قسراً ظلُّك انعدما

هل يعلم الزمنُ الغدّار لا علما ... ماذا به هجم المقدارُ لا هجما؟

فأيُّ رزءٍ بأيِّ الناس يكبر في ... صدر الأنام سوى هذا الذي دهما؟

أفي ذوي الحلم فالثاوي زعيمُهم ... أم في بني العلم فالثاوي أبو العلما؟

أم في الأنام جميعاً فالذي افتقدوا ... هو الذي جمعت أبراده الأمُما؟

بل كلُّ ميتٍ له ثلمٌ بحوزته ... لكنَّ في موته الإسلام قد ثلما

قام النعيُ على (دار السلام) له ... فقلت بعدك ليت الكون ما سلما

ما زال بشرُك بالعافين ملتمعا ... حتى تحوَّل في أحشائهم ضرما

وإن بكتـــك فـــلا مـــنٌّ عليـــك لهـــا ... بمـــاء جـــودك جـــاري جفنهـــا انســـجما

هـــذه الـــدموع بقايـــا مـــاء عيشـــهم ... مـن فضـل مـا كنـت تـوليهم عليـك همـى

إن لم تفـض بـك عـن وجـدٍ نفوسـهم ... فسـوف بعـدك مـن قـربٍ تفـيض ظمـا

يـــا راحـــلاً ولســـانُ الحـــال ينشـــده ... وللمقـــال لســـانٌ بالأســـى انعجمـــا

واهـاً (أبـا المصـطفى) مـاذا يقـول فمـي ... ومـا البلـى منـك أبقـى للجـواب فمـا

المـوت حـتمٌ وإن كـان المـنى لـك أن ... تبقـى ولـو جـاوزت أيامُـك الهرمـا

لكـــن أتقضـــي بحيـــث الشـــمُّ راغمـــةٌ ... مـــن أزمـــةٍ لم تـــدع في معطـــس شمـــا

هـــلاّ بقيـــت لهـــا في هـــذه الســـنة الـــ ... شـــهباء تحفـــظ مـــن أمجادهـــا الحرمـــا

أحـــين فيهـــا اقشـــعرّ العـــام وانبعثـــت ... غـــبراء أمحلـــت الغيطـــان والأكمـــا

تمضـــي وتتركهـــا في عـــام مســـغبةٍ ... فمَـــنْ لهـــا وإلى مَـــنْ تشـــتكي القحمـــا

أوقـــتُ موتـــك هـــذا والـــورى حشـــدت ... هـــذي الخطـــوب عليهـــا والـــبلا ارتكمـــا؟

وددت يومـــك لم يجـــرِ القضـــاءُ بـــه ... لـــو كـــان للـــوح أنْ يســـتوقف القلمـــا

حـــتى تُفـــرِّج غمّـــاءَ الجـــدوب كمـــا ... فرَّجـــت مـــن قبلهـــا أمثالهـــا غممـــا

مـــاذا يُـــراد بأهـــل الأرض فابتـــدرت ... دهيـــاءُ يوشـــك أن تستأصـــل النســـما؟

أشـــار ربُّـــك إرســـالَ العـــذاب بهـــا ... لمـــا جنوهـــا ذنوبـــاً تهتـــك العصـــما

فغـــيِّض المـــاء مـــن أنهارهـــا وطـــوى ... بـــالموت شخصـــك عنهـــا والحيـــا انعـــدما

مشـــت بنعشـــك أهـــلُ الأرض تحملـــه ... فخـــفَّ حـــتى كـــأنْ لم يحملـــوا علمـــا

ومـــا دروا رفعتـــه مـــن كرامتـــه ... أهـــلُ الســـماء علـــى أكتافهـــا عظمـــا

لم يرفعـــوا قـــدماً إلاّ وقـــد وضـــعتْ ... مـــن قـــبلهم غـــرُّ أمـــلاك الســـما قـــدما

كـــأنَّ نعشـــك محمـــولٌ بـــه ملـــكٌ ... وخلفـــه العـــالمُ الأعلـــى قـــد ازدحمـــا

شـــاروا بهـــا وسمـــاءُ الـــدمع ترســـلها ... لـــك النـــواظرُ مـــدراراً ولا ســـأما

وهـــبَّ حـــين التقـــى مـــاءُ العيـــون علـــى ... أمـــرٍ نـــزا منـــه قلـــب المـــوت[1] واضـــطرما

---

١ - في المطبوع: الدهر.

فكنت (نوحاً) وكان الفلك نعشك والـ ... طوفانُ فائرَ دمعٍ أغرق الأُمما
إنْ يحملوك على علمٍ فما حملوا ... إلاّ الركانة والأخطارَ والهمما
أو يدفنوك على علمٍ فما دفنوا ... إلاّ المحاسنَ والأخلاق والشيما
أو ينفضوا الكفَّ من ترابٍ به دفنوا ... ميتاً فتربُك بالأفواه قد لُثما
كأنَّ قبرك فوق الأرض نجمُ سما ... أو أنّه في ثراه حلَّ نجمُ سما
يا نازلاً حيث لا صوتي يلمُّ به ... عليك أمُّ المعالي جزَّت اللمما
واستوقفت بحشاها الركب في جدثٍ ... بجود كفّك لا بالغيث قد وسما
نادت بشجوٍ خذوا لي في حقائبكم ... حشاشةً ملئت من وجدها سقما
قفوا بها واعقروها وانضحوا دمها ... على ثرىً أمس قد واروا به الكرما
وقفت بعدك و(الزوراء) أنشدها ... أين الذي كان للآجين معتصما؟
وأين مَنْ يزهر النادي بطلعته ... للزائرين ويجلو عنهم الغمما؟
ومَنْ بنى لقرى الأضياف دار عُلا ... عمادُها الفخر فيه طاولت إرما
ومَنْ تُردُّ جميع المشكلات له ... إذا القضية أعيا فصلُها الحُكما
وأين للشتوة الغبراء مَن كرما ... ما قطَّب العام إلاّ ثغرُه ابتسما؟
وأين مَنْ كان للعافين يلحفها ... جناحَ رحمته ما دهرُه أزما؟
لا فرق ما بين أقصاها إذا نسبا ... عنه وما بين أدناه له رحما
وأين مَنْ ليتامى الناس كان أبا ... في بره قد تساوت كلهُم قسما؟
في فقد آبائها لليتم ما عرفت ... لكنّها عرفت في فقده اليُتما
أحببت في الله كتمان الصنيع ولا ... يزداد إلاّ ظهوراً كلّما كتما
مَنْ كان يحلف أن لم يعتلقْ أبدا ... إثمٌ ببردك لم يحنث ولا أثما
ألا وقتك حشا العافين صائبةً ... ولا وقاءً إذا رامى القضاء رمى
وهل توفيِّك شكر المنعمين وقد ... طوَّقت حيّاً وميتاً جيدها نعما؟

بـــالأمس وجهـــك يستســـقي الغمـــامُ بـــه ... واليـــوم قـــبرُك تستســـقي بـــه الـــديما

وكنـــت ريَّ صـــداها فاســـتنبت لهـــا ... ممّـــنْ ولـــدت بحـــاراً للنـــدى فعمـــا

فـــأين مثلـــك تلقـــى النـــاسُ ذا كـــرمٍ ... ومنـــك في حالـــة مـــا فـــارقوا الكرمـــا؟

يـــا غائبـــاً مـــا جـــرت في القلـــب ذكرتُـــه ... إلاّ ترقـــرق دمـــعُ العـــين وانســـجما

لا غـــرو أن يعقـــد الإســـلامُ حوزتـــه ... جميعهـــا مأتمـــاً يـــوري الحشـــا ضـــرما

فالثاكـــل الـــدينُ والمثكـــولُ شخصـــك والـــ ... نـــاعي الهـــدى والمعـــزِّي خـــاتمُ العلمـــا

(محمـــدٌ حســـنٌ) نظـــم الثنـــاء لـــه ... فقـــلُّ في ســـلك تقـــواه مَـــنْ انتظمـــا

ســـقت ضـــريحك مـــن جـــدواك واكفـــةٌ ... وطفـــاءُ ترضـــع درّاً مـــا الحيـــا فطمـــا

أعيـــذ قلبـــك أن يهفـــو بـــه حـــذرٌ ... علـــى المكـــارم أو يغـــدو لهـــا وجمـــا

طـبْ في ثـرى الأرض نفسـاً لا النـديُّ خـلا ... مـــن الوفـــود ولا عهـــدُ النـــدى انصـــرما

قامـــت مقامـــك فيـــه فتيـــةٌ ضـــربتْ ... علـــى الســـماء لهـــا علياؤهـــا خيمـــا

وكيـــف يُظلـــمُ ربـــعٌ مَـــنْ عُـــلاك بـــه ... (أبـــو الأمـــين) ســـراجٌ يكشـــف الظلمـــا

بقيـــةٌ مـــن أبيـــك (المصـــطفى) رفعـــت ... بـــه عـــلاه وفيـــه مجـــدُه دعمـــا

أحـــبَّ قربـــك واســـتبقاه خالقُـــه ... ركنـــاً تطـــوف بـــه الآمـــالُ مســـتلما

وأنـــت يـــا حـــرم المجـــد المنيـــف عُـــلاً ... لا راعـــك الـــدهر وأســـلم للعُلـــى حرمـــا

إنْ يوحشـــنَّك مـــا مـــن بـــدرك انكتمـــا ... فليؤنســـنَّك مـــن نجميـــه مـــا نجمـــا

لـولا ابنـه (المصـطفى) للجـود قلـت شـكت ... مـــن بعـــد إنســـانها عـــينُ الرجـــاء عمـــى

نـــدبٌ بـــه فـــتح المعـــروفُ ثانيـــةً ... مـــن بعـــدما بأبيـــه أولاً حتمـــا

مَـــنْ يلقـــهِ قـــال هـــذا في شمائلـــه ... (محمـــدٌ صـــالحٌ) أن يغتـــدي علمـــا

حلـــوُ الخلائـــق في جيـــلٍ لهـــم خلـــقٌ ... لـــو مـــازج الكـــوثر الخلـــديَّ مـــا طعمـــا

مـــا شـــاهدتْ عظمـــاءُ الأرض هيبتـــه ... إلاّ وطأطـــأت الأعنـــاق والقممـــا
والمشـــتري الحمـــد والأشـــرافُ أكســـبها ... لجـــوهر الحمـــد أغلاهـــا بـــه قيمـــا
مَـــنْ لـــو يجـــود لعـــافٍ في نقيبتـــه ... لم يقـــرع الســـنَّ في آثارهـــا نـــدما
لـــو قـــال قـــومٌ نـــرى بـــالجود مشـــبهه ... لقلـــتُ هـــاتوا وعـــدُّوا العـــرب والعجمـــا
أســـتغفرُ الله إنْ شـــبَّهت أنملـــه ... بـــالقطر منســـجماً والبحـــر ملتطمـــا
نعـــم حكـــاه أخـــوه مَـــنْ بـــه ظهـــرت ... مخائـــلٌ مـــن أبيـــه تفضـــح الـــديما
(محمـــدٌ) وكفـــى أنّ الزمـــان لنـــا ... عـــن منظـــرٍ حســـنٍ منـــه قـــد ابتســـما
إذا بـــدا سمـــت الألحـــاظ ترمقـــه ... تخالـــه بهـــلال العيـــد ملتثمـــا
مـــن لفظـــه العـــذب إن شـــئت الـــتقط دررا ... أو فـــاقتطف زهـــراً أو فـــاقتبس حكمـــا
فـــاهتف بمَـــنْ مـــات مـــن أهـــل العـــلاء وقـــل ... لـــولا الـــردى لا افتضـــحتم فاشـــكروا الرجمـــا
قـــد أطلـــع المجـــدُ في أفـــق العُلـــى قمـــرا ... يـــا فرحـــة الشـــهب لـــو تغـــدو لـــه خـــدما
أمـــات نشـــر مســـاعيه مســـاعيكم ... حـــتى انطـــوت مـــثلكم تحـــت الثـــرى رمـــا
فلـــو رآه (زهـــير) في شـــبيبته ... إذاً لفـــدّاه واختـــار الفـــدا (هرمـــا)
مـــن دوحـــةٍ مـــا نمـــت إلاّ الغصـــون عُـــلاً ... وكـــلّ غصـــنٍ بمـــاء المكرمـــات نمـــا
كـــارم لهـــا الغيـــث واستشـــهد لهـــا بنـــدي ... الجـــواد ثمّ ارو كيـــف الغيـــث قـــد لؤمـــا
وفـــاخر البـــدرَ في لألاء غرّتـــه ... وحكّـــم الشـــرف الوضـــاح والعتمـــا
واصـــدع بـــنجم العُلـــى (الهـــادي) بطلعتـــه ... دجـــى همومـــك واستكشـــف بـــه الغممـــا
ومـــن (أمـــين) النـــدى فاعقـــد يـــديك علـــى ... أوفى البريَّـــة في أوفى النـــدى ذممـــا
يـــا أســـرة المجـــد لا زلـــتم بأســـرتكم ... عقـــداً علـــى نحـــر هـــذا الـــدهر منتظمـــا
صـــبراً بـــني الحلـــم إنَّ الحلـــم منزلـــةٌ ... حـــتى لمِـــنْ مـــنكمُ لم يبلـــغ الحلمـــا
وحســـبكم (مصـــطفى) العليـــاء فهـــو لكـــم ... نعـــم الـــزعيمُ بـــه شمـــل العُلـــى التأمـــا

وقال يرثي زعيم العلماء الأعلام الشيخ مرتضى الأنصاري، ويعزّي الحاج محمد صالح كبّه:

قطعت لسانك نفثةٌ من أرقمِ ... أعلمت مَنْ تنعاه أم لم تعلمِ؟
كيف استطعت تدير في فمك اسمه ... ولقد يضيق به فمُ المتكلّمِ؟
يا ناعياً للخلق روح حياتهم ... أملك لساناً لا أباً لك واكظمِ
رفّه على موتى نبلت قلوبهم ... فتنبَّهوا بسهام نعيٍ مؤلمِ
فجميعهم تحت الثرى في ملحدٍ ... وجميعهم فوق الثرى في مأتمِ
دعهم فقد غصُّوا بجرعة ثكلهم ... وإلى الأئمة في نعائك يمِّمِ
وقل السّلام عليكم دُرِس التقى ... وعفتْ معالمه عفوَّ الأرسمِ
والدين هدَّ اليوم دين (محمدٍ) ... ووهت دعائمه بفقد المحكمِ
كان الدليل أقمتموه على الهدى ... علماً يدلُّ على الطريق الأقومِ
والآن لما طوّحته يدُ الردى ... غدت الأنام بمجملٍ مستبهمِ
حميت عليهم للرشاد مطالعٌ ... لا تستبين اليوم للمتوسمِ
غشيتهم سوداءُ أطبق ليلها ... للحشر تلحفهم بليلٍ مظلمِ
يا خيرَ آباءٍ فقدنا برَّهم ... فجعت يتاماكم بأرفق قيّمِ
فطموا فمَنْ لهم بدرّة فيئكم ... أن يرضعوها بعد أكرم منعمِ
حسِّن مقالك ما الأئمّة أهملوا ... أبناءكم فيسوء ظنُ المعدمِ
بل كان شاقهم الإمام (المرتضى) ... ولذاك قيل له على الرحب اقدمِ
ورأوا (محمد صالحاً) من بعده ... لبنيهمُ يبقى فقيل له اسلمِ
دمْ للصلاح وللهداية والتقى ... ولعيلة العافي وحمل المغرمِ
قسماً بهديكَ بل بنسكك بل بمَنْ ... بالفضل خصّك وهو جهدُ المقسمِ
ما فوق ظهر الأرض فوقك مقتفٍ ... أثرَ الأئمّة في تقىً وتكرّمِ
أنت الذي تنميك من سلف العُلى ... زهرُ الوجوه لها المكارم تنتمي

ومعـــذبٍ بعُـــلاك قلـــت وقـــد سمـــا لينالهـــا فـــانحطَّ مـــوطئ منســـمِ
أتعبـــت نفســـكَ لـــيس تعلـــو شـــأوه ولـــو ارتقيـــتَ إلى الســـماء بســـلَّمِ
فاســـلم علـــى الأيـــام ربعـــك آهـــلٌ وعُـــلاك ســـامٍ فـــوق هـــام المـــرزمِ

وقال يرثي الشيخ مهدي ابن الشيخ علي، ويعزّي العلاّمة السيد مهدي القزويني:

مـــلأتْ مكارمُـــكَ البســـيطة أنعمـــا فلـــذلك انعقـــدت لرزئـــك مأتمـــا
ولـــئن غـــدا فـــذا مصـــابُك في الـــورى فالغيـــثُ كـــان لـــه وجـــودك توأمـــا
بـــالأمس قـــد رضـــعت بنانـــك درَّهـــا واليـــوم تحلبهـــا محاجرُهـــا دمـــا
مـــا غُمِّضـــتْ أجفـــان عينـــك عـــن ردىً إلاّ وجفـــنُ الـــدهر غُمّـــض عـــن عمـــى
حلـــب الحمـــام (أبـــا الأمـــين) بـــك الجـــوى شـــطرين صـــابا في الزمـــان وعلقمـــا
فـــأغصَّ في شـــطرِ فمـــا مـــن (هاشـــمٍ) وأغـــصَّ في شـــطر (لجعفرهـــا) فمـــا
قســـم الرزيَّـــة في الســـويّة فيهمـــا فغـــدا كـــلا العبـــأين ثقـــلاً أعظمـــا
أمـــا وســـاعتك الـــتي بـــيلملمٍ زالـــت ومـــا أعـــني ســـواك يلملمـــا
مـــا خلـــت فقـــدَك يســـتقلُّ بثقلـــه ركنـــا زمانـــك ثمّ لم يتهـــدَّما
فلقـــد أطـــلَّ غـــداة يومـــك فـــادحٌ هـــو منـــه في الأرضـــين أعظـــم في الســـما
في نـــاره اســـتوت الأنـــامُ فمـــا دروا أيَّ القلـــوب أحـــقّ أنْ تتضـــرّما
يـــا مَـــنْ أضـــاء بنـــوره أفـــقَ الهـــدى أعلمـــت بعـــدك كـــلّ أفـــقٍ أظلمـــا؟
مَـــنْ ردَّ طرفـــك عـــن فتـــور مغضـــيا ولكـــم لحظـــتُ بـــه الحواســـدَ أرقمـــا
أبكيـــك للإحســـان غـــاض نميـــرُه قســـراً وللآمـــال بعـــدك حوّمـــا
ولطالـــب المعـــروف ألقـــى رحلـــه وأقـــام ميـــتَ العـــزم لا متلوِّمـــا
قطعـــت بـــك الأيـــامُ آمـــالَ الـــورى قطعـــت ولا وصـــلت لكفّـــك معصـــما
ولقـــد ســـددت فـــمَ النعـــيِّ بأنمـــل رجفـــت ولم أملـــكْ بهـــنَّ لـــه فمـــا

فـــأقرَّ في سمعـــي أمـــضُّ قـــوارعٍ نفـــذت فكانـــت في فـــؤادي أســـهما
ينعـــي جفونـــاً كـــان يرخيهـــا التقـــى بـــأبي جفونـــك مـــا أعـــفَّ وأكرمـــا
وأنـــاملاً منهـــا بـــأعظم كلفـــةٍ عـــبر الحمـــامُ إليـــك بحـــراً مفعمـــا
رفعـــوك والبركـــات عـــن ظهـــر الثـــرى وطـــووك واللمعـــات عـــن وجـــه الســـما
دفنـــوك وانقلبـــوا بـــأعظم حـــيرةٍ فكأنّمـــا دفنـــوا الكتـــاب المحكمـــا
لـــولاك يـــا (مهـــديُّ) آل (محمـــدٍ) ظلـــوا بمجهلهـــا الطريـــقَ الأقومـــا
أشـــرقتَ شمســـاً في بـــروج سمـــا الهـــدى فأضـــأتها وولـــدت فيهـــا أنجمـــا
لـــولاك مـــا وجـــدت ولـــولا (جعفـــرٌ) مـــن مـــذهب للحـــق يـــرغم مجرمـــا
أقســـمتُ بالشـــرف الـــذي هـــو طبعـــه وعلمـــت ذلـــك جهـــدَ مَـــنْ قـــد أقســـما
لقـــد احتمـــت منـــك الشـــريعة في فـــتىً لا تســـتبيح يـــد النوائـــب مـــا حمـــى
وإذا ذوو الفضـــل اســـتوت أقـــدامُهم وجـــدوه أحـــرى القـــوم أنْ يتقـــدَّما
ومـــن الســـكينة والوقـــار ســـكوتُه وإذا تكلَّـــم لم تجـــدْ متكلّمـــا
هـــو خـــيرُ مَـــنْ نمـــت العـــلاء وآلـــه مـــن ذروة (الجـــوزاء) أشـــرف منتمـــى
(الجعفـــريين) الـــذين بمجـــدهم ركبـــوا مـــن الشـــرف الســـنامَ الأعظمـــا
رفعـــوا علـــى أُولى الزمـــان رواقهـــم وتوارثـــوا فيـــه العـــلاء الأقـــدما
بالســـيد (المهـــديِّ) ثمّ (بجعفـــرٍ) وبهـــم أنـــار اللهُ مـــا قـــد أبهمـــا
يـــا موصـــلاً مـــنّي رســـالة ذي حشـــا ظمئـــت إلى ذاك الـــرواء ولا ظمـــا
بلّـــغ بلغـــت الخـــيرَ خـــيرَ موسَّـــدٍ جـــدثاً بـــه دفنـــوا الصـــراطَ الأقومـــا
يـــا بـــدرُ إن تـــك قـــد أفلـــت فـــلا تخـــلْ بـــرجَ الهدايـــة منـــك بعـــدك أبهمـــا
فلقـــد ولـــدت بـــه كواكـــب لم تلـــدْ مـــثلاً لهـــا أمُّ الكواكـــب في الســـما
لـــو عـــدتَ للـــدنيا ومَـــنْ لزمانهـــا بـــك أن تعـــود فيغتـــدي متبســـما
لرأيـــت (صـــالحها) معينـــاً للعُلـــى مـــولىً لـــه الـــدهرُ اغتـــدى مســـتخدما
وتلطّفـــت وطفـــاءُ تحلبهـــا الصَـــبا بثـــرىً حـــواك فضـــمَّ عضـــباً مخـــذما

أفصحتُ عن وجدي إليك بدعوةٍ رُبَما ذممت بها الزمان الأعجما
قد كنتَ لي بجميل ذكرك مالكا فلئن بقيتُ لأنسين (متمما)

وقال يرثي الشيخ حسين الطريحي[1]، ويعزّي أخاه الشيخ محمد، والعلاّمة السيد مهدي القزويني:

وأبيك لا حيٌّ يدومُ فعلام ترمضك الهمومُ؟
لا تجزعنَّ لضاعنٍ وانظر هديت مَنْ المقيمُ
إنّا بنو الدنيا تطيبُ لنا ومربعُها وخيمُ
نرجو الشفا لسقيمنا وصحيحنا فيها سقيمُ
ونروم أن نبقى بها والموتُ غايةُ ما نرومُ
هذا (الحسينُ) وكان يسـ تسقي بطلعته الغيومُ
سائل به محرابَه إن شئتَ فهو به عليمُ
يخبرك كم بسناه أمـ سى يزهر الليلُ البهيمُ
متهجداً لله ودَّت لثمَ مسجده النجومُ
هو واحد التقوى الذي هي بعد مولده عقيمُ
رحل الحمام به فتلك معالم التقوى رسومُ
رُفعتْ برفع سريره الـ بركات وافتُقدَ النعيمُ
حملوه والتقوى تنا شده ومدمعُها سجومُ
يا ذاهباً لا يُرتجى أبد الزمان له قدومُ
فاللحدُ هل يدري أأنـ تَ أم الصلاحُ به مقيمُ؟
قمرُ السماء به توارى أم محيّاك الكريمُ؟

---

١ - هو الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد الطريحي، أحد أعلام أسرته الحافلة بالعلماء، كان عالماً فاضلاً أصولياً. توفّي عام ١٣٠٢ هـ، وقيل: عام ١٣٠٣ هـ.

إن يـــوصِ غـــيرك مَـــنْ بـــأر ... ثِ يتيمـــــه ورعـــــاً يقـــومُ؟

فالنســـــــك إرثٌ والوصـــــــيُّ ... تقـــــاك والزهـــــدُ اليتـــــيمُ

ومقـــــيم مأتمـــــك التقـــــى ... إنّ التقـــــى نعـــــمَ المقـــــيمُ

وبـــــك المعـــــزِّي مَـــــنْ أتـــــى ... في مدحـــــه الـــــذكر الحكـــــيمُ

القـــــائمُ (المهـــــديُّ) مَـــــنْ ... تُجلـــــى بطلعتـــــه الهمـــــومُ

ورث النبـــــــوَّة علمهـــــــا ... فهـــــو الخبـــــيرُ بهـــــا العلـــــيمُ

مـــــــولىً بنـــــادي عـــــزِّه ... تتضـــــاءل الصـــــيدُ القـــــرومُ

نـــــادٍ ملائكـــــةُ الســـــماء ... علـــــى ســـــرادقه تحـــــومُ

وبشـــــمٍّ آنـــــاف الملـــــوك ... تـــــرابُ عتبتـــــه شمـــــيمُ

في صـــــدره (المهـــــديُّ) تصـــــ ... در للـــــورى منـــــه العلـــــومُ

مـــــلأتْ نتائجـــــه الزمـــــان ... وغـــــيره الشـــــكل العقـــــيمُ

فلـــــه الزعامـــــة في الهـــــدى ... وســـــواه في الـــــدعوى أثـــــيمُ

يـــا مَـــنْ لـــه النســـبُ الصـــريح الـــ ... محـــــض والحســـــبُ الكـــــريمُ

عجبـــــاً يـــــروم عُـــــلاك مَـــــنْ ... لـــــك فوقـــــه الشـــــرفُ القـــــديمُ

فـــــوق الرغـــــام وتحـــــت نعلـــــك ... أنـــــفُ همّتـــــه رغـــــيمُ

هبـــــه يـــــرومُ فـــــأين مِـــــن ... يـــــد مَـــــنْ علـــــى الأرض النجـــــومُ؟

مـــــثلان خلقُـــــك والنســـــيمُ ... ونـــــداك والغيـــــثُ العمـــــيمُ

ولأنـــــت واســـــطة العـــــلاء ... وولـــــدُك العقـــــدُ النظـــــيمُ

قـــــومٌ بهـــــم أمِـــــنَ المـــــروعُ ... وفـــــيهم أثـــــرى العـــــديمُ

كـــــلاً تـــــراه (جعفـــــراً) ... في الجـــــود وهـــــو لهـــــم زعـــــيمُ

أرجُ الســـــيادة فـــــيهم ... كالمســـــك ينشـــــره النســـــيمُ

رضـــــعوا الإمامـــــة فـــــالجميعُ ... بنـــــور عصـــــمتها فطـــــيمُ

فـــــولاؤهم فـــــرضٌ وهـــــد ... يُهـــــم الصـــــراطُ المســـــتقيمُ

لـــــــبس الزمـــــــان بهـــــاءهم فـــــــبهم محيّـــــــاه وســـــــيمُ
وبهـــــم لنـــــا الأيـــــامُ يقطـــــر مـــــن غضـــــارتها النعـــــيمُ
تهـــــوى الســـــماء بأنّهـــــا لصـــــعيد أرضـــــهم أديمُ
وإذا مشـــــوا فـــــوق الثـــــرى حســـــدت نعـــــالهم النجـــــومُ
يـــــا ســـــادة العلمـــــا ومَـــــنْ تـــــزن الجبـــــال لهـــــم حلـــــومُ
بكـــــم العـــــزاءُ وحســـــبنا مـــــن كـــــلّ مـــــاضٍ أن تـــــدوموا
(أمحمـــــــــدٌ) في ظلّهـــــــــم ســـــتنال أقصـــــى مـــــا تـــــرومُ
فـــــأبوك إنْ يفقـــــدْ فكـــــلّ هـــــمُ أبٌ بـــــرٌّ رحـــــيمُ
ســـــيقرَّ عينـــــاً في الثـــــرى إذ فيـــــك جـــــودُهم يقـــــومُ
حيّـــــا الملائـــــكُ قـــــبره مـــــن حيـــــث فيـــــه هـــــو المقـــــيمُ
وســـــقته مـــــن أنـــــواء عفـــــو الله واكفـــــــــةٌ ســـــــــجومُ

وقال راثياً الحاج محمد رضا كبّه، وقد مرَّ نعشه على مدينة الحلّة، وكان السيد صاحب الديوان خارجاً عنها في إحدى الضواحي، فعزّى أباه الحاج محمد صالح كبّه بهذه المقدّمة والقصيدة، قال:

(هلمّ واستمعْ مقالي، وتعجَّب بما تصرّفت بي الليال، فما أخالك رأيت مثلي فقيداً شطَّ به المزار، فلم يعلم بنفسه ساعة خرجت من الدنيا إلى دار القرار، ولا أظنّك سمعت قبلي بأحدٍ مات في زمنه، وقد أبعده الدهر عن قطنه، فلم يحضر تشييع نعشه عندما مرَّ عاجلاً، ولم يشهد حلول رمسه مذ أودع في دار البلى:

كفـــاني بهـــذا جـــوىً مـــا بقيـــت يجـــدّد في القلـــب جرحـــاً رغيبـــا

نعم، وكلّما أردت النياحة في هذه المصيبة أفحمتني دهشة ما يتجدد في قلبي من استعظام هذه النازلة الغريبة، فأعود على الحبسة نفسي، وأتمنّى لو أنّني

قبل صدورها عليَّ حبست برمسي حتى قالت لي النفس سبق إلى أوداجك السيف هذا العذل، وما عسى أن أقول؟ ولمنْ أعزّي وأنا الثكول؟ وعلى مَنْ أنوح وأنا الفقيد؟ ولمنْ في اللحد أنادي وأنا الملحود؟

مـــــا أخطأتـــــك النائبـــــات إذا أصـــــابت مَـــــنْ تحـــــب

بلى، وتربة وارت بالأمس مَنْ هو أعزُّ عليَّ منّي، وحفرةٍ غمّضت أجفانها على ضياء عيني، لا سمحت لك قريحة لبّي، أو تنوح عليَّ بلسان حالي فحسبي نياحة قلبي، فأجبتها إلى مقالها، وقلت وعيني تجود بانهمالها):

إطويـــــاني ملامـــــة وانشـــــراني بلـــغ الوجـــدُ حيـــث لا تبلغـــاني

قـــد عنـــاني جـــوىً يطـــول وفيـــه يقصـــر اللـــومُ عـــن مـــردِّ عنـــاني

كيـــف عيـــني لم تغـــدُ بيضـــاء حزنـــا وهـــي قـــد أصـــبحت بـــلا إنســـانِ؟

إنّ صـــوت النعـــيِّ مـــذ خـــاض سمعـــي خلتـــه في حشـــاي غـــربَ ســـنانِ

وعضضـــت البنـــانَ غيظـــاً ولكـــن لا يفيـــد المكلـــوم عـــضُّ البنـــانِ

فاعـــذراني إذا ربطـــتُ فـــؤادي بيـــدي وانطويـــتُ ممّـــا دهـــاني

إنّ قلـــبي مـــن دهشـــتي طـــار رعبـــا فغـــدا وهـــو دائـــم الخفقـــانِ

كفكفـــا عـــن حشـــاي غـــرب ملامـــي مـــن جـــراح الجـــوى بهـــا مـــا كفـــاني

أيـــن مـــنّي صـــبري لأرضـــى فأســـلو صـــبري اليـــوم والرضـــا ميّتـــانِ

أنـــا يـــا لائمـــيّ أدري بطـــبِّي فاعـــذلاني مـــا عشـــتُ أو فاعـــذراني

ســـلّياني بـــردّ روحـــي وإلاّ فبمـــاذا عنـــه إذاً ســـلواني

فرّبـــاه فـــوق الثـــرى اليـــوم مـــنّي أو فمنـــه تحـــت الثـــرى قرّبـــاني

واقـــبراه إذاً بقلـــبي وإلاّ فخـــذاه بقـــبره واقـــبراني

وإلى جنـــب مهجـــتي وسّـــداه أو إلى جنـــب جســـمه وسّـــداني

فحيـــاتي وموتـــه رزآن لم أقـــدّرْ علـــيَّ يجتمعـــان

بـــل تخيّلـــتُ أن يعـــيش وأفـــنى أو ســـواءً تضـــمُّنا حفرتـــان

لم أفارقـــــه أجنبيـــــاً ولكـــــنْ هـــو روحـــي وفارقـــت جثمـــاني
قـــد نشـــرنا مـــا بيننـــا الـــودَّ دهـــرا فطـــواه الـــردى وليـــت طـــواني
غمّضـــا نـــاظري مـــا عشـــتُ غيظـــا فعلـــى مَـــنْ بعـــد (الرضـــا) تفتحـــانِ
وزفـــيري ثقّـــف حنايـــا ضـــلوعي فعلـــى ودّ مَـــنْ تبـــين حـــواني[1]
وخطـــوب الزمـــان دونـــك شخصـــي فلـــك اليـــوم قـــد كشـــفتُ عيـــاني
نزعـــت عـــنّي الحـــوادث درعـــي فـــبمَنْ أتّقـــي شـــبا الحـــدثانِ
فلكـــم قـــد لويـــت دهـــري وهـــذا دهـــري اليـــوم كيـــف شـــاء لـــواني
لـــك أسمحـــتُ يـــا خطـــوب الزمـــان ذهبـــتْ نخـــوتي فهـــاك عنـــاني
قـــد أبانـــت حشـــاي فاســـتهدفيها نكبـــة طوّحـــت ضـــحىً بأبـــانِ
راصـــدتني مـــن حيـــث لســـت أراهـــا أعـــين النائبـــات وهـــي تـــراني
فـــرمتني مـــن حيـــث لا أتّقيهـــا بســـهام الهمـــوم والأحـــزانِ
فأنـــا اليـــوم يـــا نوائـــبُ كلِّـــي مقتـــلٌ بـــارزٌ لمِـــنْ قـــد رمـــاني
كنـــت قـــدماً أذودُ نبلـــك عـــنّي ببنـــاني فـــأين مـــنّي بنـــاني؟
قـــد نعـــاه النـــاعي إليَّ أيـــدري لا دري أنّـــه إليَّ نعـــاني؟
فحســـبت الفـــؤاد مـــنّي أضـــحى بـــين نـــابي ذي ســـورةٍ أفعـــوانِ
لهـــف نفســـي علـــى صـــريع حمـــامٍ لـــيس لي عنـــه بالـــدفاع يـــدان
ودَّت المكرمـــات لـــو أنَّ منهـــا غســـلته بـــدمعها العينـــانِ
ومســـجّىً بنعشـــه في حبـــيرٍ هـــو والجـــودُ فيـــه ملتحفـــانِ
حملـــوه وخلفـــه كـــلُّ عـــافٍ بـــدماه عينـــاه فائرتـــانِ
قـــائلاً: أيكـــة الرجـــاء اظمـــأي اليـــو م وعـــودي مصـــفرَّة العيـــدانِ
مـــصَّ منـــك الصـــعيدُ مـــاء سمـــاحٍ كنـــت فيـــه ريانـــة الأغصـــانِ
عجبـــاً خـــفَّ نعشـــه وهـــو قـــد ســـا ر بثقـــل المعـــروف والإحســـانِ

---

١ - حواني جمع: حاني. وفي المخطوط: يبين.

بـــل أراه مـــا خـــفَّ إذ ســـار لكـــن ... حملتـــــه ملائـــــكُ الرحمـــــانِ
شـــــيَّعته الأنـــــامُ بـــــالأحزان ... والتقتـــــه بالبشـــــر حـــــورُ الجنـــــانِ
هـــل كـــذا جـــلّ نعـــشُ ميـــتٍ ســـواه ... اختلطـــا عنـــد نعشـــه العالمـــانِ
وعليـــــه قـــــد ودَّت الأرضُ يبقـــــى ... ويـــرى (كـــلَّ مَـــنْ عليهـــا فـــانِ)
فـــــاحملاني إلى ثـــــراه احمـــــلاني ... وقفـــا بي عليـــه وقفـــة عـــانِ
ودعـــاني خلـــف الصـــعيد أناديـــه ... نـــــداء المـــــروّع اللهفـــــانِ
يـــا فقيـــداً فقـــدتُ منـــه غمامـــا ... كلّمـــا قلـــت قـــد ظمئـــت ســـقاني
ودفينـــاً دفنـــتُ منـــه حســـاما ... كنـــت أعددتـــه لحـــرب الزمـــانِ
أغمدتْـــه في الـــترب كفِّـــي فشـــلَّت ... فـــات نصـــري وأبـــتُ بالخـــذلانِ
شـــغلت منطقـــي عليـــه المراثـــي ... وخـــلا مِـــن هـــوى ســـواه جنـــاني
يـــا تـــراني أثـــني علـــى مَـــنْ بمـــدحٍ ... وهـــوى مـــنْ أحبُّـــه يـــا تـــراني
مـــات محيـــي الثنـــا ولـــولا أبـــوه ... قلـــت في لحـــده دفنـــت لســـاني
ذاك منـــه صـــفاته الغـــرِّ جـــاءت ... في مزايـــا عـــلاه طبـــق المعـــاني
صـــالح الفعـــل راجـــحُ الفضـــل غـــوط الـــ ... ـمستغيثين غيـــثُ أهـــل الأمـــاني
ورعٌ ناســـــكُ تفـــــرّغ للهِ ... بقلـــبٍ مـــن خوفـــه مـــلآنِ
جـــامعٌ قســـوة الحميَّـــة للـــدين ... انتصـــاراً ورقَّـــة الإيمـــانِ
وبعـــزِّ الملـــوك يصـــبح مرهـــو ... بـــاً ويمســـي بذلَّـــة الرهبـــانِ
صـــدق المـــدحُ في عـــلاه فقـــل مـــا ... شـــئت في مجـــده العظـــيم الشـــانِ
هـــو في الخـــير مـــن قـــديم الليـــالي ... خـــيرُ مَـــنْ قـــد مشـــت بـــه قـــدمانِ
أثقلـــت كاهـــل الزمـــان أياديـــه ... فأمســـى عيالـــه الـــثقلانِ
وعلـــى الأرض كلّهـــا مـــن نـــداه ... أثـــرٌ طيـــبٌ بكـــلّ مكـــانِ
قـــد بـــنى للقِـــرى علـــى (الكـــرخ) بيتـــا ... والتقـــى أسُّ ذلـــك البنيـــانِ
شـــارعَ البـــاب تلتقـــي طـــرقُ الأر ... ض جميعـــاً لديـــه بالضـــيفانِ

رافعـــاً تحـــت ظلمـــة الليـــل للســـا ... ريـــــن فيـــــه ذوائـــــبَ النـــــيرانِ
كرمـــاً قـــد أعـــدَّ للضـــيف فيـــه ... عـــــدد الطـــارقين غـــرَّ الجفـــانِ
مكرمـــاتٌ تـــرى رضـــيع سمـــاحٍ ... عنـــدها الـــدهرَ لا رضـــيع لبـــانِ
شـــكرُها أعجـــز الأنـــام فـــأنّى ... قابلتهـــا الأيـــامُ بـــالكفرانِ؟
قلـــتُ للبحـــر هـــل تســـاويه يومـــا ... قـــال كـــلاّ: لا يســـتوي البحـــرانِ
وســـألتُ الحيـــا أتحكيـــه جـــودا ... قـــال: أيـــن البـــاكي مـــن الجـــذلانِ؟
لـــيس يحكيـــه في سماحـــة كـــفٍّ ... غـــيرُ مَـــنْ قـــد حكـــاه عـــزَّة شـــانِ
ذاك (عبـــد الكـــريم) مَـــنْ قـــد تســـامى ... شـــرفاً حـــطَّ دونـــه النّـــيرانِ
فهمـــا فرقـــدا عـــلاءٍ ومجـــدٍ ... وهمـــا ديمتـــا نـــدىً وامتنـــانِ
كلّمـــا عـــنّ مفخـــرٌ يـــوم ســـبقٍ ... فيـــه تلقاهمـــا شـــريكي عنـــانِ
ولـــدا فتيـــةً هـــمُ شـــهبُ الفخـــر ... وإلاّ جـــــــداولُ الإحســـــــانِ
متســـاوين في المكـــارم قـــد فـــا ... قـــوا بفضـــل النهـــي علـــى الفتيـــانِ
ينشـــر الحـــيُّ مَـــنْ طـــوى المـــوت مـــنهم ... ويعيـــد البـــاقي حيـــاة الفـــانِ
مـــا فقـــدت (الرضـــا) وذلـــك بـــاقٍ ... (مصـــطفى) الجـــود يـــا ركـــاب الأمـــانِ
فرديـــه خفائفـــاً تصـــدري منـــه ... ثقـــال الخطـــى علـــى الركبـــانِ
هـــو صـــبحُ الأيـــام ســـعد الليـــالي ... بهجـــة الـــدهر نـــور عـــين الزمـــانِ
تتلّقـــاه مـــن شـــذا حســـبيه ... عطـــرَ الجيـــب طيّـــب الأردانِ
ومـــن البشـــر في محيّـــاه بـــدرٌ ... وبكفّيـــه للنـــدى (جعفـــرانِ)
والأغـــرُّ (الهـــادي) إذا حـــار وفـــدٌ ... فســـناه دلالـــة الحـــيرانِ
هـــو طلـــقُ العنـــان في الجـــود طلـــق الـــ ... وجـــه طلـــق اليـــدين طلـــق اللســـانِ
ومزايـــاه في ســـما المجـــد شـــهبٌ ... وهـــو فيهـــا وصـــنوه القمـــران
و(أمـــين) التقـــى وهـــل ضـــمّ مـــثلا ... لأمـــينٍ في عصـــرنا المشـــرقانِ؟
طـــاهر الـــنفس طـــاهر الجيـــب والأبـــ ... راد عـــفٌّ في الســـرّ والإعـــلانِ

أبـــــــداً في تقـــــــاه لم تتغـــــــبَّر بغبـــــار الآثـــــام منـــــه اليـــــدانِ
وهـــو في صـــدق لهجـــةٍ (كـــأبي ذرٍ) وتقـــوىً تحكـــي تقـــى (ســـلمانِ)
والمرجّـــى (محمـــدٌ حســـنُ) الطلـــ عـــة ينضـــو اللثـــام عـــن كيـــوانِ
مخـــبراتٌ مخايـــل الفضـــل فيـــه أن سيســـموا فخـــراً علـــى الأقـــرانِ
يـــا (أبـــا المصـــطفى) وحلمـــك أرســـى في لقـــاء الخطـــوب مـــن ثهـــلانِ
لـــك نفـــسٌ قدســـية الـــذات فيهـــا حـــزتَ أعلـــى مراتـــب العرفـــانِ
وصـــف اللهُ أنّ قلبـــك للتقـــ وى مشـــيراً بآيـــة الامتحـــانِ
وأرى الصـــابرين في عصـــرنا أنـــت عنـــاك الإلـــهُ في القـــرآنِ
حيـــث لـــو قيـــل عـــددّوهم عـــددنا ك ونعيـــا عـــن أن نجـــيء بثـــاني
هـــو جمـــعٌ أُريـــد بالـــذكر منـــه واحـــدٌ وهـــو أنـــت عنـــد البيـــانِ
فـــرِّغ القلـــب مـــن جـــوى الثكـــل يـــا مَـــنْ هـــو في الفضـــل مـــلءُ عـــين الزمـــانِ

وقال راثياً بعض الأكابر:

كـــذا تفقـــد العـــينُ إنســـانها فتـــدمي المـــدامعُ أجفانهـــا
كـــذا يقـــرع الخطـــبُ صـــمَّ الجبـــال إلى أن يزلـــزل ثهلانهـــا
كـــذا للمراقـــب كـــفُّ الزمـــان تمـــدُّ فتأســـر عقبانهـــا
كـــذا تغمـــد البـــيضُ تحـــت الصـــعيد فتغـــدو الضـــرايح أجفانهـــا
كـــذا وأبيـــك عـــوالي الرمـــاح تـــدقُّ يـــدُ الـــدهر مرّانهـــا

وقال راثياً ولده سليمان وأخاه محمداً:

لقيـــت مـــن الوجـــد واللائمينـــا ضـــنىً شـــفَّ جســـمي وأقـــذى العيونـــا
فلـــم أدرِ مـــاذا بقلـــبي أمـــضّ وجـــدي أم عـــذلُ العاذلينـــا؟
ألائمـــتي بعـــض هـــذا الملام فـــالأمر لـــيس كمـــا تزعمينـــا
ذريـــني أُدمّـــي غـــروب الجفـــون واستشـــعر الحـــزن حينـــاً فحينـــا
لقـــد جـــذم الـــدهرُ يســـرى يـــديّ فبانـــت وألحـــق فيهـــا اليمينـــا

أصـــــبراً وإنســـــانُ عيـــــني يُســـــلُّ ... بظفـــــر الـــــردى ســـــاء مـــــا تأمرينـــــا

كفـــــى حزنـــــاً أنَّ جســـــمي أقـــــام ... وقلـــــبي اســـــتقلَّ مـــــع الظاعنينـــــا

أعيـــــنيَّ شـــــأنكما والـــــدموع ... فمـــــا يـــــترك الـــــدهرُ دمعـــــاً مصـــــونا

لـــــه الـــــذمُّ بـــــالأمس قـــــد بـــــزَّني ... وشـــــيمته الغـــــدرُ علقـــــاً ثمينـــــا

فغـــــادر حجـــــري منـــــه خميصـــــا ... وبطـــــن الثـــــرى منـــــه أمســـــى بطينـــــا

وغصـــــنٌ نمـــــا في تـــــراب العُلـــــى ... وأينـــــع في روضـــــة المجـــــد حينـــــا

ذوي بعـــــدما أن زهـــــا برهـــــةً ... وراق النـــــواظر حســـــناً ولينـــــا

وكنـــــتُ مـــــتى عـــــنَّ لي ذكـــــرُه ... أطلـــــتُ عليـــــه البكـــــا والحنينـــــا

مضـــــى مـــــا نســـــيناه لكـــــنْ ثـــــنى ... بـــــآخر يـــــذكرنا مـــــا نســـــينا

أهلـــــتُ عليـــــه تـــــرابَ القبـــــور ... وعـــــدتُ أكابـــــدُ داءً دفينـــــا

علـــــى أنّـــــني لم أزل منـــــذ ســـــبعٍ ... أعـــــدُّ الشـــــهور لـــــه والســـــنينا

توسّمـــــت منـــــه سمـــــات الكمـــــال ... وقلـــــتُ يكـــــون لبيبـــــاً فطينـــــا

فلمّـــــا مخائلـــــه بشَّـــــرتْ ... بتحقيـــــق مـــــا أرتجـــــى أن يكونـــــا

وقامـــــت علـــــى مـــــا تفرّســـــت فيـــــه ... شـــــواهد حققـــــن فيـــــه الظنونـــــا

رمتـــــه[1] المنـــــونُ بســـــهم الحمـــــام ... مـــــن حيـــــث لا أتـــــوقّى المنونـــــا

فأصـــــبحت أسمـــــح للـــــترب فيـــــه ... وكنـــــت علـــــى اللحـــــظ فيـــــه ضـــــنينا

بمَـــــنْ أتعلـــــل في النائبـــــات ... إذا غـــــادرتني كئيبـــــاً حزينـــــا

ومَـــنْ مؤنســـي حيـــث ليـــل الخطـــوب ... يمـــرُّ علـــيَّ الهزيـــع الـــدجينا

فقـــــل لليـــــالي بلغـــــتِ المـــــنى ... وأدركـــــت مـــــنّي مـــــا تأملينـــــا

لقـــــد كنـــــت بـــــالأمس ذا مقلتـــــين ... أرى بهمـــــا مـــــا يقـــــرُّ العيونـــــا

فقـــــأت بســـــهمك يســـــراهما ... وســـــرعان مـــــا قـــــد فقـــــأت اليمينـــــا

قعـــــدتُ بعميـــــاء مستصـــــحبا ... تـــــريني أيـــــامي البـــــيض جونـــــا

ولا تحســـــبيني لمـــــا شـــــكوتُ ... صـــــنيعك لي عـــــاجزاً مســـــتكينا

---

١ - في المخطوط والمطبوع: رماه.

وقال راثيا شاباً في ريعان الصبا بالتماس بعض الأشراف:

أمـــا والهـــوى العـــذرى مـــا بـــتُّ ســـاليا ... حبيبـــاً بعيـــني الكـــرى كـــان ثانيـــا
ســـــلوتُ إذاً والله حـــــتى حشاشـــــتي ... علـــى عزّهـــا إن كنـــت أمســـيت ســـاليا
وريّـــان مـــن مـــاء الصـــبا غصـــنُ قـــدّه ... برغمـــي يمســـي في ثـــرى اللحـــد ذاويـــا
فجعـــتُ بـــه حلـــو الشـــمائل بعـــدما ... ولعـــتُ بـــه غـــضَّ الشـــبيبة ناشـــيا
تطلّـــعُ نفســـي مـــن ثنايـــا اشـــتياقها ... إلى طلعـــةٍ منـــه تنـــير الـــدياجيا
وأطلـــب في الأحيـــاء رؤيـــة شخصـــه ... علـــى ولـــهٍ مـــنّي وأنســـى افتقاديـــا
فكـــم لي علـــى الـــذكرى إليـــه التفاتـــةٌ ... كـــأنْ لم يكـــن بـــالأمس وسّـــد ثاويـــا
ولائمـــةٍ لامـــت ولم تـــدرِ مـــا الجـــوى ... ولا كيـــف يرعـــى المســـتهام الـــدراريا
تلـــوم ولا سمعـــي لهـــا فيجيبهـــا ... إلى ســـلوةٍ قلـــبي ولا قلبهـــا ليـــا
ولـــو وجـــدتْ للبـــين مـــا قـــد وجدتـــه ... غـــدا آمـــري بـــالحزن مَـــنْ كـــان ناهيـــا
أميمـــةُ هـــل أدميـــت إلاّ بنانيـــا ... وهـــل غـــيرُ دمعـــي بـــلَّ فضـــل ردائيـــا
أقلَـــى فلـــم أنضـــح جـــواي بـــأدمعٍ ... أكفكفهـــا عـــن مقلتيـــك جواريـــا
ولا قلَّبـــت كـــفُّ الأســـى لـــك مهجـــة ... حشـــاي علـــى جمـــرٍ توقَّـــد ذاكيـــا
عـــذلت وعنـــدي يعلـــم اللهُ لوعـــة ... أكابـــد منهـــا مـــا يـــدكُّ الرواســـيا
غلبـــتَ وأحـــداثُ الزمـــان غوالـــبٌ ... وفي أيّ دار مـــا أقمـــن النواعيـــا
وكيـــف انتصـــاري يـــوم طارقـــة النـــوى ... وعنـــد الليـــالي يـــا ابنـــة القـــوم ثاريـــا؟
حـــدت ظعـــن الأحبـــاب عـــنّي وغـــادرت ... مـــع الســـقم تعتـــاد الهمـــومُ وســـاديا
وفي الجـــيرة النـــائين لـــو تعلمينهـــا ... علاقـــةُ حـــبٍّ همـــت فيهـــا لياليـــا
فلـــو جمعتنـــا الـــدار مـــن بعـــد هـــذه ... إذاً لأطلنـــا يـــا أمـــيمُ التشـــاكيا
بمَـــنْ أتـــداوى مـــن جـــوى الهـــمّ لا بمَـــنْ ... وهـــل دفـــن الأقـــوام إلاّ دوائيـــا؟
وغـــادين قـــد أتبعـــتهم يـــوم ظعـــنهم ... جفونـــاً يعلمـــنّ البكـــاء الغواديـــا
وقفـــتُ لهـــم في مـــدرج البـــين وقفـــةً ... تكسَّـــر أنّي ملـــتُ مـــنّي عظاميـــا

وقفـــتُ ونفســـي رغبـــة في لقـــائهم ... تمـــنّى علـــى كـــذب الرجـــاء الأمانيـــا
ومَـــنْ ذهبـــت أيـــدي المنايـــا بشخصـــه ... فهيهـــات فيـــه يرجـــع الـــدهرُ ثانيـــا
أحبـــايَ حـــال المـــوتُ بيـــني وبيـــنكم ... فمـــا حيلـــتي فـــيكم عـــدمت احتياليـــا؟
قفـــوا لا أقـــام البـــينُ صـــدر مطـــيّكم ... لمســـتعطفٍ بالـــدمع يخشـــى التنائيـــا
قفـــوا خـــبّروني عـــنكم هـــل أراكـــم ... ولـــو شـــبحاً مـــا بـــين عيـــنيَّ ســـاريا؟
وتلـــك الليـــالي الســـالفات علـــى مـــنىً ... تطيـــب وتحلـــو هـــل تعـــود كمـــا هيـــا؟
ليـــالي أنـــسٍ بالوصـــال لبســـتها ... رقـــاق الحواشـــي نـــيّراتٍ زواهيـــا
دعـــوا لي قلـــبي أو خـــذوه مـــع الجـــوى ... فهـــا هـــو خلـــف الركـــب أصـــبح ســـاريا
أحبـــايَ لا والله مـــا عشـــتُ ســـلوةً ... ولا بكـــم اســـتبدلت خـــلاً مصـــافيا
ولمـــا ســـرى النـــاعي بكـــم فاســـتفزّني ... ونـــادى منـــادي البـــين أن لا تـــدانيا
ربطـــت الحشـــا بـــالراحتين ولم أخـــلْ ... تطـــيح شـــظايا مهجـــتي ببنانيـــا
وعنـــدي ممّـــا ثقَّـــف البـــينَ أضـــلعٌ ... غـــدون علـــى جمـــر الفـــراق حوانيـــا
وعـــينٌ بـــلا غمـــضٍ كـــأنّ جفونهـــا ... حلفـــن بمَـــنْ تهـــواه أن لا تلاقيـــا
وقلـــبٌ مـــتى يـــا بـــرق يقـــدحك الأســـى ... قـــدحت بـــه زنـــداً مـــن الشـــوق واريـــا
ولي في زوايـــا ذلـــك الـــنعش مهجـــةٌ ... تـــرفُّ رفيـــف الطـــير يفحـــص داميـــا
قضـــى الله أن لا أبـــرح الـــدهر أشـــتكي ... لـــواعج يـــدمين الحشـــا والمآقيـــا
فيـــا عـــين ســـيلي بالـــدموع صـــبابةً ... ويـــا نفـــسُ مـــنّي قـــد بلغـــت التراقيـــا

التاريخيات

قال (رحمه اللّه) مؤرّخاً عام ولادة الحاج محمد صالح كبّه[١] في سنة ١٢٠١ هـ:

أتـــى اليـــوم حـــاتمُ أهـــل النهـــى ... علـــى أنَّـــه للنـــدى فـــاتحُ
أغـــرُّ غـــدا الســـعدُ لمّـــا اســـتهلَّ ... وهـــو لغرَّتـــه ماســـحُ
وهنّـــا بـــه المجـــدُ وقّـــاده ... وبشّـــرها الشـــرف الواضـــحُ
وقـــالوا جميعـــاً وقـــد أرّخـــوا: ... (نـــرى وُلِـــدَ الخلـــفُ الصـــالحُ)

وقال مؤرّخاً عام وفاة الحاج محمد صالح كبّه في سنة ١٢٨٧ هـ:

إن يطـــوِ مصـــباحَ المكـــارم ضـــارح[٢] ... فلقـــد أضـــاءت في عـــلاه مصـــابحُ
طُـــفْ حيـــث حـــلَّ فـــئمَّ جـــودٌ بـــاهرٌ ... وعُـــلاً مؤثلـــةً، ومجـــد[٣] راجـــحُ
ملـــكٌ لـــه الشـــرف الرفيـــع مشـــيِّعُ ... وعليـــه حـــتى المكرمـــات نـــوائحُ
شـــكت البريَّـــة داءه[٤] لمّـــا شـــكا ... فقضـــى وأُلحـــد والقلـــوب ضـــرائحُ
مَـــن جـــاره (هـــودٌ) دعـــاه فـــأرّخوا: ... (أســـعد جـــوارك ذا محمـــدُ صـــالحُ)

وقال وقد سأله محمد باشا بابان أن يضع هذا التأريخ وهو في سنة ١٢٩٠ هـ:

ذا محمـــد رشـــيدُ باشـــا ببـــاني ... شـــاد للحكـــم دار عـــزٍ ومجـــدِ
تزدهـــي في مقاصـــرٍ لـــو (لكســـرى) ... مثُلـــت قـــال: هـــذه فـــوق جهـــدي
إنّمـــا (آصـــفٌ) أتانـــا بصـــرحٍ ... مَـــنْ أتـــاه يجـــده جنّـــة خلـــدِ
قـــد دعـــا الملـــكُ مطربـــاً أرّخـــوه: ... (شـــاد بـــدر البهـــاء دارة ســـعدِ)

وقال مؤرّخاً عام ولادة الحاج مهدي كبّه في سنة ١٢١٩ هـ:

وليلـــةٍ قـــد وَلـــدَت بصـــبحها[٥] ... شمـــس عُـــلاً تشـــعُّ في ســـعودها

---

١ - طلب الحاج محمد صالح من الشاعر أن يؤرّخ ولادته وإن لم يكن قد أدركها.

٢ - الضارح: الذي يحفر الضريح للميت.

٣ - وفي نسخة: حلم.

٤ - وفي نسخة: شكت العفاة لدائه.

٥ - في المطبوع: لصبحها.

سُـــرَّت بهـــا أهـــل المعـــالي ولهـــا أهـــدت (بمهـــديٍّ) ســـرور عيـــدها
قـــد طـــرب الـــدهرُ غـــداة أرّخـــوا: (فلتزدهـــي الليلـــة في مولودهـــا)

وقال مؤرّخاً عام ولادة الحاج مصطفى كبّه في سنة ١٢٥٥ هـ:

لقـــد وَلـــدَت أمُّ المفـــاخر ماجـــدا تضـــوَّع مـــن أعطافـــه طيـــبُ محتـــده
تـــربَّي بحجـــر المجـــد واسترضـــع النهـــى وشـــبَّ يُفـــدّي وهـــو نـــاشٍ بحسّـــده
وأضـــحى عليـــه الفخـــرُ يعقـــد تاجـــه ويلقـــي مقاليـــد المعـــالي إلى يـــده
فيـــا مولـــداً فيـــه بنعمـــة يُمنـــه لنـــا الســـعدُ غـــنّى لا بنغمـــة (معبـــده)
بـــه خمـــدت نـــار العـــدا حـــين أرّخـــوا: (أتـــى المصـــطفى يـــا عـــزَّ آيـــة مولـــده)

وقال مؤرّخاً عام وفاة الحاج مهدي كبّه في ١٢٧١ هـ:

ألا بكَـــرَ النـــاعي بثـــاوٍ ثـــواءة[١] توسَّـــد والمعـــروف تحـــت ثـــرى اللحـــدِ
وعـــاش الهـــدى فيـــه ومـــات بموتـــه فـــأرِّخ (معـــاً غـــاب الهـــدى هـــو والمهـــدي)

وقال مؤرّخاً ومهنئاً الحاج محمد صالح كبّه بقدوم ولديه الحاج مصطفى والحاج محمد رضا من الحج، وكلُّ شطر منها تأريخ وذلك في سنة ١٢٧٧ هـ:

عُـــجْ لنـــادي التقـــى وحـــيّ البشـــيرا إنَّ فيـــه الـــزوراء تزهـــو ســـرورا
قـــد حباهـــا يـــا ســـعد بشـــراكَ ســـعدا[٢] كـــلُّ قطـــرٍ لنـــوره شـــعَّ نـــورا
إذا بإقبـــال أزهريهـــا مـــن الكعـــ بـــة قـــد جاءهـــا يبـــثُّ الحبـــورا
برضـــاها النقـــيّ وابـــن أبيـــه مصـــطفاها يـــدعو وردتُ ســـفيرا
وجـــهُ بغـــداد حـــين أمـــا لإنســـا ن الحجـــى فيهمـــا وصـــلتُ بشـــيرا
فغـــدا حـــين صـــبَّحاه بهيّـــا بـــل حـــديث الهنـــا حـــلا منشـــورا

---

١ - في المطبوع: بناؤه، وفي نسخة: بنانه.

٢ - هذا الشطر يكون مجموعه الأبجدي (١٢٩٢)، وقد اتفقت النسختان عليه، وأظن الصحيح (بشراء) بدلاً من (بشراك) ليتم التأريخ.

أنـــتَ قطـــبُ التقـــى عليـــك لـــدأبا فلـــكُ العـــزّ قـــد يُـــرى مســـتديرا
بـــل جـــوادُ العليـــا وربُّ فخـــارٍ طيبـــه ضـــاع بالنـــدىّ عبـــيرا
وقـــرينُ الســـخاء مَـــن جـــاد طفـــلا بنـــداه وســـاد شـــيخاً كبـــيرا
عـــشْ بطـــرفٍ مـــا زال زهـــواً قريـــرا يـــا أبـــا المصـــطفى فتحـــوى الحبـــورا[1]
كـــلّ عـــامٍ كـــذا لـــدارِكَ طلقـــا يُوفـــد الســـعدُ بالتهـــاني بشـــيرا
بـــل ومغنـــاك طيبـــاً كـــلَّ يـــومٍ تجتليـــه بـــه ســـنيّاً منـــيرا
وكـــذا فلـــيرقْ نـــديُّكَ مُبـــدٍ مـــن بهـــاءٍ مـــا يخجـــل البـــدر نـــورا
بـــل كـــذا اعقـــدْ رواق جـــدّك حـــاوٍ كـــلَّ وقـــتٍ جلالـــة محبـــورا
هـــاك ألقيـــتَ معجـــزاً فـــانتحي يـــا قـــفُ عفـــواً مـــا زبرجـــوا تســـطيرا
حـــيّ منـــه مؤرّخـــاً عـــام ردّا كـــلّ شـــطرٍ أبـــدى فعـــدَّ الشـــطورا

وقال مؤرّخاً عام ولادة الحاج محمد رضا كبّه في سنة ١٢٤٦ هـ:

قـــل لأمّ العُلـــى ولـــدت كريمـــا شـــاد عليـــا أبيـــه فـــوق الســـماكِ
ســـخط الحاســـدونَ مـــذ قيـــل أرّخ: (ولـــد المجـــد يـــا وفـــود رضـــاكِ)

وقال مؤرّخا عام ولادة محمد صالح كبّه، ومهنياً والده الحاج محمد حسن، وذاك في سنة ١٢٩٦ هـ:

بشـــرى بمولـــودٍ بـــه ابـــتهج الـــزمنْ وغـــدت تهـــنّي المكرمـــات بـــه (الحســـن)
ولدتـــه أمُّ المجـــد أبلـــج طـــاهرا في الأرض ترضـــعه المعـــارف لا اللـــبنْ
فيـــه مخائـــلُ مـــن أبيـــه وجـــدّه يُخـــبرن أن ســـيطول عاليـــة القـــنن
وســـيغتدي للحمـــد أشـــرف كاســـبٍ وعلـــى كنـــوز المجـــد أكـــرم مـــؤتمن
غصـــنٌ نمتـــه دوحـــة الكـــرم الـــتي منهـــا العفـــاةُ كـــم اجتنـــت ثمـــرَ المـــنن

---

١ - الظاهر أنّ لفظة (الحبورا) وقعت هاهنا سهواً وإن اتّفقت النسختان عليها؛ ذلك لأنّ مجموع الشطر يكون (١٠٢٧)، أمّا لو وضعنا مكانها (السرورا) لتمّ الحساب.

تتفيـــأ الأشـــراف بـــاردَ ظلهـــا لتقـــيهمُ مـــن حـــرّ هـــاجرة المحـــن
وكفـــاك بالحســـن المهـــذّب شـــاهدا لقديمـــه بحـــديث مفخـــرة الحســـن
هـــذا الـــذي مـــلأ الزمـــان عوارفـــا بـــالبعض منهـــا عـــاش كـــلُّ بـــني الـــزمن
إن لم نوجّـــه مـــدحنا وثناءنـــا لمحمـــد الحســـن الفعـــال، فقـــل: لمـــَنْ
هـــو عقـــدُ فضـــلٍ زان عاطـــل عصـــره لـــو لم يهبـــه اللهُ عـــزَّ علـــى الـــثمن
يفديـــه مَـــنْ تلقـــاه يـــرحض[1] ثوبـــه يبغـــي نظافتـــه وفي العـــرض الـــدرَن[2]
إن لـــذَّ لي فيـــه الثنـــاءُ فإنّـــه لألـــذُّ في عـــين المحـــبّ مـــن الوســـن
نـــدعوه يـــا ملكـــاً بكاعبـــة العُلـــى هـــو لا بكاعبـــة النهـــود قـــد افتـــتن
يُهنيـــك مولـــودٌ ســـررت بـــه العُلـــى مَـــنْ ســـعدُ مولـــده بســـعد كمـــا اقـــترن
طربـــت وقـــد غـــنّى البشـــير مؤرّخـــا (ولـــدتْ محمـــد صـــالحاً تقـــوى حســـن)

وقال يهنّأ الحاج محمد صالح كبّه، ويذكر السنة التي حال فيها ولداه عن الحج، وهي سنة ١٢٧٦ هـ، وكلّ شطر منها تاريخ:

بشـــرى بـــروج الجـــودِ بشـــراها ضـــاءَ بـــأفق المجـــد بـــدراها
وقـــد تجلَّـــت في سمـــاء العُلـــى فاهنـــأ بـــذا الســـعد، ســـراجاها
شـــعَّ نهـــارُ الســـعد حـــين ابتـــدا يضـــيءُ في الـــزورا فجلاّهـــا
واكتســـت الـــدنيا لأنـــواره أشـــعةً تجلـــو محيّاهـــا[3]
ثمّ ديـــاجي الـــنحس زالـــت فمـــا أســـعدها وأبـــيضَّ قطراهـــا
بـــل أنســـت اليـــوم حـــديث الصَـــبا نســـمةُ بشـــرٍ هـــبَّ ريّاهـــا
فيـــا علمـــتنَّ بنـــات الفـــلا مَـــنْ أمـــس أنضـــاك بأرجاهـــا
وأيُّ وجـــهٍ لاغـــرٍ هـــو ابـــ نُ الشـــمس مهمـــا يـــزهُ خفَّاهـــا
فوقـــك مبـــدٍ خلـــف حُجـــب الســـرى زاهـــي ســـناً طرقـــكِ ضـــوّاها
إذ كـــم فـــرى بطـــنَ فـــلا ماؤهـــا آلٌ وإعناقـــاً تخطّاهـــا

---

١ - يرحض: يغسل.

٢ - الدرن: الوسخ.

٣ - هذا الشطر ينقص واحداً.

لجـــدّ حـــتى احتـــلّ أمّ القُـــرى ... قـــد حـــاز مـــا حـــاز بمغناهـــا
في شِـــقّ نفـــسٍ وقـــت مـــيلاده ... تقـــاهُ والطيـــب دثاراهـــا
رِضـــى النهـــى أنجـــب حـــيّ النهـــى ... أشمخهـــا قـــدراً وأحباهـــا
و(مصـــطفى) أعظـــم بـــه أطيبـــا ... مثـــل أخيـــه عـــاد أبهاهـــا
ذا هـــو طـــرفُ العـــزّ إنســـانه ... وذاك راحُ الـــبرِّ يمناهـــا
أتـــى ارتقـــاب الحـــج عامـــا بـــه ... مكثهمـــا تلقـــى مصـــلاّها[1]
فأرخنّـــه فرحـــاً معجبـــا[2] ... في أشـــطرٍ أحمـــدتَ رؤياهـــا
هـــاك التـــق البشـــرَ لهـــا مطلعـــا ... نـــاشٍ هنـــاهُ وقـــت أنشـــاها
ألا اجلونهـــا مزهـــراً وافتـــتحْ ... بشـــرى بـــروج الجـــود بشـــراها

وقال مؤرّخاً عام وفاة الحاج محمد رضا كبّه:

وقـــف المجـــد ناعيـــاً عنـــد قـــبرٍ ... وارت المكرمـــات فيـــه حشـــاها
ودعـــا أنـــت جنّـــة قلـــت: أرّخ ... (طـــاب مـــأوى نعيمهـــا لرضـــاها)

وقال مؤرّخاً السنة التي تشارك بها في التجارة الحاج عبد الغني كبّه ومصطفى الباجه جي، وهي سنة ١٢٩٥ هـ:

للمصـــطفى والحســـن الفعـــل معـــا ... مـــرآةُ رأيٍ حَســـنٌ مرئيُّهـــا
كـــم قـــد أعـــدّا للتجـــار رابـــحُ ... خانـــاً وهـــذا بالغنـــا مليُّهـــا
بـــاليمن فيهـــا عقـــدا شـــراكة ... لفتيـــةٍ مجموعهـــا حظيُّهـــا
كواكـــبٌ كـــلُّ يـــروق المشـــتري ... فـــلا تســـلني أيّهـــا دُريُّهـــا
بعينـــه الـــرحمن قـــد رعـــاهمُ ... لله عـــينٌ آمـــنٌ مرعيُّهـــا
أهلّـــةٌ بـــورك باجتماعهـــا ... بـــبرج ســـعدٍ زانـــه وضـــيُّها
شـــراكةٌ جـــاء حميـــدُ فألهـــا ... للـــربح أرّخ (مصـــطفى غنيُّهـــا)

---

١ - هذان الشطران لا ينسجمان مع البقيّة لزيادة في العدد.

٢ - هذان الشطران لا ينسجمان مع البقيّة لزيادة في العدد.

التّقْارِض

قال (رحمه اللّه) مقرظاً تخميس همزية البوصيري[١] في مدح الرسول الأعظم محمد (صلّى الله عليه وآله) للشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي:

نسيت في عرفانك الحكماءُ ... فقبيح[٢] أن تذكر الشعراءُ

أيُّ فضلٍ لهم يبينُ وهل للبد ... ر نورٌ إذا استنارت ذكاءُ

جئتَ في النظم مبصر الفكر والدنـ ... ـيا جميعاً بصيرةٌ عمياءُ

فأزلت العمى بآيات فضلٍ ... أذعنت طاعةً لها البلغاءُ

نشرت طيَ الفصاحة لكن ... طُويت في انتشارها الفصحاءُ

حكمٌ حلوة الينابيع عفوا ... سلسلتها رويَّةٌ سمحاءُ

يرشف السمعُ لفظها العذب راحا ... لجميع العقول منه انتشاءُ

لو تلاها مردّداً لفظها المرُ ... لما احتجن روحَه الأعضاءُ

وكفى شاهداً بفضلك ما تر ... ويه عنك (الهمزية) الغراءُ

بنتُ فكرٍ مجلوّة في قوافٍ ... لم تلد قطُّ مثلها الآراءُ

ألِفاتٌ مثل الغصون تلتها[٣] ... لكَ من كل همزةٍ ورقاءُ[٤]

لبست من جمان نظمك عقدا ... ما تحلَّت بمثله عذراءُ

أين (يا ابن الفاروق) منك الذ ... ي أبدع في نظمها ولا إطراءُ[٥]

لو رأى ما أودعت فيها لأضحى ... هو والنظمُ (واصلٌ) والراءُ[٦]

---

١ - البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حمادة، من مشاهير شعراء عصره، ولد بدلاص، ونشأ ببوصير، وأشهر قصائده البردة في مدح الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وقد عارضها الشعراء كما شطرّها وخمّسها فريق كبير منهم، أشغل مناصب في القاهرة، وطبع ديوانه. توفّي بالإسكندرية عام ٦٩٥هـ.

٢ - في المطبوع: فحقير.

٣ - وفي ديوان الفاروقي: عليها.

٤ - الورقاء: الحمامة. وفي البيت تشبيه جميل للهمزة فوق الألف كالورقاء فوق الغصن.

٥ - في ديوان الفاروقي جاء البيت هكذا:

أين يا ابن الفاروق عنك البويصيـ ... ـري في نظمها ولا إطراءُ

٦ - يريد به واصل بن عطاء، وكان يلثغ بالراء.

زبـــرة[١] قـــد أشـــعتَ في المـــتن منهـــا جـــــوهراً في فرنـــــده[٢] يستضـــــاءُ

فهـــي فيـــه عـــادت كمثـــل عصـــا مـــو ســـى وتخميســـك اليـــدُ البيضـــاءُ[٣]

وقال مقرظاً (الباقيات الصالحات) للشاعر المعروف عبد الباقي العمري[٤]:

أربّ القـــوافي قـــد غـــدا لـــكَ مـــذعنا بهـــا محـــرزُ الفضـــل اكتســـاباً ووارثُـــه

لـــو (المتنـــبي) شـــاهد الحِكـــمَ الـــتي نطقـــتَ بهـــا مـــا شـــكَّ أنّـــك باعثـــه

هـــي (الباقيـــات الصـــالحات) أطايـــب الـــ قـــريض، ولكـــن مـــا ســـواها خبائثـــه

فحســـبُك منهـــا معجـــزاً بمـــديح مَـــنْ معـــاجزُ كـــلّ الأنبيـــاء موارثـــه

غـــدت كعصـــا موســـى ولكنّمـــا بهـــا قـــد التقفـــا ســـحر القـــريض ونافثـــه

كفـــى إنّهـــا في أمَّـــة الشـــعر قبلـــةٌ إليهـــا قـــديمُ الـــنظم صـــلّى وحادثـــه

وقال مقرظاً كتاب (الروض الخميل في مدح آل جميل)[٥]:

هـــذا كتـــابٌ أم حديقـــة روضـــةٍ تتنـــزَّه الأحـــداقُ في أورادهـــا

---

١ - الحديدة الضخمة الواسعة.

٢ - في ديوان الفاروقي: افرنده، وفي المطبوع: فريده وهو غلط.

٣ - في مخطوطة الملاّ: فهي عادت من نوره كعصا موسى.

٤ - لم تثبت هذه القطعة في الديوان المطبوع، ولكنّها مثبتة في العقد المفصل ١ / ٢٤٢ - تأليف صاحب الديوان.

٥ - آل جميل: أسرة جليلة معروفة في العراق، نبغ منهم فريق من الشعراء والعلماء والأعيان، وجدّهم: محمد جميل بن عبد الجليل، وأولاده عبد الغني وإخوته. هاجر من الشام إلى بغداد، وأشهر منْ نبغ منهم عبد الغني فقد حاز على جلالة ورفعة ومكانة سامية بين أعلام العراق وحكّامه. وقد ألّف السيد عبد اللّه بن أبي الثناء الآلوسي هذا الكتاب (الروض الخميل في مدائح آل جميل) توجد منه نسخة عند المؤرّخ عباس العزاوي، وقد نشر العزاوي مجموعة عبد الغفار الأخرس في عبد الغني جميل.

وتـــودُّ لـــو شـــرت[١] العيـــون بياضـــه وســـــوادَه ببياضـــــها وســـــوادها

نظمـــت بـــه غـــرر الكـــلام مصـــاقعٌ[٢] روحُ الفصـــــاحة قـــــام في أجســـــادها

غـــــرراً بـــــدت كالشـــــهب[٣] إلاّ أنّهـــــا بزغـــت بليـــلٍ مـــن ســـواد مـــدادها

لـــو شـــنَّف الشـــادي الحَمـــام بهـــا إذن خلعـــت لـــه الأطـــواق مـــن أجيادهـــا[٤]

يهـــوى فـــؤادُ المـــرء يغـــدو مســـمعا ليحـــوز حـــظَّ الســـمع مـــن إنشـــادها

لفـــــظٌ أرقُّ مـــــن الصَـــــبا وفخامـــــة معنـــاه تحســـب قُـــدّ مـــن أطوادهـــا

دع مـــا يزخرفـــه الربيـــعُ وإن زهـــت أزهـــــاره بـــــين الـــــربى ووهادهـــــا

وتصـــفح (الـــروضَ الخميـــل) فرغبـــةً لثـــراه تنســـى العـــينُ طيـــب رقادهـــا

تحظـــى بكـــلّ طريفـــةٍ مـــن حســـنها غـــدت العقـــولُ العشـــر مـــن روّادهـــا

ويعـــدُّ مـــن (آل الجميـــل) مناقبـــا تهـــوى النجـــومُ تكـــون مـــن أعـــدادها

وقال مقرظاً شعر العلاّمة الميرزا أبي الفضل[٥]، أحد تلامذة الحجّة السيد ميرزا حسن الشيرازي:

يـــا أبـــا الفضـــل كلّمـــا قلـــتَ شـــعرا فيـــه أودعـــتَ مـــن بيانـــك ســـحرا

وإذا مـــــا بعثـــــتَ غـــــائص فكـــــرٍ في بحـــــور القـــــريض أبـــــرزتَ درّا

كـــم تعاطيـــتَ غايـــةً جئـــتَ فيهـــا ســـــابق الحلبتـــــين نظمـــــاً ونثـــــرا

---

١ - شرت: باعت، واشترت: ابتاعت، وهو من الأضداد المعروفة في اللغة.

٢ - المصاقع: واحده مصقع، وهو الخطيب البليغ القول والجهوري الصوت، أو الذي لا يرتج عليه في الكلام.

٣ - وفي المخطوط: كالشمس.

٤ - شنف الجارية: جعل لها قرطاً، والشادي: المرتل.

٥ - هو الميرزا أبو الفضل أحمد بن أبي القاسم ابن الحاج محمد علي ابن الحاج هادي النوري الطهراني، عالم جليل، وشاعر معروف، له ديوان طبع بطهران على الحروف. ولد عام ١٢٧٣ هـ، وسكن النجف زمناً طويلاً منذ النشاة إلى أن اشتهر بين أعلام عصره، رجع إلى طهران وتوفّي بها عام ١٣١٦ هـ. ترجمت له في كتابي شعراء الغري ١ / ٣٣٣ - ٣٤٦.

لـــكَ حـــرٌّ مـــن النظـــام رقيـــقٌ ورقيـــق النظـــام مـــا كـــان حـــرّا
إن تصـــفحته تجـــد كـــلّ شـــطرٍ فيـــه يحـــوي مـــن المحاســـن شـــطرا
لـــفَّ في نشـــره بـــديع القـــوافي ببـــديع ترويـــه لفّـــاً ونشـــرا
كلِـــمٌ كلّـــه ســـبائك تـــبرٍ مـــا ســـكن الأفكـــار شـــرواه[1] تـــبرا
صـــغته بـــاهرَ المعـــاني فقلنـــا إنَّ لله في معانيـــك ســـرّا
قـــد تجلَّـــى بـــدر[2] نظمـــك عصـــرٌ جئـــتَ فـــرداً بـــه فناهيـــك عصـــرا
وهـــدت قالـــة القـــريض نجـــومٌ طلعـــت في ســـماء طرســـك زُهـــرا
ذكرتنـــا (ذكـــرى حبيـــبٍ) فقلنـــا إنَّ في هـــذه القـــوافي لـــذكرى
وســـقتنا (غيـــث[3] الوليـــد) فقلنـــا أنـــت بالانســـجام يـــا غيـــث أحـــرى
وتلـــت (مُعجـــزاً لأحمـــد) يـــدعو مَـــنْ وعـــاه: آمنـــتُ ســـرّاً وجهـــرا
فاجتنينـــا للأُنـــس زهـــرة روضٍ واجتلينـــا كالشـــمس عـــذراء بكـــرا
ينثـــني العقـــلُ حـــين تتلـــى كـــأنَّ الـــ لفـــظ كـــأسٌ والســـمع يرتـــاح ســـكرا
فـــأرى (الخضـــر) أنـــت لكـــن لديـــه (عـــين مـــاء الحيـــاة) تنبـــع خمـــرا
هـــي آيـــاتُ مرســـلٍ بـــالقوافي ربُهـــا قـــد أحـــاط بـــالنظم خـــبرا
قـــد قرأنـــا عـــزائم الشـــعر منهـــا وســـجدنا لله حمـــداً وشـــكرا

وقال مقرظاً رسائل العلاّمة الميرزا محمد الهمداني[4]، ومذيّلاً للتقريظ برسالةٍ:

أنطقـــتَ بارعـــةً يـــرى حـــتى العـــدوُّ وفاقَهـــا

---

١ - الشروى: المثل. يُقال: (لا يملك شروى نقير)، أي مثل نقير، والنقير نكتة في النواة.

٢ - وفي نسخة: تجلى ببدر.

٣ - المعروف: عبث الوليد، وهو شرح ديوان البحتري لأبي العلاء المعرّي.

٤ - شاعر كاتب أديب فقيه، قطن الكاظمية وتوفّي عام ١٣٠٠ هـ، وله كتب ورسائل وديوان في أدب التأريخ أسمّاه (نصوص اليواقيت). ترجمت له في كتابي شعراء بغداد.

تـــــأبى النزاهـــــة أن يـــــذمَّ ذوو[1] الكمـــــال نفاقهـــــا

فهـــــي الهـــــدىُ لكفؤهـــــا[2] والصـــــدق كـــــان صـــــداقها

عـــــذُبت مقالتهـــــا فمـــــا أحلـــــى الغـــــداة مـــــذاقها

إنّي رأيـــــتُ (محمـــــدا) فضُـــــلَ الأنـــــام وفاقهـــــا

فـــــات الأفاضـــــلَ لاحقـــــا حـــــتى شـــــأى ســـــبّاقها

ورقـــــى معـــــارج مـــــا امتطـــــى أحـــــدٌ ســـــواه بُراقهـــــا

مـــــا زال يخـــــرق مـــــن سمـــــا وات العلـــــوم طباقهـــــا

حـــــتى لقـــــد[3] ضـــــربتْ علـــــى السـبع الطبـــــاق رواقهـــــا

وغـــــدت لخدمـــــة ســـــعده الـــــ ـجـــــوزا تشـــــدُّ نطاقهـــــا

هـــــذا الـــــذي راقتـــــه أبكـــــا رُ العـــــلاء وراقهـــــا

بمناقـــــبٍ غـــــرّ أهلّـــــ تهـــــا أمـــــنَّ محاقهـــــا

زهـــــرت سمـــــاءُ الفضـــــل[4] لمّـــــا زيَّنـــــت آفاقهـــــا

يـــــا مـــــنْ لحلبـــــة فضـــــله أجـــــرى يـــــروم لحاقهـــــا

[قـــــف حيـــــث أنـــــت وخـــــلّ محـــــرزة المـــــدى وســـــباقها

قـــــد أحـــــرز الغايـــــات مَـــــنْ أجـــــرى لهـــــنَّ عتاقهـــــا

فإليـــــك عـــــن لجـــــجٍ نهيـــــ ينَـــــك أن تخـــــوض عماقهـــــا][5]

هـــــذي رســـــائله فقـــــف متصـــــفحاً أوراقهـــــا

ترَهـــــا عقائـــــل فكـــــرةٍ أخـــــذ النهـــــى ميثاقهـــــا

---

١ - في المخطوطتين: أن تذم ذوو الكمال.

٢ - في المطبوع: فهي الهدى لكفورها.

٣ - وفي مخطوطة الأصل:

حـــــتى لـــــه ضـــــربت بأفـــــ ـنية النجـــــوم رواقهـــــا

٤ - في مخطوطة الأصل: العلم.

٥ - الأبيات الثلاثة لم تثبت في المطبوع.

وحـــــــــدائقاً فيهـــــــــا المعـــــــــا ... لي نزَّهـــــــــــت أحـــــــــــداقها

وشـــــــــدت بهـــــــــا ورقُ الثنـــــــــا ... مـــــــــذ[1] شـــــــــاهدت إيراقهـــــــــا

وتلـــــــــذذ الـــــــــذوقُ الســـــــــليم ... بهـــــــــا عشـــــــــية ذاقهـــــــــا

ولعمري إنّ هذه الرسائل، المزرية بنورَ الخمائل، كلّها آيات فضلٍ مبهره، قد تنزلت من سماء فكرةٍ نيّره، أينما تليت فهي تشهد أنّها معجزات من هو كاسمه محمد، ولا ملامة إن قلت: ختم به العلم أفاضله وأعلامه؛ فإنّه علامّة العصر، بل نسيج وحده، وزينة جيد الدهر، بل واسطة عِقده، ومركز دائرتي المناقب والمآثر، وجمّاع سلسلتي المحامد والمفاخر، ولقد حلّ من أفاضل الزمن محلّ الروح من البدن، وكفى بمؤلّفاته الآخذة بأطراف الفضل شاهداً، وناهيك بها شاهد عدل، فلنمسك عنان المقال عن الثناء عليه، ببنان الدعاء له في نموّ أغراس نعم اللّه لديه، فالشمس غنيَّة بإشراقها، وحسب الحمائم زينة بأطواقها، (وهل ينفع التحجيل مَنْ هو أشهب).

وقال مقرظاً (الرحلة المكيّة) منظومة العلاّمة الشيخ محمد حسن كبّه:

طـــرح الـــدهرُ في حمـــى المجـــد رحلـــه ... عنـــد مـــولىً يمـــيرُه اليـــوم كلَّـــه

ولدتـــــه العُلـــــى وآلـــــت بـــــأن لا ... تلـــدَ الـــدهرُ في بـــني الـــدهر مثلـــه

ســـيفُ عـــزٍّ لقـــد تقلَّـــده المجـــدُ ... وبـــالجود أحســـن الفخـــر صـــقله

ملـــكٌ تطلِـــع العُلـــى منـــه بـــدرا ... في عيـــون الحواســـد اشـــتبَّ شـــعله

أفرشـــته الخـــدود مـــنهم ولكـــن ... حســـدت فوقهـــا الكواكـــبُ نعلـــه

لم يعـــب مـــن خصـــاله الغـــرّ شـــيٌ ... غـــير بشـــرٍ ينســـي[2] بـــه الضـــيف أهلـــه

خفـــر النـــاسُ ذمّـــة الجـــود لكـــن ... حســـنُ الفعـــل قـــد رعـــى اليـــوم ألّـــه

---

١ - في المطبوع: إذ.

٢ - في المطبوع: ينمي.

وحَّـــد المـــدح منـــه للفضـــل ربَّـــا ... والثنـــا في ســـواه يحمـــد عجلـــه
درجـــت في العُلـــى أماجـــدُها الغـــ ... ـرُّ وكـــانوا شـــيخ العـــلاء وكهلـــه
ثمّ أبقـــت (محمـــداً حســـن) الفعـــل ... علـــى فخرهـــا بهـــا مســـتدّله
ولعمـــري لا يكمـــل الفخـــرُ حـــتى ... يصـــف الفـــرع طيبـــا لـــك أصـــله
في لســـان الثنـــاء رحلـــة نـــدبٍ ... كـــلُّ يـــومٍ لـــه إلى الفخـــر رحلـــه
وصـــفَ البيـــد كيـــف أنضـــى المطايـــا ... فطـــوى رحبهـــا لينشـــر فضـــله
يـــا مبـــاري الصَـــبا بصُـــغرى بنـــانٍ ... بالعطايـــا سماؤهـــا مســـتهلَّه
عجبـــاً يبتغـــي عُـــلاك ابـــنُ نقـــصٍ ... مـــا حـــوى مـــن خصـــالك الغـــرّ خصـــله
رفعـــت قـــدركَ المعـــالي عليـــه ... فلهـــا أنـــت عمـــدةٌ وهـــو فضـــله
وقـــوافٍ منظومـــةٍ لقبوهـــا ... رحلـــةً حـــطَّ عنـــدها الشـــعر رَحلـــه
منـــك ألفاظهـــا مجاجـــة مســـكٍ ... مُزجـــت حلـــوةً بشـــهدة نحلـــه
كـــم جلـــت لامـــرئٍ عقيلـــة معـــنىً ... أمهرتهـــا يـــدُ التعجـــب عَقلـــه
ليـــت مـــن مقلـــتي بـــدت بســـوادٍ ... في بيـــاضٍ لكـــن بخـــط (ابـــن مقلـــه)
كلمـــاتٌ في وصـــف حجّـــكَ جـــاءت ... كعطايـــاك في المكـــارم جزلـــه
قـــد روتـــه لنـــا فناديـــت أرّخ ... (حـــيّ حجّـــا يتلـــو مســـاعٍ برحلـــه)

وقال مقرظاً كتاب العلاّمة الميرزا محمد الهمداني:

هـــو طِـــرسٌ أم خـــدُّ عـــذراء تُجلـــى ... خـــطَّ فيهـــا الإبـــداعُ مـــا كـــان أملـــى
وســـطورٌ تـــلألأت أم ثغـــورٌ ... مـــن غـــوانٍ يبســـمن زهـــواً ودلاّ
بـــل كتـــابٌ (محمـــدٌ) جـــاء فيـــه ... بلســـان الإعجـــاز في النـــاس يُتلـــى
لا تُشـــبّه عقـــوده بفصـــولٍ ... ناعمـــاتُ الصـــبا بـــه تتحلّـــى
فمـــن الـــدرّ نظـــم كـــلٍّ ولكـــن ... درّ هـــذي الفصـــول أحلـــى وأعلـــى[1]

---

١ - في المخطوطتين: أعلى، كما في المطبوع أيضاً، ولعلّها: أغلى.

إن تصـــــــفّحته بعقـــــــلٍ تجـــــــده كيـــف يهـــدي لمـــنْ تفهّـــم عقـــلا

يـــا صـــناع الـــيراع بـــل يـــا إمـــام الـــ ـــحـــرمين اســـتطل علـــى النـــاس فضـــلا

إنَّ مـــن بعـــض مـــا بنانـــك خطّتـــ ـــــه كتابـــاً حـــوى المحاســـن كـــلاّ

ولدتـــــه رويّـــــة لـــــك يقظـــــى إنّهـــا لم يلـــد لهـــا الـــدهرُ مـــثلا

غـــير بـــدعٍ إذا تحلّـــى بـــه العصـــرُ فأنـــت الســـيفُ الصـــقيل المحلّـــى

بـــل ذكـــاء الهـــدى وأقســـمُ حقـــا بنهـــارٍ للفضـــل منـــك تجلّـــى

إن هـــــذا الكتـــــاب روض فنـــــونٍ يجتـــنى مثمـــراً كنانـــاً ونـــبلا[1]

ظـــلُّ أوراقـــه النهـــى فتصفحـــ ـــنـــا عليهـــا منثـــور لفظـــك طـــلا

فنظمنـــا لـــه وقـــد راق حســـنا عقـــد مـــدحٍ وكـــان للمـــدح أهـــلا[2]

فشـــممنا ريحانـــة النُقـــل منـــه وهجرنـــا ســـواه إذ كـــان بقـــلا

---

١ - في المطبوع: كمالاً ونبلا.

٢ - في مخطوطة الملاّ: أحلى.

متفرقات

قال (رحمه اللّه) هاجياً:

اكـــــرّر الطـــــرف[1] لا أرى أبـــــدا ... إلاّ غبيّـــــــــــاً أنى تلفَّـــــــــــتُ

مـــن كـــل مَـــنْ ذقُنـــه (كعانتـــه) ... والفـــــمُ منـــــه كأنّـــــه اســـــتُ

ومعجبـــــاً كـــــلُّ مشـــــيه مَـــــرجٌ ... ومترفـــــاً كـــــلُّ أكلـــــه ســـــحتُ

وقال:

وحـشٌ مـن الأنـس مـنْ يعلـق بصـحبتم ... يكـــنْ كمســـتبدلٍ ســـقماً بصـــحتهِ

كـــأنّني بيـــنهم مســـكٌ أحـــاط بـــه ... ريـــحُ البطـــون فـــأخفى طيـــبَ نفحتـــهِ

وقال:

كـــم تـــراني أســـتولد الأوقاتـــا ... فرجـــاً في انتظـــاره الصـــبرُ ماتـــا

وإذا هبَّـــت الحظـــوظ فحظّـــي ... يقطـــعُ الليـــلَ والنهـــار ســـباتا

وقال يهجو أهل زمانه:

مـــا أكثـــر النـــاس لـــولا أنّهـــم بقـــرٌ ... تـــأتي المثالـــب أفواجـــاً إذا ذكـــروا

لـــو شـــام آدم بعضـــاً مـــن فضـــائحهم ... لمـــا أحـــبَّ لـــه أن ينســـبَ البشـــرُ

وقال:

إن يبلغنَّـــك عـــن جـــود امـــرئ خـــبر ... فكـــذِّب الســـمعَ حـــتى يشـــهد البصـــرُ

ولا يغـــــرُّك إن راقـــــت ظـــــواهره ... فـــــربَّ دوحٍ نضـــــيرٍ مالـــــه ثمـــــرُ

وقال هاجياً بعض الناس:

أفـــــلان لا تبغـــــي الثنـــــاء فمـــــا ... لـــكَ في الثنـــا مـــن نعمـــةٍ تُجـــزى

إنّ الـــــذي يثـــــنى عليـــــكَ كمَـــــنْ ... دون المهـــــيمن يعبـــــد الرجـــــزا

---

١ - في المطبوع: أكرر طرفي فلا أرى أبداً.

وقال هاجياً بعض الشعراء:

فويـــلُ القـــريض لقـــد أصـــبحتْ ... بـــه أغبيـــاء الـــورى تـــدَّعي

بقيّـــةُ عـــارٍ دنّ الهجـــاء ... ترفَّـــع عـــن قـــدرها الأوضـــعِ

وقال مشيراً إلى زيارة أحد أصدقائه في ليلة هبت فيها عواصف ورياح[1]:

ســـعدت مـــن عشـــيّة زار فيهـــا ... قمـــرُ المجـــد ربعنـــا فأضـــاءا

وأظـــنّ الريـــاح قـــد حســـدتنا ... فهـــي وجـــداً تـــنفسَّ الصـــعداءا

وقال يصف خيمة ضربت لمأتم الإمام الحسين (عليه السّلام)، والفرش في دار العلاّمة السيد مهدي القزويني في العشرة الأولى من شهر المحرّم:

أهـــذا نـــبيُّ الهـــدى أحمـــدُ ... وهـــذا الـــذي ضـــمَّنا المســـجدُ

مـــن الـــدمع محمـــرَّةٌ أرضـــه ... وســـقف الســـماء بـــه أســـودُ

وجبريـــل إذ قـــام ينعـــى الحســـين ... وتبكـــي الملائـــك إذ تنشـــدُ

نعـــم وأبيـــك بهـــا أحمـــد ... وأمـــلاك ربّ الســـما تشـــهدُ

فمـــا عـــذر عيـــنكم في الجمـــود ... وعـــين الملائـــك لا تجمـــدُ

وقال وقد التمسه بعض الرؤساء أن يعمل تلغرافاً إلى النقيب وهو في استانبول:

ليـــت مـــنّي نيـــاط قلـــبي إلى قســـطنط ... يـــن يمتـــدُّ مـــن أقاصـــي العـــراقِ

فيـــؤدي إليـــك أضـــعاف مـــا أدَّ ... يـــت بـــالتلغراف مـــن أشـــواقي

أنـــت بـــدر العُلـــى فمـــا برحـــت فيـــ ... ـك إلينـــا مضـــيئة الآفـــاقِ

فعلـــى البـــدر نالنـــا منـــك مـــا نـــ ... ـنـــا علـــى البعـــد منـــك بالإشـــراقِ

---

١ - لم يثبت البيتان في المطبوعتين.

وقال في كتاب كتبه لبعض الأكابر:

قـــــل للنســـــيم وقـــــد ســـــرى ... ســـــحراً بأنفـــــاسٍ رقيقـــــه
يـــــا مشـــــبها عنـــــدي (أبـــــا ... محمـــــود) في طيـــــب الخليقـــــه
إحمـــــل إليـــــه رســـــالة ... تحكـــــي ســـــجاياه الأنيقـــــه
مـــــن شـــــيِّق في لجّـــــة الأشـــــ ... ـواق مهجتـــــه غريقـــــه
ولأنـــــت والـــــبرقُ ازويـــــا ... عـــــن قلـــــب وامقـــــه خفوقـــــه
شـــــوقاً لحضـــــرته الـــــتي ... كـــــلّ النفـــــوس لهـــــا مشـــــوقه
هـــــو فـــــرع أصـــــلٍ قـــــد غـــــدت ... يثـــــرى[1] علـــــى الجـــــوزا عروقـــــه
مـــــن دوحـــــةٍ في ريّ مـــــاء الـــــ ... ـمكرمـــــات غـــــدت وريقـــــه
يـــــا مـــــنْ تمـــــنّى الـــــنجم حـــــين ... سمـــــا إلى العليـــــا لحوقـــــه
مَـــــنْ ذا لمجـــــدك يرتقـــــى ... وســـــواك لم يســـــلك طريقـــــه
إنَّ الكـــــرام هـــــم المجـــــاز ... وأنـــــت للكـــــرم الحقيقـــــه

وقال في رسالة لبعض الأشراف:

ســـــلامٌ برقَّتـــــه قـــــد حكـــــى ... ونفســـــك رقَّـــــة أخلاقِهـــــا
حبـــــاك بـــــه مغـــــرمٌ أحكمـــــت ... مودّتـــــه صـــــدق ميثاقهـــــا
تـــــرفُّ بمهجتـــــه دائمـــــا ... إليـــــك نـــــوازع أشـــــواقها
رآك تفرّعـــــت مـــــن دوحـــــةٍ ... زكـــــا في العُلـــــى طيـــــب أعراقهـــــا
وأيكـــــة مجـــــدك قـــــد غـــــرَّدت ... حمـــــامُ الثنـــــاء علـــــى ســـــاقها
وغـــــرُّ مســـــاعيك في المكرمـــــات ... تطـــــول بزينـــــة أعناقهـــــا
وفخـــــرك لم تحـــــك شمـــــس الســـــما ... ســـــناه ببـــــاهر إشـــــراقها
فأهـــــدي كأخلاقـــــك الزاهـــــرات ... إليـــــك تحيـــــة مشـــــتاقها

---

١ - كذا جاء في المخطوط. وفي المطبوعتين: بثرى، وفي المعنى التباس.

وقال في وصف خيمة ضربوها في دار العلاّمة السيد مهدي القزويني في شهر المحرّم قد بطنت في بياض:

اليـــوم قـــد صـــوّت نـــاعي الهـــدى يفصـــــحُ بـــــالنعي ولا يكـــــني

ينعـــى قتيـــل الطـــفّ عنـــد ابنـــه المهـــديّ مـــولى الأنـــس والجـــنِّ

وقائـــلٍ ذا الســـقف مـــا بالـــه أبـــيضُّ وعهـــدي فيـــه كالـــدجنِ

قلـــت: رأى المهـــدي مستشـــعر الـــ ســـواد حزنـــاً بـــاكي الجفـــنِ

فصـــار عينـــاً كلّـــه للبكـــا فهـــا هـــو أبـــيضَّ مـــن الحـــزنِ

وقال (رحمه اللّه):

خـــذي قلـــبي إليـــك فقلبّيـــه تـــرى لا موضـــعاً للصـــبر فيـــهِ

وهـــل للصـــبر منزلـــة بقلـــبي بأســـهمها النوائـــب تدَّريـــهِ

١ - قال مقرظاً كتاب (الرحلة المكية) للحاج محمد حسن كبّه:

أيّها الرائد خميلة الآداب، الماخض ثميلة الأفكار والألباب، أمعن سير رواحل فكرك في شعاب هذه الرحلة، وذق بذوقك السليم في استعذاب هذه النحلة، واعرف كيف يُجتنى الوردُ، وبأيّ عين يراد، وكيف يجتنى الشهد، ومن أين يشتار ويستجاد.

فلقد بهرني هذا الكامل الذي ما كشفتْ عن مثله ذيولها الحواضنُ من العقائل، ولا علقتْ بمثله من النطف الغرّ أرحام الحوامل، ولا اتفقت ألسنة المدح إلاّ على فضله، ولا قلَّب الدهر أجفان حائرٍ قبل هذا في مثله؛ فابعث رائد نظرك في نجمع شمائله، ولمع مخائله، وقلِّبْ أجفان التوسّم، والحظْ كيف جمع بين التبذخ في معاليه، وبين التواضع في شرف التكرُّم، وتصفحّه بعين الفراسة، وتعجبْ من ماجدٍ كملت في شرخ شبابه فيه معاني السؤدد والرياسة، فأصبح كعبة الفتوّة، ومروة الإحسان والمروّة. تتعرّف للناس عرفاتُ جوده ونداه، فما دعا طائف الرجاء به إلاّ ولبّاه، فكلّ أيامه ولياليه نحرٌ وتشريق، وكلّ آناته مباهلةٌ بالجود وتصديق. قد جمع في حجّه بين مشعر الحرم ومشعر الجود والكرم؛ في رحلة شرفٍ راقتْ منه بأميرها، ونحلة ظرفٍ شاقتْ منه بابن أثيرها؛ تارةً تجدُه ابنَ مفازة، وتارة ملكاً جعل إلى العليا على النجوم مجازه.

يتنقَّل في تلك الأودية، وتخفق عليه تلك الرايات والألوية، في فلوات مجاهل عميِّة الإيضاح، خرساء صدى الصحاري والبطاح. يتلون خرِّيتها تلون آلها، ويمور من الهجير مور أنقائها، أوقبَّ صلالها؛ وتارة يصف لك تلك المنازل، وما حوتْ رياضها من ألمها الخواذل، والجواري المطافل، فيدعُك آنساً بتلك الخمائل كأنّك بينها نازل، وينعت لك شقائقَ وردٍ كأنّه أبو قابوسها، ويأخذ في نشر حديث أزهارها كأنّه وشيُ حلية طاووسها، ويحدّث عن مناهل كان

ابن فراتها، وعن صواهل كما قيل: كأنّما نتجتْ تحتهُ قياماً، أو كأنّه ولد على صهواتها، وعن إبلٍ ما أعجب ما وصف به رواحلها، كأنّه لا سواه نتج قادحها وبازلها، ثمّ يذكر في أثناء ذلك مساءه وصباحه، وغدوَّه ورواحه، وعشيَّه وأبكاره، وأصيله وأسحاره، بمنطق عذبٍ، وكلامٍ أرقّ من خدِّ المحبوب وحشاشة الصبّ، ويتنقل في خلال ذلك في وصف طلوع الشمس وغروبها، وبزوغ الكواكب ومغيبها، ويتشوّق إلى أحبّته، وأهل مودّته، إلى غير ذلك ممّا اشتملتْ عليه أبيات تلك الرحلة، وكلمات هذه النحلة، في نظمٍ كالذهب الإبريز، أخلصه السبك، أو كالؤلؤ الرطب، تتوالى فرائده في أحسن سلك، وحيث راقني بها الإعجاب، وأخذك منّي ما تأخذه محاسنُ بارعة الجمال من القلوب والألباب، قرضتُ كعابها، وقرطتُ من أبياته أترابها، فحليتُها بهذا الوقف، وشنّفتها بهذا الرعاث والشنف، وذلك قولي فيها، وفي منشيء معانيها:

طـــرح الـــدهرُ في حمـــى المجـــد رحلـــه عنـــد مـــولىً يمـــيره اليـــومَ كلَّـــه[1]

أقول: ولعمري أين يقع هذا التقريض من مدحه على هذا النظم الذي عادت به حياة القريض؟ وإنّي لأحمدُ اللّه على ما أولانا من عظيم المنن، إذ رُفع يتمُ الشعر في هذا الزمن بخلف آبائه الحسن، وحقيقٌ أن أقول فيه، وإن لم أوفّه من المدح حقَّ معانيه[2]:

مـــا حليـــةُ الـــدنيا ســـوى أمجادهـــا يزهـــــرُ في بهـــــائم نـــــديّها

واليـــوم قـــد زينـــتْ ومـــن محمـــدٍ لا مـــن ســـواه حســـن حليُّهـــا

قـــد نســـج الفخـــر لـــه مطارفـــا مطـــــرّزٌ بصـــــنعه بهيُّهـــــا

فلا أدري أوسط الزوراء، أم قمرٌ توسّط منها فلكاً، تباع جواهرُ الحمد،

---

١ - تقدّمت في حرف اللام.

٢ - وفي المطبوع: معاليه.

وتحلَّت لطائمُ الثناء، أعبق من لطائم المسك والند إلى عالمٍ منه بأثمانها، وخبيرٍ بتفاوت حسنها وإحسانها.

***

٢ - قال وقد كتب بها إلى الحاج محمد حسن كبّه جواباً على رسالةٍ وردت منه:

ما عقدَ الحمدُ خنصره، ولا فتح المجدُ بصره، على أنضر عود مكارمٍ، وأزهر طلعةٍ لشائم، من أبلج بسّام العشيّة في الزمن البهيم، سيماء الشرف الوضّاح على قسمات وجهه الكريم، يسفرُ للجود عن محيّا أنور من بدرٍ تم، يقرأ الوافدُ عنوان صحيفته هذا قبلة الكرم:

وجـــــهٌ كـــــأنَّ البـــــدر شـــــا ... طـــــره الضـــــياءَ أو النجومـــــا

لـــــو قابـــــل الليـــــلَ البهـــــيم ... لمـــــزَّق الليـــــل البهيمـــــا

يجلـــــو الهمـــــوم وربِّ وجـــــهٍ ... إن بـــــدا جلـــــب الهمومـــــا

فبوركتْ طلعة ذلك الأغرّ، وحياه اللّهُ ما تعاقب الأبيضان الشمس والقمر، فلعمري كم أطلقت يده البيضاء من صنيعةٍ غرّاء، قد عُقلتْ نعمُ الشكر بأفنية نعمه، وملكتْ أعنَّة سوابق النظم والنثر فلا تستبق لغاية سوى الثناء على أخلاقه وكرمه حتى مكث ركابُ الشكر على تلك المواهب حبيساً، وأقسم الثناء بتلك المناقب لا لمستْ يداه سواها لموسى، وأين بركاب الشكر من تلك الرحبة الخضراء، وماذا تلمس بعد تلك المناقب يدُ الحمد والثناء؟ وهل في هذا الزمن إلاّ (محمد حسن) ماجدٌ ما اسودَّ ليلُ الظنّ لطامع، إلاّ أبيضَّ من أشعة وجهه القمر الطالع؟ وإنّي وإن أحكمتْ منّي يدُ الإخلاص عقد ودّه، وأمنتُ عليها أنْ تحلَّ بيد هجرانه وصدِّه، لمعتذرٌ إليه من إبطائي عليه، فلقد ساورني الدهرُ بشواغل هي قيدُ الفؤاد والفكر، فأصبحت قليل الحظوة، ثقيل الخطوة، عاثراً بذيل التقصير، ناظراً من الخجل على البعد بطرفٍ حسير، قد بعثت العذرَ على

لسان هذه الغادة الكعاب التي ربما وقف الحياءُ بها دوين الباب، والرجاء من كرم أخلاقه، وشرف أعراقه، أن يعيرها سمعَ مسامحٍ وهّاب:

إحـــــدى الغـــــواني إلى الـــــزوراء جاءتـــك تمشـــي علـــى اســـتحياءِ[1]

* * *

٣ - وكتب إليه أيضاً يعتذر إليه:

قـــد جـــنى لي الزمـــانُ أعظـــم ذنـــبٍ وغـــدا عنـــه شـــاغلي أن يتوبـــا

فلقد أقعدتني العللُ حيث أقامني الخجلُ، ومثلت بي الأمراض في هيئةٍ من غيره الصدود والإعراض، إلاّ أنّ أعناق الآمال لم تزل متطاولة إلى هبوب نفحات الإقبال بقبول العذر ممّن نزل به السقم منزلة الصحة من جسده، وحنى اللحدُ أضلاعه على بعض أولاد أخيه وكان أعزّ عليه من أفلاذ كبده، ومع طوارق أُخر، كلُّ طارقةٍ منها تقول لا وَزَر، أيسرُها ابتلاء الدهرُ له بحبسه مع غير أبناء جنسه؛ لأنّي منذ فارقت ذلك النادي، وحللتُ ولكن في غير بلادي، إلى الآن مقسم الفكر بين معالجة الأوصاب، ومعالجة انتساخ ذلك الكتاب، فإذا انحسرتْ عنّي آونة غمرةُ الألم، وأفقتُ قليلاً من سكرة السقم، أقبلتُ على التحرير، قائلاً لا يُحمد ترك القليل لفوات الكثير، وبينما أنا كذلك إذ وردتْ إليّ تلك الرسائل، وأنا في حالٍ كأنّي المنعوت فيها بقول القائل:

أهـــمُّ بـــأمر العـــزم لا أســـتطيعه كمـــا حيـــل بـــين العـــير والنـــزوانِ

فلولا أنّها تابعتْ إلى طروقها، وشفعت برعدها بروقها، حتى خفتُ أنْ ينصبَّ عليَّ سوط عذابها، لما ألهاني عن تنميق الكتاب تنسيق جوابها؛ لأنّها يا عافاك اللّه ممّا أشتكيه، ومتَّعك من الصحة بأكمل ما ألتمسه من اللّه وأرجيه، وإنْ كان ورودُها إليَّ منك؛ فإنّي قد آثرتُ الاشتغال بك

---

١ - تقدّمت في باب الموشّحات.

حتى عنك، هذا عذريْ إليك، وأنا على ثقةٍ من قبوله إذا نشره بنانُ الاستعطاف لديك، ولقد وشحتُ هذه الألوكة بنظم هذه الأبيات التي جاءت أرقُّ من ريطة وشيٍ محوكة، وجعلتُ معانيها السحّارة كفّارة ما سلف من الذنوب، وأيَّ كفارة:

يـــا مَـــنْ لويـــتُ بـــه يـــد الخطـــب وبـــــه ثنيـــــتُ طلايـــــعَ الكـــــربِ[1]

٤ - وقال وقد كتب بها إليه جواباً على كتابٍ أرسله أيضاً:

في فمـــــي لم يـــــزلْ لـــــذكركَ نشـــــر طيّـــــبٌ واختـــــبرْ بـــــذاكَ النســـــيما

وبمـــــرآة فكـــــرتي لم يـــــزلْ شخـــــ صُـــــك نصـــــب العينـــــين مـــــنّي مقيمـــــا

وعلـــــى النحـــــر مـــــن عُـــــلاك ثنـــــائي لـــــيس ينفـــــكُّ عقـــــده منظومـــــا

لا تظـــــنّ البعـــــاد يحجـــــبُ عـــــنّي منـــــك ذيالـــــك المحيّـــــا الكريمـــــا

أنـــت عنـــدي بالـــذكر أحضـــر مـــن قلـــ بي بقلـــــبي فكـــــنْ بـــــذاك عليمـــــا

لســـتُ أقـــوى لحمـــل عتبـــكَ يـــا مـــنْ حملـــــتْ فخـــــره المعـــــالي قـــــديما

فـــاثنِ عـــن غـــرب عتبـــك اليـــوم عـــنّي فيـــــه قـــــد تركـــــت قلـــــبي كليمـــــا

إنّي ومَنْ جعلك ريحانة الأديب، وسلوة الغريب، لم استوجبْ منك هذا العتاب، ولم استجلبْ بمساءةِ كلّ هذا الخطاب، فهبني أسأت فأين العفوُ والكرم؟! ولعمري، لقد تجرّمتَ عليَّ ولا جرم، إنّي اعتذر الآن فأقول: إنْ هبَّت من ذلك الجناب نسماتُ القبول ما حلَّتْ أزرار جيبها الصبَا، ولا فتحت أكمام النور على الرُبى عن أطيب من تسليمات كأنّما تحدّثت بها أرواح النسيم فعطَّرتْ أنفاسها، وعن أبهى من تحيات كأنّما باهت بها الرواةُ أنواع الربيع فغطَّت خجلاً بالأكمام رأسها، ولا ملاطفة غادة كعاب، لم تعرفْ إلاّ العطر والخضاب بأوقع في النفس، واشغل للحواس الخمس،

---

١ - تقدّمت في باب المدائح.

من بديع بيان كلّه قطعُ جنان، يجلو بواضح الاعتذار ظلمة العتب، ويمحو بصادق التنصّل كاذب الذنب، من محبٍّ صدع التقريع منه الأحشاء، وأرمضتْ قلبه هواجس الاستجفاء إلى مَنْ حنوتُ عليه ولا حنوَّ المرضعات على الغرام، وغذوتُ له الحبَّ ولا غذاء الآباء طرائف الهيام حتى شبَّ وليد شوقي إليه على الشغف، ونشأ طفل ولعي به في حجر الصبابة والكلف حتى سكنتْ نفسي إلى هواه، سكون الجفن الساهر إلى كراه، وعقدتُ خنصر التعويل عليه حين توسّمت عنوان النهى بين عينيه، وسبرتُ في مباديه، وتفرّستُ في معانيه؛ لأعلم أين يكون موقعه من فخر أبيه، فرأيت الخيرُ كلّه فيه بعد أخيه حيث أنبأتني شمائله، وبشّرتني مخائله إنّه سيكون إنسان تلك المقلة، وطراز تلك الحُلة، ولا عجب، والأمر ليس بمستغرب ممّنْ ترشحُه معالي هممه، وتؤهّله محاسنُ أخلاقه وكرائم شيمه لمعارف أبيه وعوارف كرمه، أن يتّشح ببردة فخره، ويتوشّح بمناقبه بين أبناء دهره.

ولعمري، لئن حكتْ أخلاقه خلائقه، ووصفتْ مخائله بوارقه، ففي الشبل من ابن الغيل شمائل، وعلى ابن ذكاء من الغزالة دلائل، والفيء ناشيٌ من الظلّ، والفرع مبنيٌ على الأصل، وذكاء النبت بقدر ذكاء تربه، والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه، وهذه الصلصالة من ذلك الطين، وهذه السلسالة من ذلك الماء المعين، قد استهلَّ معه سعده حين وُلد مجده:

عـــــفُ الســـــريرة طـــــاهر الـــــ أبـــــراد معصـــــومُ البصـــــيره

يقتدي به مشايخُ الحزم في عنفوان شبيبته، وتعرف الإصابة كلّما رمتْ عن قسيِّ روّيته، زاده اللّهُ عليهم في الحزم بسطة، وجعل له في الكرم أنامل بسطه، قد مشى في ديار التجارب فجاس خلالها، وقاس بفتره أشبار الكرماء فطالها، يضرب بعرقيْ نسبه، ويمتُّ بطرفي حسبه إلى أبوين لا يجاريان شرفاً؛ أبٌ مرتضىً، وأبٌ مصطفى، قد صعد الذروة من هاشم،

واقتعد الصهوة من مجد قبيلة المكارم، فهو من أهل (قُل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرًا)، ومن أسرةٍ جعلوا الإنفاق لوجه اللّه ذخيرةً وذخراً، ليس على (الزوراء) وباهر نداها. أسرةٌ للشرف الواضح سواها، بل ولا على فقارة جميع ظهر الأرض عترةٌ غيرها للكرم المحض، قبيلةٌ صوَّرها اللّهُ من طينة المعروف والإحسان، وحدَّرها من صلب الشرف الأقدم على أولي الزمان، وأقرَّها في أرحام النجابة، وأولدها في رباع السماحة والمثابة، ولفَّعها بأبهى مطارف الحمد، وربّاها في حجر السؤدد والمجد، وأرضعها لبان العلياء، وفطمها إلاّ عن رضاع الحمد والثناء، وجعل بها سماحة البحر الذي لا يُخاض في عبابه، وأبرزها بهيبة الهزبر الذي لا يواجه في غابه، وكفى طيبُ أصلها إبّانه أنَّ في حدائق أحسابها ذلك الحبيب أطيب ريحانه، أعني به جوهرة الزمن، وغرَّة وجهه (الحسن)، أنمى اللّهُ غصن شبيبته على الفضائل، وشدَّ أزر المعروف من عطائه بواصل، وأرسى قواعد مجده على الأبد تخليداً، وورّد بمكانه من حسان الآداب خدودها توريداً، وأقرّ نواظرنا وناظره بشفاء أبيه الذي عقد على الكرم مآزره، مولىً أهلُ الفضل من بوارقه، وزهرةٌ من حدائقه، وأهل البذل قطرة من أمطاره، وغرفة من بحاره:

فلـــــــه أيـــــــادٍ لا تـــــــزالُ سماؤهـــــــا كرمـــــــاً مخيلـــــــه
ونقيبـــــــةٍ مـــــــا غـــــــيَّرتْ في الجـــــــود عادتهـــــــا الجميلـــــــه
ويـــــــدٌ كضـــــــرع الغيـــــــث يمـــــــ خضـــــــها الرجـــــــا مخـــــــض الثميلـــــــه

أمّا بعد: فحين وصلتْ إليَّ عقيلة فكرك، وجميلة نظامك ونثرك، طرحتُ عنها الإزار، وحللتُ من غلالتها الأزرار، ثمّ قبّلتُ منها فتاتاً تزري بفتات المسك بخلوقها، وبابنة العنقود في راووقها، فشفتْ بعذب كلامها غلّة صدري، ونفثتْ بسحر بيانها في عقد صبري، قد نشرتْ لديَّ

حديثَ واصل، ثمّ بسطتْ عليَّ لسان عاذل فأباتني تأنيبها مبيت نابغي، وقلبَّني توبيخها في مضجع ابن هاني المغربي، بل كلّما ضرب الليلُ على الأفق رواقه، وعقد على الشفق أزراره ونطاقه، أمسي وهمومي القارعة، وأفلاذ كبدي الواقعة، وفاتحة الرعد سائغ ريقي، وخاتمة الأعلى في شرايين أوردتي ووشائج عروقي، وآراثي في الشعراء، وأحشائي ما جعله الخليل في وسط الأنبياء، تقريباً بلا استثناء، وكلّما فلق الصبحُ بعموده هامة الغسق، وشهرَ خاضباً من وريد الظلام سيفه الشفق، أصبح ولسانُ حالي يترجم عن لسان مقالي، إذا رأيت قوماً إنّي نذرتُ للرحمن صوماً، فواعجباه والدهر سلكُ عجائب! والأيام مثرية من الغرائب، كيف ينصرف إليّ وهم، أو يتصوّر في خيال أخي فهم إنّي في تيّاك المودَّة أشقى بعدما تمسكتُ منها بالعروة الوثقى؟ لا وعافاك اللّهُ من العلل، وبلَّغك منتهى المجد وقد فعل، لا يلهو عن تلك المحبّة عميدها، ولا يخلق على تعاقب الليالي والأيام جديدها، وليت شعري أعتاض عنك بأيّ بدلٍ منك؟ ولمِنْ أربِّي مولود الوفاء؟ ولمِنْ أزفُّ عروس الإخلاص والصفاء، وملتمس الثقة لإيداع المقه، كالمرتبع بواد غير زرع، والمنتج في بوارٍ خالبةٍ اللمع، والمغترف من السراب الخادع، والقابض على الماء خانته فروجُ الأصابع؟ فهم ومَنْ جعلك جوهرة الزمن حريّون بقول المهيار أبي الحسن:

خُلـــقٌ إذا حـــدثت عـــن أخلاقهـــا فكأنّمـــا كشَّـــفتَ عـــن ســـوءاتها

وأمّا وعلياً أبيك، وخلاله الصالحة التي اجتمعت في أخيك وفيك، وسماء مجده التي أنتما قمراها، وعبقات فخره التي ينفح عطفاً كما بريّاها، لأنت على بعدك يا نسيج وحدك، ثاني النفس لديَّ، وثالث عينيَّ، بل أعزُّ منهما عليَّ، وما تركتُ المواجهة رغبة عن المشافهة، ولا المراسلة رغبةً عن المواصلة، كلا، بل لعوائق طارية، وشواغل غير متناهية، تلهي

الحليم عن نفسه، وتنسيه يومه فضلاً عن أمسه، ولولاها:

لنثـــرتُ حبّـــات القلـــوب ألوكـــةً ونظمتهـــا شـــوقاً إليـــك قريضـــا

* * *

٥ - وكتب إلى الحاج محمد رضا كبّه بهذه الرسالة، وصدرَّها بهذه الأبيات:

أغـــضّ النســـيم تحمـــلْ ســـلامي فحـــيِّ بريّـــاهُ (دار الســـلامِ)

ســـلامُ محـــبٍّ غريـــق الـــوداد غريـــق الفـــؤادِ ببحـــر الغـــرامِ

يُميـــتُ بشـــوق بيـــاض النهـــار ويحيـــي بشـــوق ســـوادَ الظـــلامِ

وتهفـــو نـــوازع أشـــواقه بلـــبٍّ حشاشـــته المســـتهامِ

يطـــالع بـــالفكر وجـــهَ الحبيـــب فيحظـــى برؤيـــة بـــدر التمـــامِ

حبيـــبٌ أروِّحُ قلـــبي العليـــل مـــن ذكـــره بنســـيم المـــدامِ

وشـــوقي إلى درِّ ألفاظـــه كشـــوق الريـــاض لـــدرّ الغمـــامِ

ممّنْ سكن روحُه بمحاني (الزوراء)، وأقام جسمه بمغاني (الفيحاء)، إقامة المغترب عن وطنه، اللابث في غير عطنه، لا يملك على الخفوق أثناء قلبه المشوق، ولا يُلقي سمعه إلى نديم، ولو كان أفصح الأنام، ولا يرتاح إلى مفاكهةٍ ولو كان من ولدان النعيم، عبقُ الكلام، ولا ينظر إلاّ بعين أنسيّة الأجفان وحشيّة الإنسان، قد عرفتْ آماقها الأرق، وأنكرت أحداقها الرقّق، لم تفتحْ على أناسٍ بصرها إلاّ استوحشتْ عنه؛ فغضَّتْ عنهم نظرها:

أتـــأنسُ في فـــتح أجفانهـــا عيـــوني في غـــير إنســـانها

ويخلـــص يومـــاً لنفســـي الســـرورُ إذا وصـــلت غـــير خلصـــانها

إذاً كـــذبتْ بادعـــاء الـــوداد نفســـي ومـــا الكـــذب مـــن شـــأنها

نعـــم عنـــدها الغـــدر بعـــد الوفـــاء هـــو الكفـــر مـــن بعـــد إيمانهـــا

على أنّني لم أبرح مسائي وصباحي، وغدوّي ورواحي، وعشيتي وأبكاري،

وأصيلي وأسحاري حرج الصدر، متشعّب الفكر، ملويَّ الحشاشة على حسرات متعالية، طويَّ الجوانح على زفرات إلى التراقي متراقية من لوعةٍ غير ماضية، أقتل من ماضية الحدِّ، وصبابةٍ كأنّها جمرةٌ ذاكية الوقد، فإذا غشيني الدجى بغياهبه، ورقدت الورى أحصيتُ عدد كواكبه بعين ابن شوقٍ نسيتْ أجفانه الكرى، وإذا نضا الليلُ عنّي ثيابَ ظلمائه، وألبسني النهارُ جلباب ضيائه، أقبلتُ على نفسي أعللها بوشيك التداني، وأسلّي غلّة شوقها بسراب الأماني، فتذمُّ من أمسها ما استدبرتْ، وتحمدُ من يومها ما استقبلتْ حتى يأكل فمُ الغروب قرصَ الشمس، ولم تحصل من الرجاء إلاّ على اليأس، ولما لم يبقَ لي في قوس الأماني منزعٌ، ولا في مطمعات الأماني مطمعٌ؛ سبرتُ بعين البصيرة والعقل مذاهب طرق الوصل، فوجدتها على ثلاثة أنحاء بين أهل المودَّة والإخاء؛ إمّا بمشاهدة العيان على القرب، أو حضور الحبيب في مهجة المحبّ، أو بثِّ الشوق إليه والوجد بالمراسلة على البعد، فألفيتُ أوّلها مستحيلاً، بعد أن طلبته بكرةً وأصيلاً.

وأمّا الثاني فما عداني، وحين وصلتُ بالنظر إلى طريقها الثالث، وقطعتُ عن أوّلها قرينة البواعث، وجدتُ نفسي مقصِّرةً في عدم إتيانه؛ لاقتدارها عليه مع شدّة إمكانه، فلم أزلْ أونّخُها في ذلك وألومها وأعذلها والندم فيما هناك نديمها إلى أن تمنّت من شدّة الخجل لو سبق السيف إليها ذلك العذل، وقد أخرسها الذنبُ، وأفحمها العتب؛ لأنّها قطعتْ لسان عذرها في شبات هجرها، حيث أنّها وإن طلبتْ من أنواع المواصلة أطيبها، وأكملها لذةً وأعذبها إلاّ أنَّ ما لا يُدرك جلُّه لا يُترك أقله، ولكنَّ منها هذه الزلّة صدرتْ بعد ماجدٍ شابهَ فرعُه أصله، ووصفَ طيبُ أخلاقه، كريمَ أعراقه؛ ولذا نهضتْ بعد كبوتها، بأذيال هفوتها، وسلكتْ إلى المواصلة بطريق المراسلة، وإلى المخاطبة بالمكاتبة، ولم تزل تمحضُ غزير درِّها، وتمخض ثميلة فكرها حتى استخلصتْ زبدة سلام

رائقه، يستعذبُ بها حتى مَنْ لم تكن له ذائقة، لو ضوعت في لهاة مَنْ حشرجتْ من الموت نفسه لانساغت بفيه، أو تنفَّست أرواحها على بدنه لقرَّت الروحُ فيه:

فمـــا روضـــةٌ مرشـــوقةٌ عـــن عبيرهـــا تحـــدّثنَ أنفـــاسَ الصـــبا والجنائـــبِ

بأطيـــب عرفـــاً مـــن ســـلامٍ بنشـــره يعطّـــر فـــاه كـــلُّ راوٍ وخاطـــبِ

ترفعه عواملُ شوقٍ تنازعتْ جلدي، وجلبتْ السقمَ في تصرُّفها إلى كبدي، فنسختْ جميل صبري، وأطالت اشتغال فكري إلى مَنْ نصب اللّه على التمييز علمَ فخره، فانخفضت بالإضافة إلى عزّه جميع أبناء دهره، وجزمتْ بنو الدنيا أنّه في السماحة البحر المحيط إذا بسط لها بالعطاء كفّاً استغرق وافر جودها ما حوته دائرة البسيط، فأقال به من كبوة الجد عثارها حتى سلمتْ له بالفضل إقرارها، فهو في أصله الذي عرقت به العلياء، كما قلتُ فيه مخاطباً له بهذا الثناء:

يـــا أمجـــد النـــاس فرعـــا ينمـــي لأكـــرم أصـــلِ[1]

ولعمري، كيف ينالها بهمة جسمه مَنْ ليس ينالها بها حسنُّ فهمه؛ إذ هي عُلا مجدٍ تفرّع من دوحةٍ ضربت في طينة المجد أرومَها، وأُخذ بأطراف الشرف حديثها وقديمها، فهو ينتمي منها إلى نسبٍ كريم الطرفين، وحسبٍ لم يزلْ معشارُ فخره فخار الثقلين، ذاك صفوة المكارم في أبنائها الأكارم، وأنجبُ مَن ضمَّه الفضا، (محمدٌ الرضا) رفع اللّهُ قواعد مجده، وخفض حواسدَ جدِّه، وجعل كوكب سعده طالعاً في سماء الفخار، ما استدار الفلك الدوّار:

دعـــاء إخـــلاصٍ إذا رفعتـــه قـــال الحفيظـــان معـــي آمينـــا

---

١ - تقدّمت في باب المدائح.

أمّا بعد: فالغرض من توشيح هذه الألوكة وتسهيمها، وترصيف منثورها ومنظومها، بثُّ وجدٍ حركتْ ساكنه الذكرى، وترويحُ كبدٍ أرمضتها هواجرُ البعد فغودرت حرّى، وتعليلُ نفسٍ لم تزل من ثنايا الشوق إليكم متطلّعة، ولأخباركم من فم الصادر والوارد لم تزل منتجعة؛ ليرد عليها في ارتيادها ما يجلب المسرَّة إلى فؤادها؛ من صحة أجسادكم التي هي لجسم الزمان أرواحٌ تدبّره، وصفاء أيّامكم التي هي أوضاحُ هذا الدهر وغررِه، وصل اللّهُ عزّكم بيمن إقبالها، وقرن لكم بعمر الدهر غضارة اقتبالها، فلستُ أسأل غير ذلك من محقّق الحقائق في كلّ غاسقٍ وشارق، والسّلام عليكم ما رفَّ قلبي بأجنحة الشوق إليكم.

* * *

٦. وكتب بها إلى الحاج محمد رضا كبّه أيضاً:

نسخْتُ ولم يُحصِ اشتياقي ألوكة[1] جميع الذي قد ضمَّه الكون ناسخُ

لقد دان قلبي في شريعة حبِّكم فليس لهُ حتى القيامة ناسخُ

سلامٌ فتَّقتْ نَورَ زهره صبا الحبّ، وأعربتْ أنفاسُ نشره عن طيِّ سريرة الصبّ، ورقَّت ألفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقّتها، ونفحتَّ بريّاً الإخلاص فقراته حتى استعار العبيرُ المحض طيبه من نفحتها، وما هي فقراتٌ في الطروس قد وسمت، بل روحُ محبٍّ أذابها الشوق، وفي قالب الألفاظ تجسَّمت، فلو نشق أرواحَ عَرفها مَنْ غشيتهُ سكرات الموت لصحا، ولو سرَّح النظر في لؤلؤ ألفاظها ذو الطبع السليم لسحرتْ عقله وماس منها مرحاً، فحقيقٌ أن أوشِّح خصورَ عرائسها الأنيقة بدرٍّ من ألفاظَي التي تحتوي من المعاني على نفائسها الدقيقة:

عرائسُ لفظٍ حكى مسكُها على الطرس أنفاس ريح الصَبا

---

١ - الألوكة: الرسالة. وفي نسخة: والهاً.

رقـــــاقٌ كرقَّـــــة قلـــــب المحـــــبِّ وخـــــدَّ الحبيـــــب بعصـــــر الصِـــــبا

حكـــــتْ في العذوبـــــة أخـــــلاق مَـــــنْ لهـــــا أُهـــــديتْ واليهـــــا صـــــبا

من محبٍّ قطع قلبه الشوق الملحُّ، وترّح به الغرامُ المبرّح، وحال من البعاد بينه وبين حبيبه ما أوقدَ في أحشائه سعيرَ وجدٍ، إذا انحنت عليه أضلاعه تجافت من لهيبه، وغودر جنباه من تلهُّب أنفاسه الحرار، يُرسَل عليها شواظٌ من نار، وكاد في تصاعد حريق زفرته يضرم الهوى ناراً في كرته، وحشدت جحافلُ الغرام في منحنى ضلوعه، وانتجعت سفحَ عقيق دموعه، فهي تستدرُّ عينه دموعها في كلّ آن، فتنبعثُ كأنّهنّ الياقوت والمرجان، وأوطنت الصبابة في غوير لبِّه، وقوَّض السلوُّ عن غضي قلبه، وحال من مترادفات الأشجان، بينها برزخٌ لا يبغيان، وأوشك الفراق أن ينسف طود حلمه بريح عقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم، فلا يتناهي في تحرير نعت شوقه الكلام، ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلام، إلى مَنْ حلَّقت به قدامي شرفه، فقصَّر كلُّ محلّقٍ عن شأو عُلاه التي أحرزها عن سلفه، وتسنَّم غاربَ كلّ فخرٍ، ووطأ بأخمصه رقاب الأنجم الزهر، وناصى برفيع مجده أعنان العلاء، ورقي ذروتها بسلَّم شرفه المطلّ على الجوزاء، ولطفت شمائله، ولم يوجد في الكرم مَنْ يساجله، وغذيَّ بلبان العلياء إلى أن بحجرها نشأ، وارتشف مدامة حبّها إلى أن نشا، وطابت منه الخليقة، فكانت ممّا قلتُ فيها خليقة:

يـــا طيـــب أخـــلاق كـــريم روي الـــ ســـامعُ منهـــا مـــا روى المبصـــرُ

بأنّهـــا أطيـــبُ مـــن روضـــةٍ طينتهـــا مازجهـــا العنـــبرُ

لـــو مـــزج المـــاء بهـــا شـــاربٌ مـــا شـــك فيـــه أنّـــه الكـــوثرُ

نـــدبٌ لـــه في حلبـــات العُلـــى دون الأنـــام الـــورد والمصـــدرُ

كـــأنَّ مَـــنْ يـــأوي إلى بشـــره مـــن وحشـــةٍ في روضـــةٍ يحـــبرُ

معـــــــارجُ العليـــــــاء مرصـــــــودةٌ لـــــيس عليهـــــا غـــــيره يظهـــــرُ

الفصيح الذي عقدت عليه الفصاحة حبُك نطاقها، والبليغ الذي مدّت فوقه البلاغة رفيع رواقها، والماجد الذي سمح الدهر بجوده، فدلّ على نفي بخل الدهر وإثبات وجوده، وأحيا به روضة الأدب بعدما ذوت، وأجدَّ به ربوع الفضل بعدما عفت، ورفع به سماء المجد بعد هبوطها، وأقام به أعمدة السؤدد بعد سقوطها، وأقرَّ عيون السماح منه بإنسانها، ووصل يمين المعروف منه ببنانها، ونشر به جميع ما طوى من المحاسن العجيبة، وأظهر فيه ما أُخفيَ من بدايع الكمالات الغريبة، فهو من أهل زمانه بمنزلة الروح من الجسد، والواسطة من العقد المنضد، فأكرم به من ماجدٍ بهيجٍ تعشو من ضوء صباح محياه نواظرُ الراثين إذا ملأتْ من نوره البصر، وأعجب به من فطنٍ تعشو في ظلام الإشكال إلى مصباح ذكاه بصائرُ ذي النظر؛ الصفيُّ الذي أخلصته نفسي من جميع ما ضمّه الفضا، (الحاج محمدٌ الرضا). لا زالت شمس إقباله طالعةً في أعلى بروج المراتب، وكوكب سعده ثاقباً في سماء شرفه التي يتمنّى أن يحلَّ فيها سعدُ الكواكب، ولا برح طائر اليمن له مزجوراً، وروض مسرّته غضاً مونقاً نضيراً، بمحمدٍ وآله المبرّئين من الزلل، وصحبه الذين ما لهم في التقى من مثل.

أمّا بعد: فإنّي لم أزل للغرام فيك نديماً، وعلى الصبابة حيثما رحلتُ مقيماً، تذهب بيَ الأشواقُ كلَّ مذهب، وطرف عيني لم يزل في آفاق السماء مقلَّب، فكان عينيَ قد جنَّت عن إغضائها، وكلَّت بعدّ النجوم وإحصائها:

أنـــا أحصـــي النجـــوم فيـــكَ ولكـــن لـــذنوب الزمـــان لـــيس بمحصـــي

غير أنّي كلّما ألحَّ على قلبي الجوى فأضناه، روّحتُه بذكراك فتنتعش بعد الضعف قواه، وبينما أعللُ نفسي بذكر الوصال، وهي من شدّة الشوق

تتمثّل بقول منْ قال:

ولم أرَ مثلـــي قطَّـــع الشـــوقُ قلبـــه علـــى أنّـــه يحكـــي قســـاوته الصـــخرُ

إذ وردتْ منك إليَّ رسالةٌ بديعة الكلام، حسنة النسيج والانسجام، قد افتتحت بزهر السّلام روضة كلماتها، وختمت بمسك الثناء عقود فقراتها، فنشقت منها نسيم المودّة حين نُشرت لديَّ، واقتطفتُ منها نور المحبّة حين قُرئتْ عليَّ، وهزَّني إليها الطرب، وملكني منها العجب، ولما استوقفتُ النظر فيها، وأجلت الفكر في ألفاظها ومعانيها، سكرتُ من ألفاظها ولا جام، بمدامة معانيها ولا مدام، فحينئذٍ ثنيت عطفَ ذي نشوة، وذبّت بها صبابةً وصبوة، لكنّي كلّما فوّقت سهام فكري لم أصب الغرض في تفويقها حين غلب عليَّ الشكّ في تحقيقها.

أهيَ السلافة مُزجتْ بالغيث الذي انسجم وانسكب؟ أم (المستظرف) من أرواح الكتب، أو زُفَّتْ إليَّ دمية القصر، أو يتيمة الدهر؟ وجُليت لي بين أنوار الربيع في المعاهد، حاليةً بدرّ القلائد، وغرر الفوائد، فيا لها عرائس فكرٍ أغرب مبتكرها وأبدع، ولآلي ألفاظٍ أحسن ناثرُها حين جانس بينها وسجَّع، وجمع فيها فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني فسحر الألبابَ بيانها، وألَّف بين الإيجاز والإطناب فبهر العقولَ تلخيصها وتبيانها، ووالى في سلك الطروس بين فرائد منظومها ومنثورها، وقابل بين التدبيج والتطريز في وشيٍ رياض سطورها، قد ابتدأتْ برفع خبر الشوق عند الخليل، وأنهت إليه الجزم في تمييزه فيما بنيتْ عليه من مضمر الحبّ وظاهر المدح الجليل، وأنبأتُ فيما أكدتُ من الشوق أن لا بدلَ من الصبّ عند صبِّه، وأن لا عوض عنه فيما نعتت من اشتغال قلب الحبيب بمحبّه، وأنَّ هوى الخليل مقصورٌ على خليله في كلّ أحواله.

بالإضافة إلى الاستثناء في حذف عذاله، وصرّحتُ عن إلغاء مقالة الحسّاد، وإثبات ما راموا نفيه من المحبّة والوداد، فطفقتُ

أكسوها من إستبرق المدائح بُرداً أحكم فكري نسجه، وأحليّها بعقود الثناء وإن لم تزدْ حسنها بهاءً وبهجة:

أطرســـــكَ أم خـــــدُّ عـــــذراء بكـــــرٍ وذا درُ لفظـــــــــكَ أم لفـــــــــظُ درِّ

ســـــحرٌ غـــــداة فضضـــــتَ الختـــــام عنـــــه كـــــأنّ لفظـــــه نفـــــثُ ســـــحرِ

وشـــــــكَّكني حســـــــنُ تنميقـــــــه أوشـــــيُ بنانـــــك أم وشـــــيُ زهـــــرِ

فناهيكَ بها مبلغةُ أو غرتْ فأوجزت، ومفصحةً بما فيه لكلّ منطيقٍ أعجزت، قد حملت جزيل الحمد من مبادرٍ لشكره، إلى مَنْ تقدّم إليه بمدح مجده وتنويه قدره، فللّه أبوكَ وأنت، أتشكرني على مديحٍ به إلى نفسي أحسنتَ؟! لأنّ النفس منّا ومنكم في الحقيقة واحدة، وإن كانت الأجساد متعددةً متباعدة، على أنّكم في غنىً عن جميع المدايح، بما أحرزتم من المكارم والشرف الواضح، وبنشر فخركم طبق مجدكم سائر الأرجاء، لا بما نشرت لكم من الثناء ألسنُ الشعراء، غير أنّي كلّما فكرتُ في نفسي، لم أجدُ إلاّ المحبّة الخالصة، دعتكَ إلى شكر مدائحي التي هي بالنسبة إلى كمال شرفكم متناقصة.

فنسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يجعل عزّكم ملازماً للدوام ما بقيَ الدهر، ويصل بالبقاء ما خلع عليكم من مطارف الوقار والفخر، إنّه على كلّ شيٍ قدير وبالإجابة.

***

٧ - هذه صورة ما كتبه حول قصيدة المرحوم عمّه السيد مهدي السيد داود:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على أشرف أنبيائه محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فيقول الراجي عفو ربّه الغنيّ (حيدر بن سليمان

الحسيني): إنّي لما جارى عمُّنا وسيّدنا السيد مهدي السيّد صالح القزويني[1] في قصيدة مدح إنسان عين الزمان، وواحد الأبدال والأعيان، مَنْ حطَّ عن أدنى مراقي علاه الفرقدان، وأشرق في سماء فخره المشرقان، زعيم الفضلاء الجحجاح، الحاج محمد صالح (كبّه).

أحببتُ أنْ أتصدى إلى تشطير قصيدة سيّدنا السيد مهدي، كما تصدّى إلى تشطير قصيدة السيّد المشار إليه الشيخ إبراهيم العاملي[2]، فوجدتها في دقائق معانيها، وسلاسة ألفاظها، ورقة قوافيها فوق ما قلتُ فيها:

ومُعربةٍ عن فضل مَنْ صاغ لفظها ... وأودع فيها من بدايعه اللحنا
بديعه حسنٍ لو سواه يرومها ... لكان التقاط الشهب من مثلها أدنى
تودُّ قلوبُ السامعين لو أنّها ... إذا أُنشدتْ في محفلٍ كانت الأدنى
فما هي إلاّ وردةٌ ما تفتَّقت ... كمائمُ زهر الشعر عن مثلها حُسنا
ولا ولدت أمُّ القريض نظيرَها ... ولا فتحت يوماً على مثلها جفنا
فما روضةٌ غنّاء راقت بزهرها ... وما برحت أزهارها ترضع المُزنا
بألطف من مدحٍ بها (لمحمدٍ) ... وأنّى وفيه فاقت الروضة الغنا
فتىً قبل دحو الأرض بيتُ علائه ... بناه إله العرش للملتجي أمنا
وقام بنصر الدين لله ناصرا ... وفي علمه للخلق نهجَ الهدى سنّا
فما المجدُ إلاّ صورةٌ وهو روحها ... وما الفخرُ إلاّ لفظه وهو المعنى
فتىً في معاليه وفي مجده يرى ... أجلّ بني الدنيا وأمنعهم ركنا
وأكرم به من ماجدٍ سيبَ جودُه ... لوفاده عن طيّب المزن قد أغنى
أيا مَنْ لعيدان الندى ردَّ ماءها ... بعيدَ ظماً لم يُبقِ في دوحها غصنا
وقد عاد منها ما ذوى فيه مورقا ... وما قد عسى أمسى لعاطفه لدنا
بمدحك أمَّ السارياتِ حسودُها ... إذا تليت من سحر ألفاظها جَنّا

---

١ - مرّ ذكره في باب المدائح.

٢ - ترجمت له في شعراء الغري ١ / ٦٨.

ومـــن حســـنها وافى معـــنّىً قـــد اغتـــدى وســـيعُ فضـــاء الأرض في عينهـــا ســـجنا

يـــــودُّ إذا مـــــا أنشـــــدوها بمحفـــــلٍ لـــه منشـــئُ الأجســـاد مـــا خلـــق الأذنـــا

مســـــدَّدة الأقـــــوال يمســـــي معيبُهـــــا لخجلتـــــه بـــــين الـــــورى يقـــــرعُ الســـــنّا

ولـــــو رزقَ اللهُ الســـــكوت معيبَهـــــا لكـــــان لـــــه مـــــن نطـــــق مـــــذوده أهنـــــا

ثمّ إنّي أعرضتُ عن تشطيرها، وقلتُ: ما يمنعني من تخميسها وقد أنحلني أدبه، وشربتُ من نطاف هذا النظام مشربه؟ فأطلقت عنان فكرتي في مجاراته، وقابلت بتخميسها جميع بدائعه ومخترعاته، فقلت:

إذا عـــنّ لي بـــرقٌ يضـــيء علـــى البعـــد نـــزت كبـــدي مـــن شـــدّة الشـــوق والوجـــد[1]

ولما قدم حضرة قطب دائرة الوزارة، ومؤمَّل الإمارة، وإلى بغداد جناب أحمد مدحت باشا، نظمَ بيتين يتحمّس بهما، وذلك قوله:

فـــــلا والقنـــــا والمرهفـــــات البـــــواتر فـــــلا تـــــرة أبقيـــــتَ لي عنـــــد واتـــــرِ

أيـــــذهب خصـــــمٌ في دمٍ لي مضـــــيَّع ولســـــتُ أذيـــــق الخصـــــم حـــــدَّ البـــــواترِ

فكتب إليَّ الحاج مصطفى كتبّه إلى الحلّة يستحثّني بعد الالتماس على تشطيرهما وتخميسهما، وأن أنثر مع ذلك نبذة من مدح الوالي المشار إليه، وأن أنظم من الشعر ممّا يحسن به الثناء عليه، وذكر أنّه حضر في تلك المجالس، وجرى ذكر البيتين فضمّن التشطير والتخميس، ثمّ ألزمني بذلك وحثّني على الاستعجال، فأجبته وقلتُ مصدّراً للنشر بهذين البيتين، مورِّيا فيهما باسم الوالي المتقدّم ذكره:

لي قـــــوافٍ في جنبهـــــا البحـــــر رشـــــحه سلســـــــــلتها رويَّـــــــةٌ لي سمحـــــــــه

مـــــدح الـــــدهرُ حســـــنها غـــــير أنّي لســـــتُ أرضـــــى بهـــــا لأحمـــــد مدحـــــه

ذلك من ألحف بيضة الإسلام جناح ظلّه، وأقام دون حوزة الملك سدّاً من

---

١ - ذكرت في باب المدائح.

زبر آرائه ونصله، ومدَّ غطاء الأمن على الدين، وبسط العدلَ على جميع المسلمين، قد اصطفاه حضرة صدر التأمير الرئاسة، وأرسله على حين فترةٍ من التدبير والسياسة، فجاء بعدما غاضت بحيرة البراعة، وخمدت نيران البأس والشجاعة، جامعاً بين آية النصل، ومعجز المقال الفصل، تتفجّر من بنانه ينابيعُ الكرم، وتفرّق عن بنانه جوامع الحِكم حتى هتف لسان العراق، الآن بزغت شمس العدل باهرة الإشراق، ودرَّ حلبُ البراعة، ونطق بعد الإفحام لسان اليراعة، واستطيب نفحات غوالي الفضل، بعدما منع من شمّها زكام الجهل، وقام وزن الآداب، بعدما كسدت منها البضائع، حين نجم مشتري زهرة الكمال في حضرة فلكية المطالع، كما قلتُ فيها:

حضـــرةُ مـــولىً ســـواه لـــيس يُـــرى ... في غـــير هـــذا الزمـــان[1] إنســـانْ

مـــذ شـــبَّ يُكســـى العُلـــى ومرهفـــه ... شـــابَ بـــه الـــدهر وهـــو عريـــانُ

فأرض أفنيتها الشرفُ، ونديم أنديتها الظرفُ، وخلَّتاها الشجاعة والكرم، وخادماها السيف والقلم، وسفيراها العلاء والمجد، وسميراها الثناء والحمد، والهيبة حاجبُ طرّاقها، والعزّة خفيرُ رواقها.

ويحقُّ لي هاهنا الإنشاء، وإن كان قاصراً لسان الثناء:

رواقـــكَ ذا لا بـــل وليجـــة خـــادرٍ ... بـــل الليـــثُ يخطـــو دونـــه خطـــو قاصـــرِ[2]

هذا ولقد رعدتْ سماءُ ذلك الفكر المدرار، فقرعتْ سمع الأعداء بصاعقتين يخطف منهم برقهما القلوب والأبصار، قد أوشكت أن تطلّع على نفوسهم منهما الآجال، إذ تحمَّس بهما فقال:

فـــلا والقنـــا والمرهفـــات البـــواتر ... فـــلا تـــرةً أبقيـــتَ لي عنـــد واتـــرِ

أيـــذهب خصـــمٌ في دمٍ لي مضـــيّعٍ ... ولســـت أذيـــق الخصـــم حـــدَّ البـــواترِ

---

١ - ذكرت هذه القصيدة في باب المدائح.

٢ - وفي المطبوع: في عين هذا الدهر.

هذا واللّه الشعرُ الذي تقطر منه الحماسة دماً، وتجبن عن إنشاده الثريّا حتى لو كانت للأسد فماً، وحيث فاض على الأسماع صوبُ هذين العارضين، وصقل الخواطرَ والطباع لمعُ هذين البارقين، رجوتُ على قلّة البضاعة، ونزارة الاطلاع على[1] هذه الصناعة، أن أنخرط في سلك مَنْ شكرَ، وأكون في نظم مَنْ خمّس وشطّر، فقلتُ لا متحمّساً، بل على سبيل الحكاية عنه مخمّساً:

أثــرتُ الثــرى نقعــاً بكــرِّ الضــوامر ... إلى أن تركــتُ الــدهر أعمــى النــواظرِ
فقــل للعــدى أمنــاً شــفى الكــرُّ خــاطري ... فــلا والقنــا والمرهفــات البــواترِ
فلا ترةً أبقيتَ لي عند واترِ

أبحــتُكمُ للعفــو أبــردَ مشــرعٍ ... غــداة غســلتمْ كــلَّ جــرحٍ بمــدمعِ
طمعــتُم لعمــرُ الله في غــير مطمــعِ ... أيــذهب خصــمٌ في دمٍ لي مضــيّعِ
ولست أُذيق الخصمَ حدَّ البواترِ

ثمّ أقمتُ إلى جنب كلّ شطرٍ جليلٍ، خادماً له من نظام جميل، فقلتُ مشطّراً:

فــلا والقنــا والمرهفــات البــواترِ ... عــن الخصــم لم أصــفح ســوى صــفح قــادرِ
لقــد صــلتُ حــتى قلــت حســبي مــن الــوغى ... فــلا تــرةً أبقيــتَ لي عنــد واتــرِ
فكيــف تــذوق النــومَ عينــاي لحظــةً ... ولســت أذيــق الخصــم حــدَّ[1] البــواترِ

ثمّ رأيت أن أخمّس التشطير؛ تلذّذاً بمعاودة الفكر إلى ذلك النظام الخطير، فقلت:

ســطوتُ فلّمــا لم أدعْ غــيرَ صــاغرٍ ... عفــوت إلى أنْ لم أجــدْ غــير شــاكرِ

---

١ - في المطبوع: في هذه.

٢ - وفيه: طعم.

رعـــى اللهُ صـــفحي عـــن عظـــيم الجرائـــرِ فـــــلا والقنـــــا والمرهفـــــات البـــــواترِ

عن الخصم لم أصفح سوى صفح قادرِ

حملـــت لـــه أثقـــالَ عزمـــي وقـــد طغـــا[1] علـــى عـــود هـــذا الـــدهر حـــتى بهـــا رغـــا

فـــــلا وأبي لم يبـــــقَ لي بعـــــدُ مبتغـــــي لقـد صلتُ حتى قلت حسبي من الوغى

فلا ترةً أبقيتَ لي عند واترِ

ضـــــمنتُ علـــــى ســـــيفي بهمـــــة أروعِ دمَ المجـــد مـــن خصـــمي لأكـــرم مـــودعِ

فلســـت لـــه ابنـــاً إنْ يضـــع عنـــد مـــودعِ[2] أيـــــذهب خصـــــمٌ في دمٍ لي مضـــــيَّعِ

وسيف حفاظي فلَّ صرف الدوائرِ

أبي حـــــدُّ ســـــيفي أن أكلّـــــم لفظـــــةً بغـــير شـــباهُ مـــن أجـــدْ فيـــه غلظـــةً

لقـــد أطعمـــتْ عيـــني الحفيظـــة يقظـــةً فكيـــف تـــذوق النـــوم عينـــاي لحظـــةً

ولست أذيق الخصمَ حدَّ البواترِ

ثمّ شفعته بهذه المقطوعة، وإن لم تكن لائقة لتلك الحضرة الرفيعة:

أثنـــــت عليـــــك بأســـــرها الـــــدولُ وتشـــــــــوّقتك الأعصـــــــــر الأولُ[3]

* * *

٨ - قال (رحمه اللّه): وقد جرى لي مع أخي النقيب فريد الزمان، حضرة السيّد عبد الرحمن أفندي. وذلك أنّه بعث إلى جناب الحاج مصطفى كبّه زاده أن يرسل إليه (نهج البلاغة)، و(مقصورة السيّد الرضي) التي قالها في رثاء الحسين (عليه السّلام)، فأرسلها إليه، وكانت المقصورة غير تامّة، ثمّ بعد ذلك وجدتُ المقصورة تامّة، فكتبها وأرسلها إليه والتمس منّي أن أكتب معها على لسانه، فقلت:

يـــا مَـــنْ تفـــرّع مـــن ذؤابـــة معشـــرٍ غـــــدت النقابـــــة مـــــنهمُ في آلهـــــا

---

١ - في المطبوع: صغى.

٢ - وفيه: عند مدع.

٣ - ذكرت في باب المدائح.

هـــذي بديلـــة أختهـــا المقصـــورة الـــ أولى أتتـــــك تفوقهـــــا بكمالهـــــا

فلّما وصلت إليه نظم أبياتا يلتمس بها من اللّه نصر المسلمين وسلطانها، وخذلان المشركين وأعوانها، ثمّ أرسلها إليَّ يريد تشطيرها وتخميسها، وكتب معها هذه الفقرات، يقول:

هذا ما سنح به الخاطر الفاتر، ونطق به اللسان الكليل العاثر، وتجاسر على إرساله إليكم[1] مع اعترافي بأنّي لست ناظماً ولا شاعراً، فإن لم يكن جديراً بالإعراض، وكانت أبياته عامرة غير حقيقةٍ بالانتقاض، وكان راجحاً عندكم في ميزان القبول، أيّها السيد الحيدريُّ وابن البتول، أرجوك أن تزيّنها بالتشطير والتخميس؛ لتكون سلوة للمكروب، وسبباً للتنفيس، والسّلام عليكم. والأبيات هذه:

يـــــا إلـــــه الخلـــــق يـــــا بارئنـــــا نحـــــن في ضـــــيق فكـــــنْ عونـــــاً لنـــــا

وانصـــــر الغـــــازينَ وارحـــــم حـــــالهم وتلطَّـــــفْ بهـــــمُ في ذا العنـــــا

فهـــــمُ المفـــــدون أرواحهـــــمُ وهـــــم الموفـــــون فرضـــــاً بيّنـــــا

فـــــاجزهم خـــــيراً وضـــــاعفْ أجـــــرهم أنـــــت فيّـــــاض العطايـــــا والغـــــنى

واخـــــذل الكفّـــــار واخـــــرب دارهـــــم واهلكـــــنْهم واشـــــفِ فـــــيهم قلبنـــــا

قال السيّد: فنشطتُ لِما ندبني إليه، وأنا المعترف بأنّ له المنّ عليَّ لا ليَ المنُّ عليه؛ لأنّه إنّما دعاني للأخذ بحظي من الانتظام في سلك الداعين، بالنصر لحامي حوزة الإسلام، وبالتأييد لجنود المسلمين المرابطين في سبيل اللّه في جهاد الكافرين، وقلت مشطّراً:

يـــــا إلـــــه الخلـــــق يـــــا بارئنـــــا لـــــكَ نشـــــكو اليـــــوم مـــــا حـــــلَّ بنـــــا

كظّنـــــا حشـــــدُ الملمـــــات فهـــــا نحـــــن في ضـــــيقٍ فكـــــن عونـــــاً لنـــــا

وانصـــــر الغـــــازينَ وارحـــــمْ حـــــالهم فلقـــــد أبلـــــوا بـــــلاءً حَســـــنا

---

١ - في مخطوطة الملا: عليكم.

حيث عانوا فيكَ ما عانوا فجدْ وتلطّف بهمُ في ذا العنا

فهمُ المفدون أرواحهمُ ليقوا فيها الهدى والسُننا

لك قد دانوا فمَنْ يفضلُهم وهم الموفون فرضاً بيّنا

فاجزِهم خيراً وضاعف أجرهم واجعل النصرَ لهم مقترِنا

ومن الفيءِ فوفّرْ حظَّهم أنتَ فيّاضُ العطايا والغنى

واخذل الكفّار واخرب دارهم وأبحنا أرضهم والقننا

قد تشفّوا فأدِلنا منهمُ واهلكْنهم واشفِ فيهم قلبنا

وقال مخمّساً:

نشأتْ نكباءُ يا رازئنا إنْ تذرْها أهرمتْ ناشئنا

خذ بأيدينا وكنْ كالئنا يا إله الخلق يا بارئنا

نحن في ضيقٍ فكن عوناً لنا

واخذل الغاوينَ واشغلْ بالهم وأبْهم واخترمْ آجالهم

واصطليهم لسيروَا أعمالهم وانصر الغازينَ وارحمْ حالهم

وتلطّفْ بهمُ في ذا العنا

قوَّموا للحرب أشباحهمُ ثمّ باعوا الكرب أفراحهمُ

فزدِ اللّهمَّ أرباحهمُ فهم المفدونَ أرواحهمُ

وهم الموفونَ فرضاً بيّنا

عنهمُ ضع يا إلهي إصرَهم وبنصرٍ منكَ فاشددْ أزرَهم

محصوك اليوم حقّاً صبرَهم فاجزِهم خيراً وضاعفْ أجرَهم

أنتَ فيّاضُ العطايا والغنى

في حمى الأشراك أوقدْ نارَهم واقتساراً أولِهم إدبارَهم

ولئلاّ يُخذَلوا كنْ جارَهم واخذل الكفّار واخرب دارهم

واهلكْنهم واشفِ فيهم قلبنا

وقال: ثمّ كتبت إليه مع هذا الشعر بهذه الفواصل من النثر، والأبيات التي في أثنائها لي قلتها فيه، ممّنْ وقع فيه طائر القلب، حيث يلتقط الحُبَّ لا الحَبَّ:

إلى فـــــتىً مـــــن قبيلـــــةً أبـــــدا ... قبيلـــــةٌ في الفخـــــار واحـــــدُها

لم تنمـــــــه هاشـــــــمٌ لـــــــذروتها ... إلاّ وغيظـــــاً يمـــــوت حاســـــدُها

روضـــة علـــمٍ تـــروق والفضـــل والـــ ... عقـــل معـــاً وردُهـــا ورائـــدها

جـــلا علـــى [1] الطـــرس مـــن فرائـــده ... عـــروسَ فكـــرٍ زهـــت فرائـــدها

خلوقهـــا مـــن شـــذا حجـــاهُ ومـــن ... جـــوهر ألفاظـــه قلائـــدها

قد انتظمت بسلك الإيجاز، وانتظم في سلكها الإعجاز، فبرزت تخطر دلالاً، وتسحب أبراد البلاغة اختيالاً، تجرُّ تلك الأذيال على نثر هو السحر الحلال، قد تنزّلت من سماء ذلك الحلال آياته الباهرة، واستغرقت من الصبِّ حواسه الخمس، بما أقامه في مقام الذهول، فجديرٌ أن يتلى عليهم[2] فإذا هم بالساهرة، وحيث أنّ الداعي لمالك رقابَ المناقب والمساعي، وإن كان ليس ببعيد الغور، يرى الأمر الصادر من تلك الحضرة للفور، فبادر إلى الامتثال، راجياً أنّ ينظمه القبول في سلك مَنْ حظيَ بالإقبال، عقد اللّهُ عزَّ ذلك الجناب بناصية الدهر، ولا برحتْ تأرج بعبير ثرى تلك الأعتاب مفارقُ الملوك الغر، ما ضرب الليل رواقه، وحلَّ بيد الصبح عن الغزالة نطاقه، وهذا دعاءٌ للبرية شامل.

فأجابه بهذه الرسالة:

أخذتُ بكفّ الشوق والاحترام، أدام اللّه بقاك مدى الدهر والأعوام، ما تفضلتَ به من نفيس التخميس، المهزم بسطوته البليغة من أرباب الفصاحة

---

١ - في المخطوط: عن الطرس.

٢ - في الديوان المطبوع: عليه.

ألف خميس، ورقيق[١] التشطير الآخذ بشطري الحسن، ولم يكن له شبيهٌ ولا نظير، فوجدتهما لعمري قد ارتقيا الطرفَ الأعلى من البلاغة، وارتفعا بعد أن انتصبا بمقام من الإحسان انخفضت دونه أكابر الصناعة ولم يبلغ أحدٌ بلاغه، فما أعذب ألفاظها، وأدقَّ معانيها، وأعمر أبياتها، وأحكم مبانيها، فلو رآها (أبو تمام) لاعترف بانحطاطه من ذيّالك المقام، أو (الشريف الرضي) لارتضاها وأقرَّ طائعاً بحسن السبك والنظام، أو (امرئ القيس) لما امترى أنّها[٢] أبلغ من شعره، أو (عمر بن أبي ربيعة) لما شك أنّها[٣] أرقُّ من سلوكه في نظمه ونثره، أو (حسان بن ثابت) لاستحسنها وثبت عنده أنّك إمام البلاغة، أو (زهير بن أبي سلمى) لتاه عجباً من رونقها الأزهري، وعلم أنّك مصدر الحكمة في هذه الصياغة[٤].

وأمّا ما رصّعتها به من جواهر نثرك الذي انتظمت دراريه، وعذبت ألفاظه واستحكمت معانيه، فهو وبهيٌّ سمتِكَ، ورقَّة طبعك، كما قيل: السحرُ الحلال، والماء العذب، تجلي به الأبصار والبصائر، وترتاح بسماعه القلوب والضمائر، فلو رآه (الصابي) لصبا إليه، وتنسّم من عبير صَباه، وعلم أنّه لو باراه لما أتى بمثله ولا جاراه، أو رئيس الخطباء (قسُّ بن ساعدة) لفارق المواسم، وسلَّم أن ذلك خارجٌ عن طوقه ولو ألف بليغ من قومه ساعده، أو كافي الكفاة (الصاحب بن عباد) لاستصحبه وما فارقه واكتفى به وما زاد.

ثمّ إنّي ورفيع قدرك، وسنّي فصاحتك، وعليّ بلاغتك، قد صرتُ غريق بحار الحيرة، لا ادري بأيّ كيفية أؤدي شكركَ، وبأيّ لسان أصفكَ، فأكافي فضلك، بما تنزّلت به[٥] من تخميس أبياتي اللواتي من الحسن عاريات، وتشطيرهنَّ مع أنّهنَّ غير عامرات ولا لائقات، وكلّما أبرمتُ الإعزام، وشددتُ حيازيم الاهتمام،

---

١ - في المخطوط: ودقيق.

٢ - وفيه أنّهما.

٣ - وفيه أنّهما.

٤ - في الديوان المطبوع: الصناعة.

٥ - وفيه: تنزّلت له.

ونقلتُ الأقدام؛ لأداء هذا المرام، قصَّر بي ضعفُ قوى الفكر وعيُّ اللسان، وضيق الجنان، وكبا أدهم القلم في هذا الميدان؛ لعلوّ شرفك الذي لا يُبارى، ووفور محاسنك التي لا تُجارى، غير أنّ العدول عن ذلك بالكلّية إخلالٌ بالواجبات؛ لأنّ شكر المحسن من المفروضات، وبناءً على أن ما لا يُدرك كلّه لا يُترك أقلّه[1]، أقول: وليس سواءً عالم وجهول؛ لأشكرنَّك شكراً يليق بجنابك، ويفي بإحسانك، ما كرَّ الجديدان، وما تعاقب[2] الملوان، والسّلام عليكم بعد[3] شوقي إليكم.

قال السيّد: فأجبته بهذه الرسالة على أثرها، بكلّ نظمها ونثرها، وقلت: لاطفتْ الصبَّ جميلةُ برِّك، وتلطّفتْ بالمغرم المشوق عقيلةُ نثرك، قد زارت محبّاً رفعها على الأحداق، واجتنى من[4] محاسنها ثمرات الأوراق، ثمّ حلَّ عنها النطاق، ببنان فكرة المتأمّل، ونضا عنها أبرادها الرقاق، إلاّ لبسة المتفضّل؛ فوجدها آخذةً بأطراف النباهة والفكاهة، ووجد نفسه عن منادمة مثلها على طرف من العيِّ والفهاهة، فترك مفاوضتها المدح، وعدل عن مقارضتها الثناء ولا قدح، ورأى الالتحاف بشملة التسليم بالقصور والاعتراف أليق بكليل الذهن واللسان، من مقاومة شواهد الاختبار والامتحان؛ فبادر بأنامل العذر يفضّ لطايم الشكر، ويهدي من نسمات الحمد ما هو أطيب من نسمات الورد:

ليَ العـــذرُ كـــلَّ لســـان القلـــمْ وجـــفَّ بمـــا هـــو طرســـي رســـمْ[5]

إي وعلياك، وما انتظم على جيدها من عقد مزاياك، لا تنشطُ منّي النفس للقيام بأعباء وصفك ولو نهضتْ بقواها الخمس؛ إذ لا يعلق طائرٌ فكرها، بشأو مَنْ ارتفع عن مركز وكرها:

---

١ - في الديوان المطبوع: جلّه.

٢ - وفيه: وتعاقب.

٣ - وفيه: بعدد.

٤ - وفيه: في إثم.

٥ - ذكرت في باب المدائح.

يـــــــا همامـــــــاً بفضـــــــله يشـــــــهد الســـــــمع والبصـــــــرْ[1]

هـذا والرجـاء إسـبال سـتر التكـرُّم والإغضـاء علـى عيـوب هـذه الألوكـة؛ لـئلاّ تكـون في أنديـة الأشـراف أُضحوكة، لا زال قمرُ تلك السماء موفياً ما نبت السعدانُ مستلقياً، والسّلام عليكم ما رفَّ فؤادي بأجنحة الشوق إليكم ورحمة اللّه وبركاته.

***

٩ - قال وقد أرسلها إلى صبحي بك في استانبول عن لسان الميرزا جعفر القزويني:

بيـان براعـة الفصـاحة، ولسـان براعـة البلاغـة، لا ينبسـطان للإحاطـة بمزايـا مَنْ أوضـح لأهـل الفخـر نهجـه وهداهم صراطه:

شمـــسُ العُلـــى بـــدر سمـــاء الجـــلالْ إنســـانُ عـــين الفضـــل روح الكمـــال

الأعزُّ الـذي إذا أسـفر وجهـه جـاءت الشـمس تقـول: هـذا صـبحي، والفيصـل الـذي إذا نطـق لسـانه أقبـل الملكُ يقول لها: هذا سيفي فإليك عنه تنحيِّ:

ويدَّعيـــــه المجـــــدُ مـــــا بينهمـــــا[2] لنفســـــه فيُعطيـــــان مـــــا ادّعـــــى

وكيف لا يكون كذلك مَنْ تستمد الشمس من نوره، ويعتضد الملك برأيه في مهمّات أموره، ويفتخر المجد بأنّه من بنيه، وبأعزّهم عليه يفدّيه؛ إذ هو منبع الحكم، وينبوع السماحة والكرم، قد شهدتْ معاني بيانه بباهر فضله، ودلَّ بديع تبيانه على كمال ظرفه ونبله، وزهرت كأخلاقه وشيمه أنوارُ ربيع جوده وكرمه، وعطَّر جيبَ الدهر أرجُ مجده، وصقل محيّا الدنيا شعاعُ سعده، وإنّي لما آنس كليمُ فكري على البعد نار ذكائه، ونودي قلبي من جانب طور مجده وعليائه، عرفتُ أن الذي

---

١ - ذكرت في باب المدائح.

٢ - في الديوان المطبوع: ويدعيه الفضل من بينهما.

صار قلبي كلّه مسمعاً لنداه، هو واحد الفضل الذي لا ربَّ للكمال سواه، وحيث كان في شرع الآداب، وعرف ذوي الألباب أنَّ مَنْ توحَّد بالفضل، واستجمع صفات الكمال جديرٌ وربّ السبع المثاني أن يُمدح بما تقصر عنه السبع الطوال، عملت في مديحه هذه القصيدة الحائية[1]، ونسجتها له حلّة حليَّة، وأهديتها إليه وأنا على ثقةٍ من قبولها إذا نشرتْ لديه، وإن كنتُ كمهدي القطرة إلى البحر الخضمّ، والذِّرة إلى الطود الأشمّ، فهديتي هذه جهد المقلّ إلى الجواد المكثر المفضل، على أنّي وإن سمَّتني الفصاحةُ حيدرَ خيسها، ودعتني البلاغة ليثَ عريسها، وكان أبي سليمان عصره، يأتيه بعرش بلقيس المعاني آصفُ فكره، فيراه مستقراً لديه، ارتداد طرفه إليه، فأراني لو استخرجتُ الدراري من نهر المجرّة، ونظمت بكفِّ الثريّا أنجم النثرة، عقوداً أحلّي بها نحور علياه، وأوشّحُ بها حسانَ مزاياه لما زدتها بذلك حسناً، ولا أفدتُ معاني جمالها جميل معنى، بل أكون كمَنْ يقول: لماء السماء ما أطهرك، ولنور الرياض ما أزهرك، ولغضِّ النسيم ما أطيب نفسك، وللعقد النظيم ما أنفسك:

ولم يستفدْ بالمدح مَنْ ليس عنده وهل ينفع التحجيل مَنْ هو أشهبُ؟

هذا ورجاءُ الداعي من نفحات كرمك، أيّها المالك رقاب المناقب، والمساعي بمعالي هممك، إيصال هذه الرائية الغرّاء[2]، الناطقة بأبلغ الثناء إلى حضرة صدر الوزراة الأعظم، والسيف الذي انتضتْ منه يدُ الإمارة على أعدائها أقطع مخذم، منّاً منك لا عليك، وعائدة تكرُّم لك لا إليك، وهي وإن كانت حقيرة في جنب معاليه الخطيرة، فأراها على حقارة صناعتها، ونزارة بضاعتها، إنْ شمَلتها ألطافُك بنسيم العناية، ولحظتْها كفايتُك

---

١ - راجع ص ٢٠ من هذا الجزء.

٢ - راجع ص ٣٧ من هذا الجزء.

بعين وضعَتها موضعها، ووقعتْ منه موقعها، وهذه الحائية الغرّاء، والغانية العذراء، قد حدرَت لمدحك نقابها، فائقةً بحسنها أترابها، فأعرْها سمعَ مسامحٍ وهوب، وأسبلْ[1] على قائلها من كثرة العيوب:

لتُلــق ملــوكُ الأرض طوعــاً يــدَ الصــلح حــذارَ حســامٍ صــاغه اللّــهُ للفــتحِ[2]

* * *

١٠ - قال (رحمه اللّه): وقد كتب بها إلى السيد سلمان النقيب عن لسان بعض الأشراف يقول:

يــا خليقــاً[3] بأشــرف الأخــلاق دمْ بــرغم الحســود عــالي الــرواقِ

وأنــرْ في سمــاء مجــدك بــدرا زاهــرَ الضــوء بــاهر الإشــراقِ

إنْ تكــن فيــك قــرّت الشــام عينــا فالقــذا جائــلٌ بعــين العــراقِ

وإليــك الــزوراء تشــتاق شــوقَ الــ زهــر ذاوٍ إلى الحيــا المهــراقِ

كــم نفــوسٍ تطلَّعــت لــك فيهــا فترقَّــتْ مــن شــوقها للتراقــي

بل أنت لها الروح المدبَّرة، والرئيس المطلق الذي جميع أعضائها إليك مفتقرة، قد سكنتْ إليك في هذا الزمن سكون الطرف الساهر إلى الوسن، ما فتحتْ جفون أعصارها على مثلك، ولا التحفت بمثل ما التحفت به من أبراد فضلك، ولعمر الزوراء، لقد طاب لها بظلّك الاستذراء، تقتبس الذكاء من أشعة معارفك، وتلتمس اغتراف الكرم لا الماء من لجّة عوارفك، وتثني عليك بين أمجادها ألسنة الإنشاء بإنشادها:

الفخــرُ شــاد بكــم قبابــهُ والشــعر زان بكــم كعابَــهُ[4]

إي وذلك الكنه، وما انتشر بين البريّة عنه، من باهرِ فضلٍ تقصر عنه

---

١ - في الديوان المطبوع: وأسدل.

٢ - ذكرت في باب المدائح / ٢٠.

٣ - وفي المخطوطة: يا كريماً.

٤ - ذكرت في باب المدائح.

الإشارة، ويضيق عن الإحاطة بنعته نطاق العبارة، ليس لناعتٍ وراء التنزيل منتهى، ولو حطّت آراؤه السها في مدح مَنْ ضرب بعرقٍ نبويّ، في طينة الشرف القدسيّ، قد نسج الوحيُ ببنان التعظيم رداء فخره، ونوَّه لسان الذكر الحكيم بجلالة قدره، ومثُل في مجهل الزمان علم في أعلى يفاع الشرف الأقدم، إنْ ضلَّت باجتماعها الآراء فعلى انفراد به يُقتدى، وإن حارت عن قصدها الألباب فعلى نور فهمه الوقاد يجد الحيران هدىً، ويحقُّ لهذا العصر أن يفتخر فيه، وإنّه لجدير بالفخر في إنسانه الذي ما التقت مجامع الإنشاد على ذي براعة، أغزر ذهنا منه وأنطق لسان يراعة:

يـــا مجيـــداً إن قـــال: قـــالَ مجيـــدا ... وفريـــداً إن يُـــنشِ أنشـــا فريـــدا

أيـــن مـــن مجـــدكَ المؤثـــل نظمـــي ... ولـــئن كنـــتُ قـــد شـــأوتُ (لبيـــدا)

كيـــف للشـــعر بالصـــعود لســـامِ ... حيـــث لا النـــيِّراتُ تلقـــي صـــعودا

فضـــلَّ الخلـــق ســـيداً ومســـودا ... وحـــوى الفخـــرَ طارفـــاً وتليـــدا

وبـــدا الفخـــرُ بـــين برديـــه شخصـــا ... مـــن طـــراز الثنـــاء يكســـي بـــرودا

فلـــواه العليـــاء رفَّ عليـــه ... ولـــه خاضـــعاً أتـــى الـــدهر جيـــدا

هذا وأكفُّ الابتهال لا تزال مرفوعةً إلى حضرة ذي الجلال، أن يعيدك لتشريف هذه الرباع والمحاشد، بعد أن يكمل لك التشريف بتلك البقاع والمشاهد، (فيقرّ الداعي عيناً بمرآك، وينتظم في سلك منْ أثنى عليك وهنّاك)[1]، دعاء إخلاصٍ إذا رفعته، قال الحفيظان معي آميناً:

مـــن طينـــة المجـــد الصـــراح الـــتي ... قـــد شـــهدَ الـــوحيُ بتطهيرهـــا

مـــن شـــعلة النـــار الـــتي قـــد غـــدا ... يقـــبسُ موســـى العلـــم مـــن نورهـــا

فـــاتركْ أحاديـــث كـــرامٍ مضـــت ... ولا تقـــل جئـــتُ بمأثورهـــا

فـــاليوم قـــد أغنـــاك في فضـــله ... عيـــانُ هـــذا عـــن أســـاطيرها

هـــــذا الـــــذي تقديمـــــه في العُلـــــى مـــــع ســـــبقها قـــــاضٍ بتأخيرهـــــا
لـــــو مكـــــةُ اســـــطاعت إذاً أقبلـــــتْ شـــــوقاً إليـــــه بحـــــذافيرها
واســـــتلمت منـــــه يـــــداً شـــــرّفتْ بـــــاللثم أفـــــواهَ جماهيرهـــــا

* * *

١١ - وقال (رحمه اللّه)، مقرِّظاً على (الروض الخميل) في ذكر آل جميل:

هذا الروض الخميل، المتضوِّعُ في نشر ذكر آل جميل، تزهو به كلُّ زهرة، ما رُئي مثلها على صفحتي نهر المجرّة، وتتمنّى رعيَ نرجسه الغزالة ويودُّ المشتري أن يبتاع حلّة وشيه بالنثرة، وأنّى له:

روضٌ بـــــدا بـــــين الأنـــــام أثـــــرا لســـــحب جـــــودٍ بـــــالنهى تدبجـــــه
فزهـــــرةُ نعـــــوت أخلاقهـــــم ووصـــــفُ طيـــــب الأصـــــل منـــــه أرجـــــه

كأنّما نُثرتْ فيه، أو نظمتْ في سلك قوافيه، كلُّ حبّة قلب، فهو إلى كلّ قلبٍ محبَّب، فما (دمية القصر) بين الأتراب، تنشد الأغاني في منازل الأحباب، وتعاطي نداماها السلافة ممزوجة بالغيث الذي انسجم، مشفوعة لهم بمستطرف النعم، ولا (يتيمة الدهر) مجلوّةً في المعاهد، حاليةً بدرر القلائد، وغرر الفرائد[١]، بأزهى من أوانس فقره، وأبهى من عرائس أشطره، ولعمري، ليجب على كلّ مَنْ هو مسلمٌ إذا نظر فيه يكون مع صريع غوانيه، فيثني مطرباً، وينشد متعجباً:

هـــــذا كتـــــابٌ أم حديقـــــة روضـــــةٍ تتنـــــزّه الأحـــــداق في أورادهـــــا[٢]

* * *

١٣ - وقال (رحمه اللّه)، وقد كتب بها إلى إبراهيم بك عن لسان بعض الأجلاّء:

---

١ - سقطت هذه الجملة من المطبوعتين.

٢ - في المطبوع: بدرر الفوائد، وغرر القلائد.

٣ - ذكرت في باب التقاريظ.

سلامٌ أشفى من رقية[1] الوصل، وأضفى من ريقة النحل، وأحلى من سلافة العنقود، وأبهى من نظام العقود، من محبٍّ يطبق الأرضَ ثناءً، ويملأ السماء دعاءً، إلى مَنْ هو أرقُّ من النسيم شيماً، وأغزر من البحر كرماً، سلالة طينة الشرف التي خدمتها الكفاة، ودوحة الكرم التي اجتنت ثمرتها العفاة، ذو المناقب[2] المسطورة على صفحات الدهر، والسجايا الفائقة على طرائف الزهر، ومَنْ لم يفتح ناظر الزمان على أبلغ منه مقالة، وأتم جلالةً وجزالة، وأندى بناناً وأوفر إحساناً، وأكرم سجيةً وطبيعة، وأجلب للشكر صنيعة، فكأنّه لا يزال ناظراً إلى قول مَنْ قال:

الحمد أكرمُ ما حوته حقيبةٌ والشكر أكرمُ ما حوته يدانِ

وإذا الكريم بكى وولى عمرهُ كفلَ الثناء له بعمر ثانِ

أعني به الماجد الذي تبلَّج به عمر الدهر، عن فلق البشر، الأشيم إبراهيم بك المحترم. لا زال في نعمة من اللّه ضافية اللباس، نامية الأغراس، رافلاً من الألطاف المستفادة في أبهى حلل الفوز والسعادة، وسجال السلامة مفاض عليه، وظلال الكرامة ممدود عليه.

* * *

١٣ - وقال (رحمه اللّه): وقد كتب بها إلى العلاّمة الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ أسد اللّه يقول:

سلامٌ أبهى من وشيٍ صنعاء، وأزهى من روض ميثاء، وثناءٌ تتفتح أكمام الرياض عن مثل زهره، ولم تتحدّث أنفاس الصَبا عن مثل نشره، ودعاءٌ ترمقه أكفُّ الابتهال إلى حضرة ذي الجلال، محفوفاً بالإخلاص والإنابة، مقروناً من اللطيف بسرعة الإجابة.

---

١ - في المخطوط: من رقيقة.

٢ - في المطبوع: ذي المناقب.

دعـــــــاءُ إخـــــــلاصٍ إذا رفعتُـــــــه قـــــال الحفيظـــــان معـــــي آمينـــــا

من محبٍّ محضَ الولاء، وعقد المودّة بأوثق عرى الإخلاص والصفاء، ومشوقٍ لو لم يتداوَ من حرارة البعد بنسيم الذكرى، لقضى لاعج وجده على كبده الحرّى، إلى الحضرة التي عُقدتْ بكفّ الثريّا أطنابها، وسمَت على الشعرى العبور أعتابها؛ إذ هي حضرة قطب العلياء المدار عليه فلكَ الحمد والثناء، ربّيتْ مناقبه في حجور المآثر، ورضعت درَّ المكارم والمفاخر، علامة الزمن الذي هو من العلم بمنزلة الروح من البدن، قد أسعد اللّه به جدود الأفاضل، وورَّد بنور مزاياه خدود الفضائل، وعمرَ أفنية الشريعة، ورفع قواعد[1] الملّة المنيعة، فله الرأي البصير بالعواقب، والمجد المنيف على النجم الثاقب، والهمّة التي اختلقت[2] على قمّة الجوزاء مرفوعة، والنفس التي اختلقت[3] على اكتساب العلوم مطبوعة، قد أحرزت شرفاً بسقتْ على النجوم شرفاته، وفضلاً تعرّفت لأهل الفضل عرفاته:

مـــلآن مـــن شـــرف الســـجية نفســـه يحـــوي الفضـــائلَ مـــن جميـــع جهاتهـــا

ذاك قمرُ المجد الذي بهر الناظرين لألاؤه، وطفح بالفضل مكياله وإناؤه، علمُ الإسلام، وحجّة اللّه في الأنام، حضرة الأكرم، شيخنا الشيخ حسن المحترم، لا زال مؤيّداً من اللّه بعنايته، ومكلوّاً بعين رعايته، ولا برح سمكُ مجده ثامن الأفلاك ارتفاعاً، وقمر فخره ثالث القمرين شعاعاً، ولا انفكت شمس شرفه تملأ الدهر بإشراقها، ما دامت أطواق الحمام بأعناقها.

أمّا بعد: فإنَّ الداعي لمجدكم بالتخليد، ولعزّكم بالبقاء والتأييد، لا يزال على بعد شقّة المزار، ما اختلف الليل والنهار، حليفَ غرام، وأليف هيام، وندمِ اشتياق، إلى تلك الحضرة[4] السامية الرواق، التي تودُّ

---

١ - في المطبوع: أعمدة.

٢ - وفيه: التي هي على.

٣ - وفيه: التي خلقت.

٤ - في المخطوط: تلك الساحة.

الكواكب تقبيل أعتابها، ولثم ترابها، أحمد اللّه الذي أهَّلني لولائها، وجعلني في نظم أودَّائها وأحبائها. ولعمري، لو كنت أملك أمري لما استنبتُ إهداء التحية في كتاب عن الحضور للتشريف[1] بذلك الجناب، فأحظى بلثم أنامل ريحانتيك، وأسعد بمطالعة صحيفة غرَّتيْ قمريك، اللذين هما للفضل فرقدان، ولهما في المجد المحلَّ السامي على كيوان، ولديك المرشح كلٌّ منهما لرئاسة الدين، حضرة الأمجدين الشيخ باقر والشيخ أمين، جعلكم اللّه أبداً للمخوف عصمة، وللملهوف غياثاً ورحمة.

* * *

١٤ - وقال (رحمه اللّه)، وقد كتب بها إلى بعض الأكابر والأمراء:

إنّ أزهي من روضةٍ ضحكَ الزهر فيها[2] لبكاء الغمام، ونظم فيها لؤلؤَ الطلّ نسيمُ الصَبا عقوداً رائقة النظام، فحلّي بها عواطلَ أجياد الإقاح، وفرشَ في أرجائها عيابَ الطيب نوافحُ الرياح، وأبهى ما اقتطفته أكفُّ الإفهام، من أزاهير بدايع النثر والنظام، سلامٌ رسمه قلم الاشتياق، وحملته رواحل الأشواق، من محبٍّ لم يشبْ بالقطيعة صفوَ الوداد، ومحبّته لا تزيد ولا تنقص في القرب والبعاد، إلى مَنْ رضع ثديَ المعالي طفلاً، وساد الأنام يافعاً وكهلاً، وما الدهر عنده إلاّ يومان، يوم ندىً ويوم رهان، فيحكّم السؤال في أمواله، ويحكم الأسياف في الأرواح قبل سؤاله، ومَنْ كفل له النصر بخذلان أعدائه، وأشار المجد إليه ببنانه، وأثنى عليه بلسانه:

كـــــريمٌ وقـــــي مالـــــه عرضَـــــه ... فلســـــت تـــــرى فيـــــه شـــــيئاً يعـــــابُ
ســـــوى أنّ مـــــا جمعـــــت كفُّـــــه ... لوفـــــــاده مغـــــــنمٌ أو نهـــــــابُ
كـــــأنّ عليـــــه صـــــلات الوفـــــود ... واجبـــــة نـــــصَّ فيهـــــا الكتـــــابُ

---

١ - في المطبوع: للتشرف.

٢ - وفيه: ضحك فيه الزهر.

أفيـــــه يقـــــاس الســـــحاب ومنـــــه تعلَّـــــم كيـــــف يجـــــود الســـــحابُ
وعنـــــــد عطايـــــــاه أو حلمـــــــه يقـــــل الحصـــــى أو تخـــــفُّ الهضـــــابُ
لـــــه صـــــولةٌ تمـــــلأ الـــــدهر رعبـــــا وبـــــأسٌ شـــــديدٌ وعـــــزمٌ مهـــــابُ

الأعزُّ الأمجد، إنسانُ عين الزمان (محمد) لا زال ظلُّ عدله ومعاليه، لا يزيله الدهر باختلاف أيامه ولياليه.

أمّا بعد: فيا مَنْ تردّى بالفخر والكمال، واستمدتْ بحار الأرض من جوده النوال، قد وردت إلينا رسالةٌ منكم دلَّت على زيادة المودّة والاختصاص، تسألنا فيها أن لا تنقطع منّا ومنكم[1] الأنباء، في تحرير كتبٍ تتضمّن الإفصاح عن أحوالنا وسلامتنا من طوارق الأسواء، فنحن بحمد اللّه من نعمه في أوفر نصيب، ومن الصحة نتردّى في كلّ يوم برداء قشيب، غير أنّ قلوبنا من نار بعادكم في احتراق، وحسراتنا تكاد تزيل رضوى لشدّة الاشتياق، فعسى اللّه أن يقضي لنا بالتلاق، بعد طول هذا الفراق، فيصبح منّا روض الأنس مونقاً غضّاً، يملأ قلوبنا سروراً بلقاء بعضنا بعضاً، إنّه على كلّ شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير.

* * *

١٥ - وقال (رحمه اللّه)، وقد كتب بها إلى بعض الأشراف:

ما روضةٌ نسجت من وشيِ الزهر برودها، ونظمتْ من نثار الطلّ عقودَها، وفلّت أنامل القطر وفرة ريحانها، وسرّحت ماشطة النسيم أصداغ آسها بين غدرانها، وتحدّثت ذات طوقها تملأ صبابة شوقها، فترنحت قامات بأناتها مرحاً، وتثنّت معاطف أغصانها فرحاً، ولا طفلة غضّة الشبيبة، تخطر في بردة محاسنها القشيبة، كأنّما صافية ريقتها، من فرط عذوبتها، ممزوجة بسلافة الصهباء، أو بجنّي نحلةٍ بيضاء، بأحلى من سلامٍ أخذ الرقّة

---

١ - في الديوان المطبوع: منّا عنكم الأبناء ولعلّه الأصح.

من طبع مَنْ يُهدى إليه، والعبقة من أخلاق مَنْ يُنشر لديه، قد جانس نثره مآثره لا أنجم النثرة، وحكى ثاقبُ نظمه شعري مفاخرَه لا شعري المجرّة، من حليف صبوة، وعديم سلوة، ونديم ذكر، وأليف فكر، قد اتّقدتْ في وسط حشاشته نار شوقه وصبابته، حتى كادت تُنضج نخاعه، وتأكل شعلتها أضلاعه، فهو يبكي بشررها الساطع، لا بجمر المدامع، فما أحقَّه بمقالة منْ وصف حاله:

ظـــنَّ العـــذول أدمعـــي تنـــاثرت حمـــراً لعمـــري غـــرّة مـــا يُصـــرُه

وإنّمـــا يقـــدح زنـــد الشـــوق في قلـــبي ومـــن عيـــني يطـــيرُ شـــررُه

فما ابن ورقاء ذكر إلفه بالعشيّ، فتنبّه الغرام على قلبه الشجيّ، وحرّكت الذكرى ساكنَ شوقه، فتنفّس حتى كاد ينفصم منعقد طوقه، وبات يحيي ليله هديلاً، ويميت نهاره صبابة وغليلاً:

ولا أمُّ خشـــفٍ ظـــلَّ عنهـــا فغـــودرت بشـــرقيِّ نجـــدٍ وهـــو بـــالغور راتـــعُ

تبيـــت بـــأعلى الرمـــل تنصـــب سمعهـــا لتبلغهـــا منـــه[1] البغـــامَ المســـامعُ

وتضـــحى بعيـــداً تطـــرح اللحـــظ بـــالفلا وتكتمـــه عـــن ناظريهـــا الأجـــارعُ

بأشـــوقَ نفســـاً مـــن حليـــف صـــبابةٍ بأحشـــائه للشـــوق تهفـــو نـــوازعُ

إلى مَنْ تفرّع من دوحة النبوّة، وسمتْ به أعراق الإمامة والفتوّة، وتضوّع بعطفه أرجُ السيادة، ولاح بطلعته عنوان اليمُن والسعادة، ووري بإقباله زندُ النجابة، وعُرِفتْ من مواقع رأيه مواضع الإصابة، وانتهت محاسن الفضل إليه، فدعاه لسان الإنشاء وأثنى عليه:

يـــا ابـــن الأُلى غـــرُّ ملـــوك الـــورى تشـــرَّفتْ في لـــثم أعتابهـــا

محاســـنُ الفصـــل إليـــه انتهـــت وأنـــتَ مـــن غـــيرك أولى بهـــا

ذلك نسيج وحده، وعديمٌ نظيره وندُّه، مَنْ ضربت عليه العلياء رواقها،

---

١ - في المخطوط: منها.

وعقدتْ لخدمة سعده الجوزاء نطاقها، فهو غرَّة جبين الدهر، وثمينة قلادة نحر الفخر، سلالة الفخر وسلسالة الكرم، فلان المحترم، نشر اللّه لواء جدّه، وطوى حواسد مجده، وأسبغ عليه ظلَّ عنايته، وأفاض عليه سجّلَ كرامته ما استلقى السعدان، وتعاقب الفتيان، بمحمد خلاصة الوجود، وصحبه خلاصة الموجود.

أمّا بعد: فبينما أنا في مجلس التذكار، ومنادمة الأفكار، تعاطيني الأشواق والكآبة، مدام الغرام والصبابة، إذ ورد عليَّ في أسعد وقتٍ من الأوقات، وأيمن ساعة من الساعات، كتابٌ شريف، محتوٍ على خطاب لطيف، كأنّ ألفاظه الزهر، وبيانه السحر، تستوقف ديباجةُ وشيهِ النظر، ممّنْ سرَّح في رياضها الفكر، بين منثور لؤلؤٍ ساقطه الطل، ومنظوم جمان كالعقد المفصَّل، وغرائب استعارات هُنَّ زهرة الآداب، ونزهة القلوب والألباب، قد سمحتْ به قريحةٌ دائمة الإنتاج، ورويَّةٌ لم يغلق عليها أبواب المعاني رتاج، وأعملتُها في تنسيقه وترصيفه، وتدبيجه وتفويفه، فكرةُ منْ كتب محاسنه في صحيفة وجه الدهر، فمحت محاسنَ منْ تقدّمَه من جميع أهل الفخر، وفتحتْ به مقفلات المسائل، وختمت به أهل الفضل والفضائل، كما قيل فيه وأنا القائل:

ببهـــــــاكَ أحمـــــــدَ في النهـــــــى خُتمـــــــت ذوو الرتـــــــب المنيعـــــــه
ونســـــــخت ذكـــــــرهم بـــــــه نســـــــخ الشـــــــرائع للشـــــــريعه

هذا وقد أتحفْتني بثلاث تحف، وصلت منك إليَّ مع هذا المشرّف، قد حسنَ لديَّ مصطنعها، ولطفَ عندي موقعها، وسُرّت بإهدائها نفسي، وردّت في أسمائها ومسمّياتها روّيتي وحدسي، فتفاءلتُ بالرحلة لترحال الهمّ عن قلبي المتيم، وبالسكين بسكون نفسيَ الفرح، وقطعها أسباب الكآبة والترح، وفي القاموس بإغراق أعدائي بقاموس البلاء، واستغراقي من اللّه

بقاموس النعم والآلاء، ثمّ أنشأتُ هذه البديعة، مكافأةً لك بالشكر على هذه الصنيعة:

نفســـي بحبـــل ولاء أحمـــد أمســـكت مـــذ أُحِكمـــت بنيـــاط قلـــبي عقـــدهُ[1]

الفصل الثاني

في الرثاء

١٥ - قال (رحمه الله) وقد التمسه السيد ميرزا صالح القزويني أن يعمل مقدّمة لكتاب (الأشجان في مراثي خير إنسان):

قامـــت علـــى الـــدنيا نواعيهـــا إذ نُعيـــت نفـــس العُلـــى فيهـــا

والأرض قـــد مـــادت بمـــنْ فوقهـــا واهتـــزّ قاصـــيها ودانيهـــا

زلزلهـــا فقـــدانُ مَـــنْ لم تنـــبْ عـــن حملـــه فيهـــا رواســـيها

واســـتغرق الأقطـــار منهـــا البكـــا وأظلمـــت حزنـــاً نواحيهـــا

إلى الـــورى أنعـــى حيـــاةَ الـــورى فلتبـــكِ مـــا درّت مآقيهـــا

بلى، ومَنْ تركها غرق بالمدامع، لا ترقى غروبَها ما ناحت على فروعها السواجع، فلقد طرقها بغتةً طارقُ القدر، فنزل العمى من عيونها منزل البصر، بساعةٍ كأنّما وردتْ بزلزلة الساعة وأهوال يوم الوعيد، فغادرتْ الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن ألم المصاب شديد، قد أقبل فيها على المجد، ثمّ وقف واستوجد، واستعظم حالها وأنشد:

مـــا للـــورى دُهشـــتْ أقـــام المحشـــرُ أم قـــد دهـــى الثقلـــين خطـــبٌ أكـــبرُ؟

أجلْ، أيّها المستفظع لهذا الحال، المتمثّل بهذا المقال، اقترب للناس حسابهم قبل يوم القيامة، فأدمت أكفّهم الأنياب قبل يوم الحسرة والندامة،

---

١ - ذكرت في باب المدائح.

وعطُّبوا الأكباد قبل الجيوب والأبراد، ونضحوا القلوب قبل الأجفان والغروب، ومثلوا متماسكين من الوجوم، متهافتين على جمرة الأحزان وجذوة الهموم:

فمـــن واقـــفٍ في جفنـــه الـــدمع واقـــفٌ ومـــن ســـائلٍ في خـــده الـــدمع ســـائلُ

لغداةٍ بكَّر فيها بنفوس جائشة، وعقول من الدهشة طائشة، بين ذاهبٍ ولا يفطن أين يتوجَّه، وآتٍ لا يأتي بشيءٍ سوى أن يتزفّر أو يتأوَّه، وحرّان لا حيلة له غير عضِّ اليدين، وحيران لا يملك إلاّ استدارة العينين، فإذا سأل سائلٌ، أو قال لمنْ بجنبه قائلٌ: هل أتاك حديث الغاشية؟ ولمنْ قامت رنةُ تلك الواعية؟ وأولئك عمَّ يتساءلون؟ وعلى منْ عدت العاديات؟ وماذا نزعت النازعات؟ عبس وتولّى، ثمّ التفت إليه وقال: أفض غروب[1] عينيك سجلاً فسجلاً، فلقد دُكَّ طود الحلم، وهوى نجم الهداية والعلم، ونُزِعَ من كفّ المعروف بنانها، واستُلَّ من عين العلياء إنسانها، وذوت من المكارم رياضها الخضر، وتسلَّبت شجرات المعروف من ورقها النضر، ونُقِل إلى الأجداث قبلةُ الشكر والحمد، ومصلّى العفاة والوفد، وحُمل (ابن جلا) إلى عرصة البلى:

ولفقـــده هـــذي النـــوائحُ جاوبـــتْ فـــوق الســـماء نـــوائحَ الأمـــلاكِ

ملـــكٌ علـــى الأفـــلاك عليـــاه سمـــتْ فالســـمكُ منهـــا ثـــامن الأفـــلاكِ

حتى إذا رستْ أعواده على أكتاف الرجال اجتذبته إليها الرغائبُ والآمال، آخذة بقوائم سريره، ماسكة على فضول كفنه وأطراف حبيره، وصرخ مرمّل الرجاء إلى أين عنّا بأخي الشتوة الغبراء:

إلى أيـــن عنّـــا بـــزاد المقـــلِ وريّ صـــدى حائمـــات الأمـــاني

بـــه أنشـــب المـــوتُ أظفـــاره فمَـــنْ ذا يقلّـــمُ ظفـــرَ الزمـــانِ

---

١ - وفي المطبوع: دموع.

وعند مَنْ يلتمس الضيف قِراه، ولديَ مَنْ يعرّس السفرُ بطلاح رزاياه، أم منْ يبسط للمجد بين كفّاً كريماً، أرطب وأندى من السحاب أديماً، ويجلو على الوفود محيّاً تجلى بطلعته السعود، ومَنْ ذا يعلق منه الخائف بأوثق العصم، ويأمن في حماه كما يأمن الحَمام في الحرم، فرويدكم يا حامليه، قفوا ليتزوَّد المجدُ من أخيه، ويودّعه الرجاء، ثمّ تشيّعه المكارم والعلياء، فامهلوا قليلاً، ريثما أروّح في وداعه قلباً[1] عليلاً:

وإن لم يكـــــن إلاّ تعلـــــلُ ســـــاعةٍ قلـــــيلاً فـــــأنّ نـــــافعٌ لي قليلهـــــا

فآهاً ثمّ آه، ولا قوّة على الصبر إلاّ باللّه، ماذا لقيَ المجد ساعة ودَّع أخاه من برحاء الوجد، وقد أدرجَ منه في الكفن منْ كان الروح المدبّرة لهذا الزمن، فيا أعلام العلم وأقطاب الممالك، ويا أرباب الأسرَّة والأرائك، ويا رؤساء العشائر والقبائل، ويا خطباء المنابر والمحافل، ويا عترة الشرف والأحساب، وأسرة الكمال والآداب، ويا رائدي المعروف، ومنتجعي الرفدَ في الزمن العسوف، هلمُّوا إلى النبأ العظيم، والفادح الجسيم، الذي جدَع مارن الدين، وقصم ظهر الإسلام والمسلمين، فطامِنوا لهذا الحادث رؤوسكم، لقد استُلِب عزَّكم وناموسكم؛ رُزيتم واللّه بمنْ جُمعت له الرتبة العليا، بين رئاسة الدين والدنيا، قد ترشّح لها بين النبوّة والإمامة، واقتعد بها من الشرف الرفيع غاربه وستامه، وتوالت في المجد مناقبه الغرر فملأتْ من الدهر السمع والبصر، خلّدها على جباه الأعصار مسطورة، وبألسن الثناء في ألسنة المدن والأمصار مرويَّة ومأثورة، تتغنّى بها الحداةُ في الفلوات، وتتناقلها الرواة على تعاقب السنين في جميع الأوقات، تنبئُ عن حضرة سامية القدر رفيعة الرواق، آهلة الأفنية بكثرة الضيوف والطرّاق، جليلة الشأن والخطر، جميلة العيان والأثر، قد جاس رائدُ صيتها خلال الأرض،

---

١ - في المطبوع: فؤاداً.

وفنيت مواقيتها وثمائن يواقيتها في أداء المعروف نافلةً وفرضاً، فلذكر ربّه (تغمده اللّه برحمته ورضوانه) النباهة، ولجاهه (أعلى اللّه مقامه) الوجاهة، ولقدره (طاب ثراه) التنويه، ولذاته (قدّس سرُّه) التنزيه، لقد نشر بيد الفخر في الخافقين أعلامه، وطوى على المكارم لياليه وأيّامه، ورحل عن الدنيا إلى اللحود، وكان لها كاسمه (جعفر) فضلٍ وجود، قد أحبَّت روحه الطاهرة أن تتحوّل عن هذه الدار إلى نعيم دار الآخرة، فانتقل إليها بعد أن شحن الأولى ببرّه، وطبَّق أقطارها بفخره، وحمل من رواق مجده، ودفن في رواق جدّه، فصكَّت له الأشراف الجباه، عندما نفضتْ بأكفّها الصبرَ على ثراه، ثمّ انصرف الجميع والعلياء خلفهم تقرع سمع بني عبد منافٍ بما أنشأته من هذا التقريع:

عـــودي بطرفـــكِ يـــا قـــريش كلـــيلا وبعزمـــك امـــتلأت ظُبـــاه فلـــولا[1]

وأقيمت مآتمُ العزاء، فناحت فيها حتى أملاك السماء، وندبتْ فيها الشعراء، بقوافٍ من الشعر ثواكل، تتناشدها ذوو الأحزان في المناحات والمحافل، ثمّ عزّ وافيها أباه، فرع الأراكة الهاشميّة، ومنار الشريعة المحمديّة، رئيس المحقّقين (محمد المهدي) بن الحسن معزّ الدين:

علـــــم الأمّـــــة علامتُهـــــا صـــبحُها مصـــباحها نـــور هـــداها

قلبُهـــــا قلَّبهـــــا حوَّلهـــــا عضـــبُها بيضـــتُها حـــامي حماهـــا

وجروَا عنه متساجلين في تسليته عنه بأخوته، وكفى سلوة عنه بأكبرهم أخيه الصالح لسدّ ثلمته، وبالمعدِّ لتشييد بيت الحسب والمجد، أخيهما أبي القاسم (محمد) وبأخيهم الحسين الذي حلّ من الزمن محلّ الروح من الجسد، والواسطة من العقد المنضّد، فهم وأبيهم كما قلتُ فيه وفيهم:

قمـــــرُ الســـــماء أبـــــوهمُ شـــرفاً وهـــم والشـــهبُ أخـــوَهْ

---

١ - ذكرت في باب المراثي.

بل كما أقول: وإنْ رُغمتْ معاطس، وازورَّتْ من الحنق نفوسٌ ليست عند العلياء بنفائس:

إنّمـــــا هاشـــــمٌ لبـــــاب قـــــريشٍ وهـــــمُ صـــــفوُ هاشـــــمٍ واللبـــــابُ

فئـــــةٌ منصـــــبُ الإمامـــــة فيهـــــا وســـــواها ومجـــــدُها الأنصـــــابُ

لعمري لئن[1] فقد منها شخصٌ لم تفقد مزاياه، وطوى الموتُ عنها عيانَ مَنْ لم تطق الأيام والليالي مكارمه وعلياه، فلقد كفل أخوه الصالح لمجده بنشره لما قام مقامه من بعده، في ندىً فخره، ويليق بهذا المحلّ أن أرسم من نظمي هذه الأبيات التي جاءت كالعقد المفصل:

أقـــــول للقلـــــب وقـــــد أرســـــلتُه دمعـــــاً علـــــى ذاك الصـــــفيح يقطـــــرُ

يـــــا والجـــــاً كـــــافورة القـــــدس الـــــتي بـــــالأمس قـــــد أوْدع فيهـــــا الكـــــوثرُ

صـــــلْ جعفـــــراً وحيّـــــه عـــــنّي وقـــــلْ بـــــورِكَ مَـــــنْ قـــــد صـــــرتَ فيـــــه تحـــــبرُ

أعيـــــذُ أحشـــــاءك أن تنـــــزو علـــــي رواق عليائـــــك فيهـــــا الخـــــدرُ

تصـــــدَّر اليـــــوم (أبـــــو الهـــــادي) بـــــه فلـــــم تغـــــبْ كأنّـــــك المصـــــدرُ

فقـــــرَّ عينـــــاً فـــــالعُلى تلـــــك العُلـــــى والمفخـــــرُ البـــــاهر ذاك المفخـــــرُ

وجعفـــــرٌ للمكرمـــــاتِ (صـــــالحٌ) وصـــــالحٌ للمكرمـــــات جعفـــــرُ

وحيث أطلقنا عنان أدهم القلم، وبلغ هذا المقام وأحجم، فلنفتح حلية المراثي بنظم أميرها، وفارس ميدان منظومها ومنثورها، الناشئ في حجر[2] الرسالة، والراضع درَّ الوحي وبلغ بنور عصمة الإمامة، لكن عمّا يشينه فصاله، ومثل في مجهل الزمان علم، وطلع في أفق العلياء أنور من بدرٍ تمّ، ذاك (أبو الهادي)، وإن شئتُ قلتُ أبو الحسن الصالح؛ لأن يصبح وقد أصبح ذلك مقتدى الزمن، فلقد أنبأ عن مضاضة وجده بنظم بديع، لا يليق غيره بشأنه

---

١ - في مخطوطة الملاّ: لقد فقد.

٢ - في المطبوع: بحجر الرسالة.

الرفيع، فبلغ الغاية بقوله في رثاء أخيه، وبه للعلياء عنه كفاية[1].

يقول منشيء هذا التحرير، وموشّي بردة هذا التحبير، الفقير إلى ربّه الغنيّ، حيدرُ الحسينيُّ الحلّي: إنّي إنْ أثبتْ مرثيتي أوّل المراثي، لا طلباً للتقدّم لها، بل لمناسبتها لنظم هذا السيد الجليل، الذي تقدَّم قبلها أنّه قد وصف ما هو عليه من الوجد، وحكيتُ الحال التي نحن عليها من رزيّة هذا المصاب والفقد، على أنّي نحتُ فيها بقوافٍ كأنَّ منها كلَّ قافية ورقاء، أو كأنّها الخنساء؛ إذ هي لو ردَّدت نياحها على صخرٍ لأرتكهُ كيف على نياحتها يتفطَّر، فتصفّح ألفاظها ومعانيها، وأعرف صحة قولهم: لو أعطيتُم القوسَ باريها:

قـــد خططنـــا للمعـــالي مضـــجعا ودفنّـــا الـــدين والـــدنيا معـــا[2]

* * *

١٦ - وقال (رحمه اللّه) وقد كتب بها معزّياً لبعض الأكابر والأشراف:

ممّنْ صدعتْ صفاة صبره قوارعُ الأرزاء، فأذال مصون دمعه بتنفّس الصعداء، وألبسه عظيمُ المصاب ثيابَ الاكتئاب، وحنا على جذوة الوجد منه الضلوع، ونافر لعظيم[3] ما عراهُ طيبَ الهجوع، وكيف يلتذُّ بهجوعه، أو تجفُّ مجاري دموعه وقد فاجأه نعيُ منْ كان مصباح ليله وسراج نهاره؛ إذ عثر فيه الدهرُ فلا لعاً لعثاره:

نعـــوه علـــى ضـــنّ قلـــبي بـــه فللّـــه مـــاذا نعـــي الناعيـــانِ

رضـــيعُ صـــفاءٍ لـــه شـــعبةٌ مـــن القلـــب مثـــل رضـــيع اللبـــانِ

إلى مَنْ لا يستخفُ حليمها تفاقمَ الخطوب، ولا تغيّرُ طبيعتها في المكارم

---

١ - إلى هنا أُثبت في المطبوعتين، وهذه الزيادة الآتية لم توجد فيهما.

٢ - ذكرت في باب المراثي.

٣ - وفي المطبوع: لعظم.

مقاساة الكروب، الأعزّ الأمجد، سلالة الشرف الواضح (محمد)، قطب دائرة الفخر والكمال، ومحطّ الوفود وبحر النوال، ومَنْ هدرتْ يداهُ دم الأموال؛ لحقن دم المكارم، وعجز عن إحصاء فضله كلُّ ناثر وناظم، وحيد دهره، وفريد عصره، طالب العزّ من مستقرّه، المستضاء برأيهما في سواد الخطوب، والمستجار بظلهما في كلّ نائبة تنوب، ومنْ أساء إليهما الزمان بفقدان إنسان عين الفخر، محمد عليٍّ القدر، وجوهرة الدهر، وفريد العصر، وواسطة عقد الفخر، ومنْ ليس له في الفضل مثلٌ ولا ندّ، وكان من أهل زمانه بمنزلة الواسطة من العقد، ومن طلبتْ وصفه عقولُ ذوي النهي، وجاوزتْ في طلبها الجوزاء والسهى، فلم تقفْ له على غايةٍ ومنتهى، وحين رجعت منه صفر الكفّ، وقد بعد شأوه بدورها في الخسف، وشموسها بالكسف، طائشةً حيرى، راهبةً ذعرا، تنشد شعرا:

طلبتْ وصفه العقولُ ولكن ... لم يكن ممكناً إليه الوصولُ

وتعدَّت غاياتها ثمّ طاشتْ ... حيث لم تدرِ فيه ماذا تقولُ

وأقرَّت هناك بالعجز عنه ... وتساوى عليمها والجهولُ

فيا له من رزءٍ يقل الحزنُ بجنبه، ولو أنّ كلّ منّا كان فيه انقضاءُ نحبه، ولو أفضنا له النفوس من المآقي بدل الدموع لقلّتْ، ولو وُزنتْ به رواسي الجبال لخفّتْ:

الآن هوّن كلَّ نازلةٍ ... جللٌ أمال دعائمَ الفخرِ[1]

فيا مَنْ ألقى الزمان لكفّيهما خطام القياد، وسارت شواردُ أوصافهما مسير الشمس في جميع البلاد، إنّ من العجز أن تجزعا لعظم المصاب، وإنّ حسن العزاء ممّا يتضاعف به عند اللّه الثواب، وشأنُ مَنْ وقَّرته روابع كلّ مهمّة، أن يتدرَّع قلبه بالصبر لمكابدة كلّ ملمّة، ومن الحزم أن يتّزر بثوب

---

١ - ذكرت في باب المراثي.

التجلّد لأبصار العباد؛ لئلاّ يعلموا بتململكما فتشفى منه الحسّاد، وأنّ منْ عظُمَ عليكما فقده، وبرَّح بكما بعدُه، قد ورد حوضاً كلُّ الخلق واردوه، وسلك طريقاً كلّهم سالكوه، وكلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهه.

* * *

١٧ - قال (رحمه الله) وقد كتب بها إلى السيد سلمان النقيب معزّياً له بموت أبيه عن لسان العلاّمة السيد مهدي القزويني:

نعـــى النـــاعون للشـــرف المعُلّـــى فـــتى الأشـــراف ســـيدَها النقيبـــا[1]

يُنشر على طيِّ الأيام ذكره، ويُجدّد ويا حاشاه من الدروس على تعاقب الأعوام علاؤه وفخره، ويجلو من محاسنه الغرِّ على صفحات وجه الدهر ما يفصِّله لسال الحمد فريداً، وتتهاداه الليالي لنحورها عقوداً، فهو حيٌّ بتلك المناقب، وإن قامتْ عليه النوادب؛ إذ ليس الميّتُ ورزؤه الذي ترك الألباب مطاشة، إلاّ ميّت المآثر لا الحشاشة. ولعمري، لئن قصدَ المنون بصائبةٍ تلجُّ على الليث المشبل مغارَه، وتنفذ على الأفعوان الصلِّ وجارَه، فلقد قضى من الدنيا كرائمَ وطره، ورحل عنها فرحل المجد على أثره، بمهجةٍ حسيرة، قد نضخها على قبره عقيرة، وكأنّي بركب الثناء، وقد وقف فقلَّب على ذلك الجدث جفون الرجاء، ثمّ رفع عقيرته بجنبه، وأنشده ما أنشاه في استطابة تربه:

أقـــول وقـــد وقفـــتُ علـــى ضـــريحٍ كـــأنَّ نســـيمه أرجُ الغـــوالي

لـــئن أنشـــقتني يـــا قـــبرُ طيبـــا فـــذاك الطيـــب مـــن عبـــق المعـــالي

وليت شعري! وهل أبقتْ شعوراً طارقة هذا القدر، أيعلم الدهرُ لا أقاله اللّهُ عثاره بمنْ عثر؟ ارتحلَ وأيم اللّه عن الأنام بربيعها، وعن الأيام بقريعها، حادثٌ جذَّ من العزّ أنفه، ومن الكرم ساعده وكفَّه، وأغصَّ

---

١ - ذكرت في باب المراثي.

فمَ الدنيا بجرعةٍ ثُكل عميدها، فعددَتْ بلسان الدهر حتى كلّ ولم ينشط في محفل النياحة لتعديدها، وكيف ينشط منها اللسان، أو يتّسع لها نطاق البيان، في حصر تلك المناقب، التي كاثرت وأجلّها عن قولي الحصى عداد الكواكب، أليست هي مناقب من ضمنَ في ملاث أزار عظمته جميع كرامها، فطوى منه الموتُ بردة فخرٍ أدرج في أثنائها بقيّة أيّامها؟

قـــد علمنـــا فقـــرَ العفـــاة إليـــه أفكـــان الـــردى مـــن الفقـــراءِ[1]

أجل أيّتها التي تردّدُ المقالة وتنعى، خفّضي عليك ولا تضيقي بما لديك[2] ذرعاً، إنّ الموت لم يطوِ غاربَ بحرك ذلك الزاخر، إلاّ بعدما بدتْ منه على نحر الزمن عقد هذه الجواهر، فحلّي بها عاطل جيده، وأعدَّها[2] نفائس موجودة:

قـــد كـــان في مـــوت علـــيٍّ الـــذرى ماتـــت بنـــو المجـــدِ وعلياهـــا
لكـــنْ بـــإذن الله روحُ النهـــى قـــام فأحيـــاه وأحياهـــا
قـــد طويـــتُ لـــولا (أبـــو المصـــطفى) ينشـــر في الـــدهر مزاياهـــا
نعـــمَ زعـــيم القـــوم مقـــدامها في الحـــزم طـــلاّعٌ ثناياهـــا
مظفـــرُ الآراء مـــا أخفقـــتْ في طلـــب الـــرأي ســـراياها
إن خاصـــم الأكفـــاء في مجمـــعٍ أضـــحكها منـــه وأبكاهـــا
رياســـةٌ موروثـــةٌ في العُلـــى يـــأرجُ في عطفيـــه ريّاهـــا

فأكرمْ به وارثاً للمجد، قد ترك ألسنة الثناء والحمد ترتلُ آيات فضله ترتيلاً، وتهتف في الأنام بكرةً وأصيلاً، هكذا فليكن الكرم، ولترقَ إلى هنا عاليات الهمم، وليعرِّسْ بمثل هذه الغابة مَنْ خطب إلى الشرف عقيلة النقابة،

---

١ - ذكرت في باب المراثي. وفي المطبوع: فقر الزمان.

٢ - وفي المخطوط: بذلك.

٣ - وفي المطبوع: واعتدها.

هيهات هيهات! لا توصَل الراحةُ إلاّ بنانها، ولا تبصر العينُ بغير إنسانها، فيا أحلم منْ (أحنف) وله أطريتْ، ويا أذكى منْ (أياسٍ) وعليه أثنيتْ، إنّي ما استرعيتُ سمعك هذا المقال، ولا استوقفتُ نظرَك على ما ضربته من هذه الأمثال، استزيدك في حلمك ركانة، أو أدلّكَ على مكان الصبر فأنت من الصبر بمكانة، بل تلك مقالةٌ في التعزية مرادة، وعلالة جرتْ بمثلها العادة؛ إذ جميع هبات الدنيا معادة فمرتجعة، والتسلية عنها سيرةٌ متّبعة، وما استبقائي منك الصبر على هذه الرزية، إلاّ كاستقائي[1] سحاب الرحمة لتلك التربة الندَّية؛ إذ من العبث التماس حصول ما حصل، وطلبُ المرء من اللّه أن يفعل ما كان فعل:

لله في نفسك نفسُ العُلى ... قد أوجب اللّهُ لها حفظها

لا تجعل الحزن لها شاغلا ... في أخذها من فخرها حظّها

ولا حدتني خفةٌ في أمرك[2]، ولا دعتني استضافةٌ لصدرك، وإنّما هي من المحبِّ نفثةٌ الصدر، وقولة يقولها اشفاقاً على مَنْ أحبَّ إذا فدح الأمر، فكلاهما في الحصول شرعٌ سواء، بغير شكٍ ولا مراء، نسأل اللّه أن يعرِّفكم أجرَ هذه الرزية على مقدارها، وأن يكمل لكم ثواب الصبر على معيارها.

* * *

١٨ - قال (رحمه اللّه) وقد كتب بها معزّياً الحاج مصطفى كبّه بوفاة والده الحاج محمد صالح:

بالبدر مَنْ فجعَ الليالي البيضا ... وأعاد للشمس النهار مريضا

ومَنْ انتحى روض الكمال بمعطشٍ ... فذوتْ نظارته وكان أريضا

---

١ - في المطبوع: كاستسقائي سحائب.

٢ - في المطبوع: جفة بأمرك.

قـــــدرٌ مضـــــي بـــــزعيم آل المصـــــطفى والمجـــــدُ قـــــوِّض إثـــــره تقويضـــــا

قدرٌ جبَّ من الفخر سنامَه وغاربه، وطبَّق بالحزن من الكون مشارقه ومغاربه، قد رحل بمنْ هو زاد المقل، وناعشُ صرعة الضريك[1] والمرمل، وتقرّبَ جبرئيل إلى اللّه برفع روحه الطاهرة، حين[2] سمت عن الدنيا لنعيم الآخرة، فقوّض عنها رحيض الثوب من درن تبعاتها، مبرأ الجوارح من اجتراح خطيئاتها، لم تقض بنو الدنيا حقّ مصابه، ولم تكافئ ما أسدتْ إليها يده من جزيل ثوابه، وبماذا تقضي حقّ هذه النازلة، والمصيبة الهائلة، أبصراخ الثواكل، أم بدمعٍ على الوجنات سائل، أم بوجدٍ ولو كان كوجد يعقوب، أم بنوحٍ ولو كان ممّا تشقُّ عليه الأكباد لا الجيوب، هيهات:

كـــــذبناهُ لم نجـــــزع عليـــــه ولم تقـــــم مآتمنـــــا لمـــــا أُقيمـــــتْ مآتمـــــه

نعم، لنا العزاءُ بزعيم خلفِه، والبدر الساطع بعده في سماء مجده وشرفه، ذاك رافع عماد مكارمه، ورواق فخره ودعائمه، المصطفى للكرم بعده، والذي قام مقامه فسدَّه:

وقضـــى حقـــوق الجـــود وهـــي نوافـــلٌ وســـواهُ منهـــا مـــا قضـــى المفروضـــا

فيا مَنْ هو للمآثر الحميدة أهل، والراقي بهمّةٍ من المجد أرفع محل، لا برح بيت عليا أبيك، آهلاً فيك وفي أخيك، وبآلكما الغرر، ما بقي الدهر، ونسأل اللّه أن يجعل هذه الرزية خاتمة الأرزاء، ويصرف عنكم محذور القضاء.

---

١ - الضريك: الأحمق، الضرير، الزمن، الفقير.

٢ - في المخطوط: حتى سمت.

الفصل الثالث في العتاب

١٩ - قال (رحمه اللّه) مجيباً على القصيدة (النونية) التي وردته من بعض أخدانه الأعزاء معاتباً بها إياه، وإليك الرسالة والقصيدتين:

أمّا بعد افتتاح الإنشاء بمفروض الحمد وواجب الثناء أقول: إنَّ أفقر من الإصغاء ذلك السمع المأهول. أيّها الماجدُ الذي عوَّذته بنات الأفكار برقي القريض حيناً، من نزعات شيطان هذا الشيخ الذي أصبح له اليوم قريناً، وساء قريناً، وغادر منثور ذكره في الصالحات دفيناً، ويا حرسه اللّه قبل الممات؛ إذ لو استمر على اصطناع المعروف والمكارم لكان حسنة الدنيا، ولو لم يلقَ السمعَ لاتباع مقالة اللوائم لكان قطب دائرة العليا، الحديث ذو شجون، وسيبصر أهلُ الإنصاف بأيّنا المفتون، وأنَّ لي ولك في طي هذا الأمر الغريب، لشأناً من أعجب الأعاجيب، قد أوجب نشره، من سيَّر بدّالة المرح ومخيَّلة الكبرياء شعره، عجباً لك كيف لم تجذب إليك من عنان خيلائك، ولم تكفكف من بادرة عزمك وغلوائك، بل تركت لهاتيك عنانها، وأوسعت لهذه خطاها وميدانها، حتى أقرعتَ بمسامعي مؤلم هذا التقريع، وجرعتني مضاضة ذلك التعريض الشنيع، فمبجدك ما الذي أخفضكَ وأنت الوقور، وما الذي لمظكَ ممقر هذا التعريض وأنت الأبيُّ الغيور، بلى وأنا أملك السجيَّة التي عاشت على معروفها البريَّة، ما دعاك إلى أنْ تظهر أنّك لي مغاضب، إلاّ الهربُ من إسداء العطايا والمواهب، حيث استنشأتك قبل هذا سحابة، خلتها نشأت دانية الربابة، قد بشَّر بها نفسَه الرجاء، واستمطرها بظنّه مغدقةً وطفاء، فكلّما تطلَّع في نواحيها، استحكم طمعه فيها، وأمَّل أن ترخى بشآبيبها الغزار عزاليها، فإذا هي تبرق

غيضاً وغضباً، وترعد تقريعاً وعتباً، ثمّ لم تبرح بهاتيك البوارق، أن أمطرتها عليَّ صواعق وأيُّ صواعق، فليتك إذ ترفّعتَ كزعمك عن مدَحي الآنفة، رعيت لي حرمة المدح السالفة، فلقد علمَ هذا العصر أنّي لسانه الذي انتهت إليه مقالة الشعر:

وأنـــا الـــذي لم يســـخْ بي أحـــدٌ ... إلاّ غـــدا ونديمـــه النـــدمُ

وإذا اهتـــزززتُ لمـــدح ذي كـــرمٍ ... فأنـــا لســـانٌ والزمـــان فـــمُ

قد نشرتُ لكم من الذكر الجميل ما لم ينشره لسان الشعر لذي مجدٍ أثيل، حتى صرتُ لكم في المدح أعرفَ من علَم، بل أشهر من (زهير بن أبي سلمى) في مدائح هرم، كم نسجتُ لأبيكم بُردَ حمد، لم ينسج قبلي مثله (ابن بُرد)، وكم سيَّرتُ فيكم من النظام ما لم يسيّره قبلي الشيخ (أبو تمام) بلا يدٍ بيضاء، ولا عارفةٍ غرّاء، بل جعلتم قيمة تلك العقود، وأثمانَ هاتيك البرود، ما لو رُسم معها في كتب المؤرّخين، كما ترسم الجوائز مع قصائد المتقدّمين، يتداولها الأنام جيلاً بعد جيل، لغضَّ بنزارته من شرفكم المحض ومجدكم الأثيل، بل لو لم أكتمْ عن الحسّاد ما جعلتموه بأزائها من الصفاد، لو سُمتْ تلك الغرر البهية بسماتٍ ردية، كما وُسمتْ قصيدة (أبي الطيب) لنزارة الجائزة بالدينارية، وعلى حقارة الجزاء ونزارة ما اسديتموه من العطاء، رأيتك قد أعرضت غاية الإعراض، وأغمضتَ عن حقوق المودّة أشدّ الإغماض، بلا إساءةٍ سبقتْ، ولا جناية تقدَّمت، فنظمتُ قطعة من العتاب، يروق بنشرها ذوو الألباب، وأرسلتها إليك، مخاطباً لك بلسان العتب عليك، فقلتُ:

حـــــتى مَ الـــــوَّد بـــــالهجران ... وإلى مَ أبســـــطُ بالعتـــــاب لســـــاني

لا أنـــت عـــن غلـــواء[1] هجـــرك مقصـــر ... شـــيئاً ولا أنـــا عـــن عتابـــك واني

---

١ - في مخطوطة الملاّ: من غلواء.

كـــم ذا أنبِّـــهُ منـــك مـــن لم ينتبـــه ... عـــن مثلـــه في الفضـــل طـــرف زمـــانِ[1]
مـــا زال يصـــرف عـــن وجـــوه مطـــالبي ... عينـــاً رعـــى القاصـــي بهـــا والـــداني
الغيـــثُ أنـــت فكيـــف تجـــدب راحـــتي ... منـــــه وتخصـــــب راحـــــة الـــــذلانِ
وأمـــا ومجـــدكَ مـــا تـــيقَّظ للنهـــى ... مـــنْ لم يكـــن لي قـــطُّ باليقظـــانِ
بـــل أيُّ ركـــن للمعـــالي شـــاده ... مـــنْ لا يكـــون مشـــيّداً أركـــاني
أخـــذتْ بمخنقـــيَ الخطـــوب فضـــيّقت ... صـــدري فضـــاق بهـــا إليـــك بيـــاني
فـــتلافَ مـــن أيـــدي الخطـــوب بقيـــتي ... فبقيَّـــتي لـــكَ يـــا عظـــيم الشـــأنِ
عجبـــاً لكفَّـــك كيـــف تمســـحُ غـــرَّةً ... مـــن غـــير ســـابق حلبـــةٍ لرهـــانِ
مـــنْ ذا لكـــم عـــنّي ينـــوب إذا جـــرتْ ... يومـــاً جيـــادُ الشـــعر في ميـــدانِ
ومـــنْ الـــذي يُنشـــي لجيـــد علاكـــم ... مـــدحاً يفصِّـــلها عقـــودَ جُمـــانِ
فـــبمَ اقتنعـــتَ وهـــل تـــرى يغـــني الحصـــى ... لَمـــنْ ابتغـــي حُليـــاً عـــن المرجـــانِ
أرَتجـــتَ بـــالإعراض بـــابَ روِّيـــتي ... وعقلـــتَ في شـــطن الصـــدود لســـاني
وتركـــت عيـــني مـــن جفـــاك ســـقيمة الـــ ... إبصـــار وهـــي صـــحيحة الإنســـانِ
مـــا إن[2] زففـــتُ مـــن الـــولاء كريمـــةً ... إلاّ وتمهرُهـــا مـــن الحرمـــانِ
فأصـــخْ لعاتبـــةٍ تجـــايشَ صـــدرُها ... فأتتـــك تنفـــثُ عـــن حشـــاً حـــرّانِ
قـــد حاكمتـــكَ إليـــك فـــاقضِ بحقّهـــا ... فلقـــد أتتـــك بواضـــح البرهـــانِ
وشـــكتكَ عنـــدك والعجيـــب جنايـــةٌ ... منهـــا اشـــتكى مـــتظلمٌ للجـــاني
بـــين الرجـــا واليـــأس قـــد وقفـــتْ فقـــل: ... مـــن ذيـــنِ تنزلهـــا بـــأيّ مكـــانِ

فأصدرتَ الرسولَ إليَّ بوعدٍ أكذب من السراب الخادع، وأخيب من بارقة صيفٍ خالبة اللوامع، حسبت أنّك ألقيت إليَّ منه بحبلٍ واصلٍ، ولم أخلْ أنّك ألقيت إليَّ بخيطٍ باطل، قد ضربتَ أنت على أحد طرفيه بيد المطل، وضربت أنا على الطرف الآخر بيد عسى ولعل، حتى قالت لي

---

١ - في مخطوطة الملاّ: زماني.

٢ - في المطبوع: من أن.

النفسُ، أما غلب على رجائك اليأس، وإنّكَ لتغمزُ بأنمل الرجاء في صدر حجارة صمّاء، فقلتُ لها أيّتها النفس إنّك لأمّارة، ما عليكِ من ذلك وإن من الحجارة، وإنّي إنّما أهزُّ بنسيم المدح غصناً، منه ثمار المعروف ببنان الآمال تقطف وتُجني، حتى لم يبقَ في قوس الأنظار منزع، ولا في صدر الأعذار مدفع، فنظمتُ في استقضاء ذلك الوعد قطعةً من العتب، فيها ذكرى لمنْ كان له قلب، قد أوحى منها لسان قلمي مسمعاً، ما لو أنزلناه على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً، فقلتُ:

كلّما زادك المحبُّ اقترابا ... زدتَ عنه تباعداً واجتنابا[1]

فوعدتَ وعداً جميلاً، وخبَّأتَ خباً وبيلاً، لم أشعر إلاّ وقطعةً من شعرك، بيد الأطفال من أبنائك، والإغفال من أخصّائك وأودّائك، ينشرونها بكلّ بلاد، زعماً منك ولرأيك الإصابة أن ذلك ضربٌ من السداد، فعلى مَ يا هذا كذبت أم مَنْ بي أغراك، أظهرتَ كمالك بما يعود عليك بنقض عُلاك، ولم تتروَّ في أمرك حتى اتّخذت عفّتي وإبائي دريَّة لما طاش من سهام شعرك، فجريتَ إلى غايةٍ من الإعجاب جرىَ المتبجّح بفخره، وما نهنهتَ كأنّك لم تقف على مَنْ لم يقف عند انتهاء قدره، فقلتَ متشدَّقاً، ونطقتَ متفيهقاً:

أطلقتَ بالعتب الممضِّ لساني ... إن ترمِ بالإعياء فضلَ بياني

يا منْ له أخلصتُ صفوَ مودَّتي ... ما شابها كدرٌ من الهجرانِ

وعقدتُ حبلَ ولائه بمحبّتي ... حتى اغتديتُ بها رضيعَ لبانِ

وأراك قد نبَّهت مقلة ساهرٍ ... بالعتب بل متناومٍ يقظانِ

مغضٍ على مضضٍ القذى وتسومه ... وهو البريُّ بها جناية جاني

أتصدُّ عنّي معرضاً وتلومني ... ولقد بدأتَ هديت بالهجرانِ

---

١ - ذكرت في باب العتاب ١ / ٢٣٢.

جنبـــتَ منتجعـــي وغـــرَّك خلّـــبٌ فطفقـــتَ تحســـبه مـــن الهتّـــانِ
ورأيـــتَ خضـــرة دمنـــةٍ فحســـبتَها أزهـــارَ ريّقـــةٍ مـــن الغيطـــانِ
أنفقـــتَ فيهـــا بـــاهر الحِكـــم الـــتي عـــزَّت نفاســـتها علـــى (لقمـــانِ)
وبثثـــتَ منهـــا للنظـــام جـــواهرا مـــا كـــان أحوجهـــا إلى الكتمـــانِ
أتصـــونها عـــنّي وقـــد قلَّـــدتها أعنـــاقَ ناقصـــةٍ وجيـــدَ دواني
لا تحســـبنَّ الشـــعر يرفـــع خـــاملا لعلـــوٍّ قـــدرٍ أو سمـــوٍّ مكـــانِ
مَـــنْ لم تصـــدقه الفعـــالُ فمدحـــهُ ضـــربٌ مـــن التخلـــيط والهـــذيانِ
لســـتُ الـــذي بالمـــدح أكمـــلُ رفعـــتي إنّي وذلـــك أعظـــم النقصـــانِ
لكـــنْ أغـــار علـــى بـــدائع فكـــرةٍ أنْ لا تقلّـــدَها بـــديع زمـــانِ[1]

فلمّا استوقفتُ ناقدَ الفكر، وسرحت رائد النظر في ألفاظها ومعانيها، وجدتها تنطق عن بذخٍ وبأو، وتتشدق عن شمخٍ وزهو، قد نشأتْ من ضميرٍ شحنه الحنق، وطفح بالإحن إناؤه على لسان منشئها فنطقَ بما نطق، ثمّ قلتُ إنّا للّه ويا نفسُ صبراً على مضاضة هذا الشعر الذي برز مشتملاً بثوب الحبّ وتحته تأبّط شرّاً، فقالت نفسي الأبية: كأنّك طامنتَ إلى أن تعطي من نفسكَ الدنيّة:

تـــــــرى وإلى الآن لم تجـــــــزع وهـــل بعـــدُ للصـــبر مـــن موضـــعِ
ويقـــرع سمعـــك هـــذا العتـــاب وتُغضـــي كأنّـــك لم تســـمعِ

وأمّا وحميَّة هاشم، وشهامة آبائك القماقم، لا نمتْكَ تلك الإباة منها إلى الذروة، إن لم تقرع بمقطع تلك الصفاة والمروة، فقلتُ لها: لا شفى اللّه لي علَّة، إن لم أبرد عنكِ حرَّ هذه الغلَّة، فأنا الآن أقول:

أيّها الرئيس الذي كلُّ فاضلٍ إن قيس به مفضول، لماذا لا زلَّتْ بعد هذا بك النعل، أصبحت تكسِّرُ عليَّ أرعاظ النبل، تارةً تدب لي الضرّاء،

---

١ - أثبتناها في كتابنا شعراء الحلّة ٣ / ١٢٥.

وأُخرى تسرُّ لي حسواً في ارتغاء، تشوب لي إطراءك بالقدح، وتبرز لي هجاءك في صورة المدح، تظهر التأسّف على عقود نظامي النفيسة، مريداً بذلك أنّي لم أرفع قدري عن ارتكاب الدنية والخسيسة:

وهـــل في أديم الشـــمس للســـهم مثبـــتٌ وإن جهـــلَ القـــاريُّ يومـــاً فراماهـــا

لقد ملتَ عليَّ بطراً، ونسبتَ إليَّ ما لم أكن له بأهل أشراً، فلم ترقب فيَّ إلاًّ، كأنّك لم تفز من مديحي بالقدح الرقيب[1] والمعُلى:

تـــذكركم فيـــكَ القـــوافي فـــاخرتْ مـــنْ ســـجد النـــاسُ لـــه حـــتى ســـجد

وكيف أقول: لستُ أجد لنسيانك ذلك المديح معنى، واللّهُ تعالى يقول:

(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ)، وليت شعري كيف خفَّت هضبة حلمك بعدما أرسى بك الوقار دهراً، بل كيف استبدلتَ الإسراع بالأناة فنثلت عليَّ كنانة شعرك تطاولاً وفخراً، فملأتَ قلبي ألماً، حتى أدميت البنان تأسّفاً وندماً، وحتى خلعتُ لبسة المتجلّد، بمقيمٍ من الحزازة مقعد، وطفقتُ أنشئ ثمّ أنشد:

لي اللـــوم قـــد كلفـــتُ نفســـي خطـــةً عواقبهـــا تـــدمى عليهـــا الأصـــابعُ
وأوردتهـــا رنقـــاً مـــن الـــذلّ آجنـــا يســـوءُ المعـــالي أنّـــني فيـــه شـــارعُ
ودنَّســـتُ مـــن أبرادهـــا ثـــوب عفّـــةٍ إبـــائيَ تســـهيمٌ لـــه ووشـــايعُ
وعرَّضـــتها بعـــد الإبـــاء لســـبَّةٍ (إذا ذُكـــرت تســـتكُّ منهـــا المســـامعُ)

أجل، وليت سبق السيفُ إليَّ هذا العذل، أيُّ خطّةٍ أسوء وأفظع؟ أم أيُّ سبّةٍ إذا ذُكرت في المجالس عليَّ أشنع؟ من أنّي وضعتُ نفسي لكم وضع مَنْ يريد الارتفاع[2] بكم، بل وضع مَنْ ينتجع هشيم كرمكم

---

١ - كذا في المخطوطتين والمطبوعتين، ولعلّه يريد: القريب.

٢ - في المطبوع: الانتفاع.

انتجاع الرائد، ويحرم على سراب جودكم حرمَ المحليء عن الموارد، على أنّي أحقُّ بما قاله الفرزدق:

أتينـــاك لا مـــن حاجـــةٍ عرضـــت لنـــا إليـــكَ ولا مـــن قلّـــةٍ في مجاشـــعِ

وامتهنتُ نفسي بأن صرتُ لكم شاعر، ناشراً ذكركم بالجميل بين الأكابر والأصاغر، كم أزففت لكم غادة كعاب، تخجل بحسنها الأتراب، لا أريد بذلك منكم إلاّ الوداد، وصفاء المحبّة والاتّحاد، ولو أنّي أستام لها بقدر محاسنها المهر، لعزَّ على الأكفاء أن تحظى منها بشطر، فطفقت تنظر إليَّ بعين محتقر، وتخاطبني بما تخاطب به مَنْ هو إليك مفتقر، فمهلاً أبا حسن! لا تشمخ بأنف مَنْ بزهرة دنياه قد افتتن:

إنْ أكـــن مهـــدياً لـــك الشـــعر إنّي لابـــنُ بيـــتٍ تُهـــدى لـــه الأشـــعارُ

بل، لعليّ لا يعدّ المتطاولُ عليّ لمجده ما أعدُّه[1] من الخصائص؛ لنسبي اللباب، وحسبي الخالص، تنميني إلى ذرى العلياء سادةٌ علماء، قادةٌ حكماء، ذادةٌ زعماء، هم للشرف الوضّاح أقدم أسرة، وللمجد الصراح أكرم عترة، ما منهم إلاّ هضبة وقارٍ وحلم، ولجّة كرمٍ وعلم، لا يُشار إلاّ إليهم، ولا تعقد الخناصر إلاّ عليهم، لم يسرق ليَ الدهرُ أباً، ولم يغتصبْ لي الادعاء بسببك حسباً.

فيا أيّها اليقظان المتناوم، ليتك رقدت عن عتابك رقدة غيرك عن المكارم، هب أنّي جنبتُ منتجعك، بعدما كنت منضماً بزعمك إليك في جملة منْ انتجعك، فأين أنت أيّها السيد المطلبي عن قول أبي الطِّيب المتنبي؟[2]:

---

١ - في المخطوط: ما أعد.

٢ - هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، أشهر شعراء العربية. ولد عام ٣٠٣ هـ، قتله عند عودته إلى بغداد فاتك بن أبي جهل الأسدي بالقرب من دير العاقول بالنعمانية عام ٣٥٤ هـ، شرح ديوانه مئة علم من أعلام الأدب. ترجمت له في كتابي شعراء الكوفة ١ / ٣٤٠.

إذا ترحّلـــتَ عـــن قـــومٍ وقـــد قـــدروا ألاّ تفـــــارقهم فـــــالراحلون هـــــمُ

وادَّعيتَ عليَّ أنّي غرَّني خلب، فطفقتُ أحسبه ماطراً يتحلّب، ورأيت خضرة دمنةٍ وجدتها مونقة، فخلتُها أزهار غوطةٍ ريّقة، فأنفقتُ فيها باهر الحِكم العجيبة، وقلّدتُ بجواهرها أعناق ناقصةٍ معيبة.

لعمري، لقد شغلتك هذه الفصاحة، عن أن تفطن لهذا الإثم الذي تعلَّق منك بتلك الساحة؛ لأنّك قد علمت أنّي لم أمدح إلاّ مَنْ لو حصلتُ لبعض المجيزين منهم الإجازة، لكان من شرف الرئاسة الكبرى بمفازةٍ وأيِّ مفازة، وزعمت أنّك بلغتَ من الرفعة والسناء ما استغنيت به عن المدح والثناء:

فـــإذا مـــدحت فـــلا لتكســـب رفعـــةً للشـــاكرين علـــى الإلـــه ثنـــاء

فقلتَ قول المتطاول، إنّ الشعر لا يرفع مَنْ هو خامل، كأنّك لم تعلم بإجماع منْ تقدَّم، أنّه يضع الرفيع، ويرفع الخامل الوضيع، كما غضَّ من شرف بني نمير، ورفع من بني أنف الناقة وهم أذلّ عشير، وهذا الأرجاني[1] يقول:

لـــــولا زهـــــيرٌ والمـــــديح لـــــه لم يـــدرِ هـــذا النـــاس مَـــنْ هـــرمُ

ودعْ كلّ ذلك وخبّرني إنَّ مَنْ خلع لباس الحمد ولم يرغب بلبسه، ولم يكن من أهلِ (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) بماذا أكمل رفعته؟ وأيُّ الأفعال صدقه فيما وصف به مجده ونعته؟ وذكرتَ وأنت الخليق الجدير، أنّك عزمت على بدائع فكرتي أن اقلّدها ذا شرفٍ خطير، فقلْ لي أيّة غيرةٍ عليها لمِنْ أنزلها منه في جانب الإهمال، وأغفلها وهي من اللواتي تأنف أن تعدَّ في الإغفال؟ تحقيقاً لما أقرَّه في ذهنك الجهلة الجفاة، وتصديقاً لمنْ

---

١ - هو أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني، الملقّب ناصح الدين، فقيه شاعر، تولّى قضاء تستر، وتوفّي بها في ربيع الأوّل سنة ٥٤٤ هـ، وكانت ولادته عام ٤٦٠ هـ، له ديوان شعر طُبع ببيروت.

لا تصدَّق فيهم الأمّهات:

أخلاقـــك الغـــرُّ الصـــفايا مـــا لهـــا حملـــت قـــذى الواشـــين وهـــي ســـلافُ

والإفـــكُ في مـــرآة رأيـــك مـــا لـــه يخفـــي وأنـــت الجـــوهر الشـــفّافُ

ولا ملامة عليك، وإن توجّه اللوم كلّه إليك؛ إذ لا يستطيع أنْ يحولَ طباعه، منْ فتح لأفواه المنافقين أذناً سمّاعة، قد استخفّك رهطٌ ما هم بأبرّ قطّ، ممّن أنزل فيهم (وَكَانَ فِي الْمَدِينَـةِ تِسْـعَةُ رَهْـطٍ). ما أنت لهم بقدوة، وغيَّرَكَ لحجّ أفئدتهم بالحبّ مشعرٌ ومروة، ينزّهونك من الريب، ويثلبونك بظهر الغيب، يبرز أحدهم مشتملاً بلباس التقوى، وهو قد بلغ من خبث السريرة غايتها القصوى:

كـــم تقـــيٍّ للخلـــق يُظهـــرُ نســـكا ولبـــاري النفـــوس في الســـرّ عاصـــي

فهـــو في نســـكه تـــراه أبـــا ذرٍ وعنـــد التحقيـــق فـــابنُ العـــاصِ

قد نصبوك فخّاً لاختيال صيدهم، واتّخذوك سلّماً يعرجون عليك إلى اغتيال مَنْ أرادوه بكيدهم، وأنت ولا أريد أن أنسب إليك رذيلة، قد جرت عادتك ولا أقول إنّها غير جميلة، إنّك تنيل مَنْ نال منك، وتميل إلى مَنْ مال عنك، المرائي أسعد عندك حظّاً ممّن محض لك الصدق في المودّة محضاً، كم مالت نفسك لا لذي سناء ميل الناقة من شرهة إلى تناول الغذاء، ثمّ تابعتْ له الشهادة، أنّه كادت[1] تثني مثلك له الوسادة، حتى حصل له بشهادتك من التنويه ما لم يحصل من قبله لزياد بن أبيه، وحتى خلنا أنّك عازمٌ على استلحقاه؛ رغبةً فيه لما ثبت عندك من غزارة علمه وشرف أعراقه، ثمّ قلنا إنّ سيّدنا الأكيس، هو وهذا الورع المقدّس، لو لم يكونا في النبل رضيعي لبان، وفي حلبات الفضل شريكي عنان، لما نفي عنه هذه الاسترابة، ثمّ أنابه منابة، فروياً أيّها المشتمل، ما هكذا تورد

---

١ - في المخطوط: كانت.

الإبل، قد كان لكم قبل هذا عذرٌ لكم، أنّكم دعوتم الناس لأمرٍ لكم علّه ونهلُه، فأيُّ عذرٍ لكم اليوم في دعائكم لأمرٍ إنْ تمَّ اعتزلكم كلُّه؟ فحوشيتَ أبا الهادي وعزَّ علينا أن نرى منك بعض الخفّة والطيش، في الإكثار من الحثّ على تأمير هذا الفاضل على مَنْ لك قبلنا من الجيش، فاطرحْ لجاجَك، فقد رجع بنا الإذعانُ إلى الاقتداء بهذا الأوحد الذي نهج منهاجك، ونهنه من بادرة جهل ابن أخيك، فذلك أليقُ وأحرى مَنْ جلب الوقيعة فيه وفيك، فلقد ثبت عندنا أنَّ مَنْ بالغتما بتأييده، وشدّ أزره وتشييده، هو العالم الرباني، بل فردُ الفضل الذي لولا مَنْ لا تصرِّحُ به لحلفْنا أنّه ليس له ثاني؛ إذ لو لم يكن عن[1] سيدنا أخذ، وعلى قوله اعتمد، وإلى رأيه في جميع الأمور قد استند، حتى صار من أهل الكشف والاستقامة، الذين تتنزّل عليهم الملائكة بالأسرار لما نصَّ عليه ربُّ الفضل بالإمامة.

فيا أيّها الرئيس الأجلّ، سبق السيف العذل، والبثْ قليلاً يلحق الهيجا حمل[2]، فلقد أطلقَ غربه لساني، وحلفَ أن لا يكفكف من جري أدهم القلم بناني، حتى يأخذ غرار يراعتي مأخذه، وحتى ينفذ غرب براعتي منفذه، والبادي أظلم، وسيعلم أيّنا الذي يقرع سنَّ الندم:

ما المجدُ إلاّ ما بناهُ لساني ... لا ما تزحزحه من البنيانِ

وحليُّ جيد الفضل نظمُ فرائدي ... لا ما تنظَّم من فريد جمانِ

يا فاخراً لا في ملابس مدحتي ... هذي ثيابُ الفخر لا ثوبانِ

ومطاولاً لا في صِلات قصائدي ... هنَّ المكارم هنَّ لا قعبانِ

ولقد صدقتَ فقلتَ أيةُ حكمةٍ ... لما نطقتَ جرتْ بأيِّ لسانِ

مَنْ لم تصدقه الفعالُ فمدحُه ... ضربٌ من التخليط والهذيانِ

(انتهى الديوان)

---

١ - في المطبوع: من سيدنا.

٢ - الأمثال لا تغيّر ونصه: لبث قليلاً.

الفهرس

مقَدّمة ٤
الحماسة ٥
المدائح ١٢
المراثي ٥٦
التاريخيات ١٦٠
التّقْارِض ١٦٦
متفرقات ١٧٦
الرّسائل.. (مدح، رثاء، عتاب) ١٨٢
الفصل الثاني ٢٢٠
في الرثاء ٢٢٠
الفصل الثالث في العتاب ٢٣١